سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة

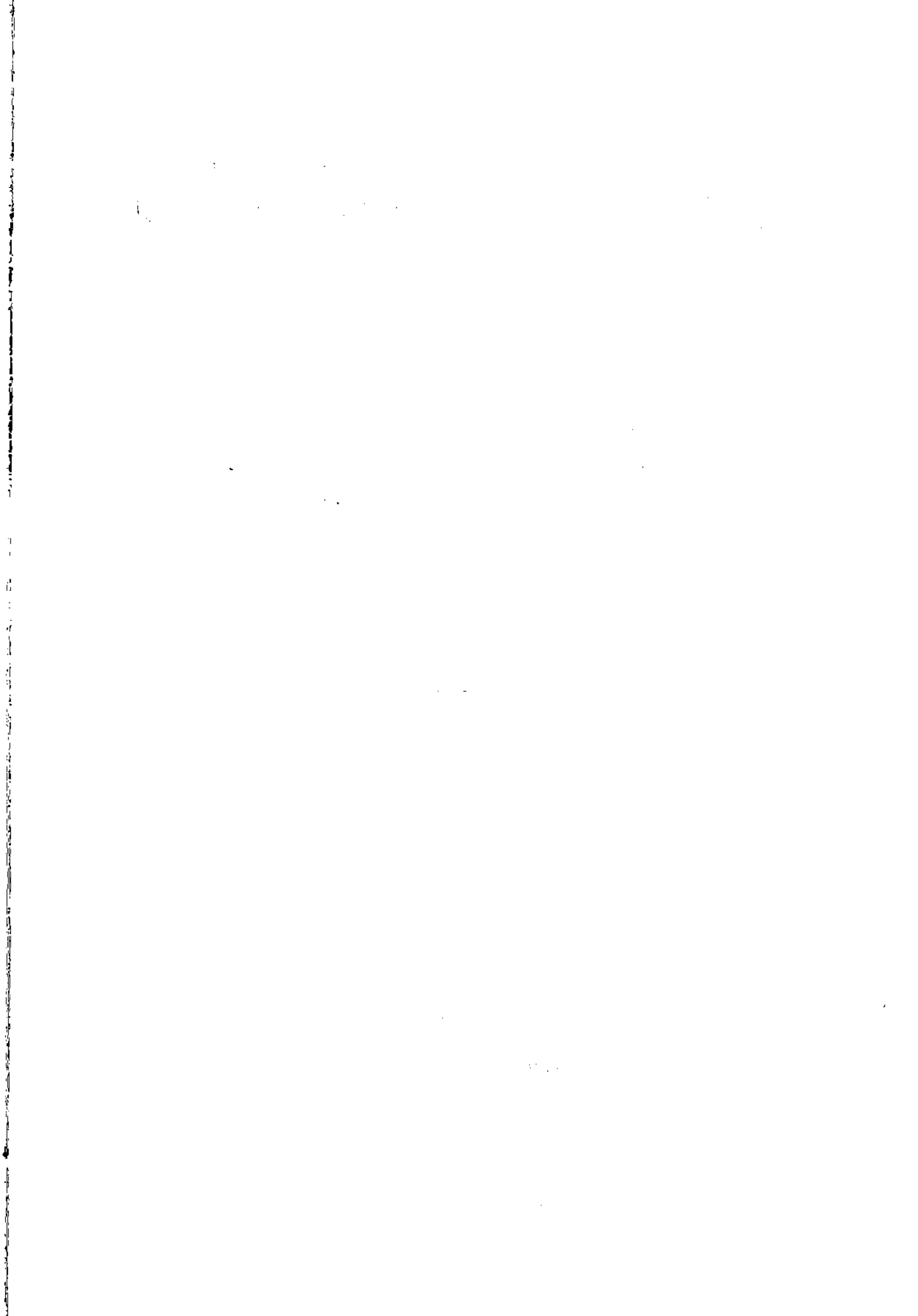


سعيد بن سلطان

تأليف
رودلف سعيد - روت

ترجمة
دكتور سامي عزيز
أستاذ الصحافة بكلية الاعلام
جامعة القاهرة

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م



سـعيد بن سـلطان

(١٧٩١ — ١٨٥٦)

حاكم عمان وزنجبار

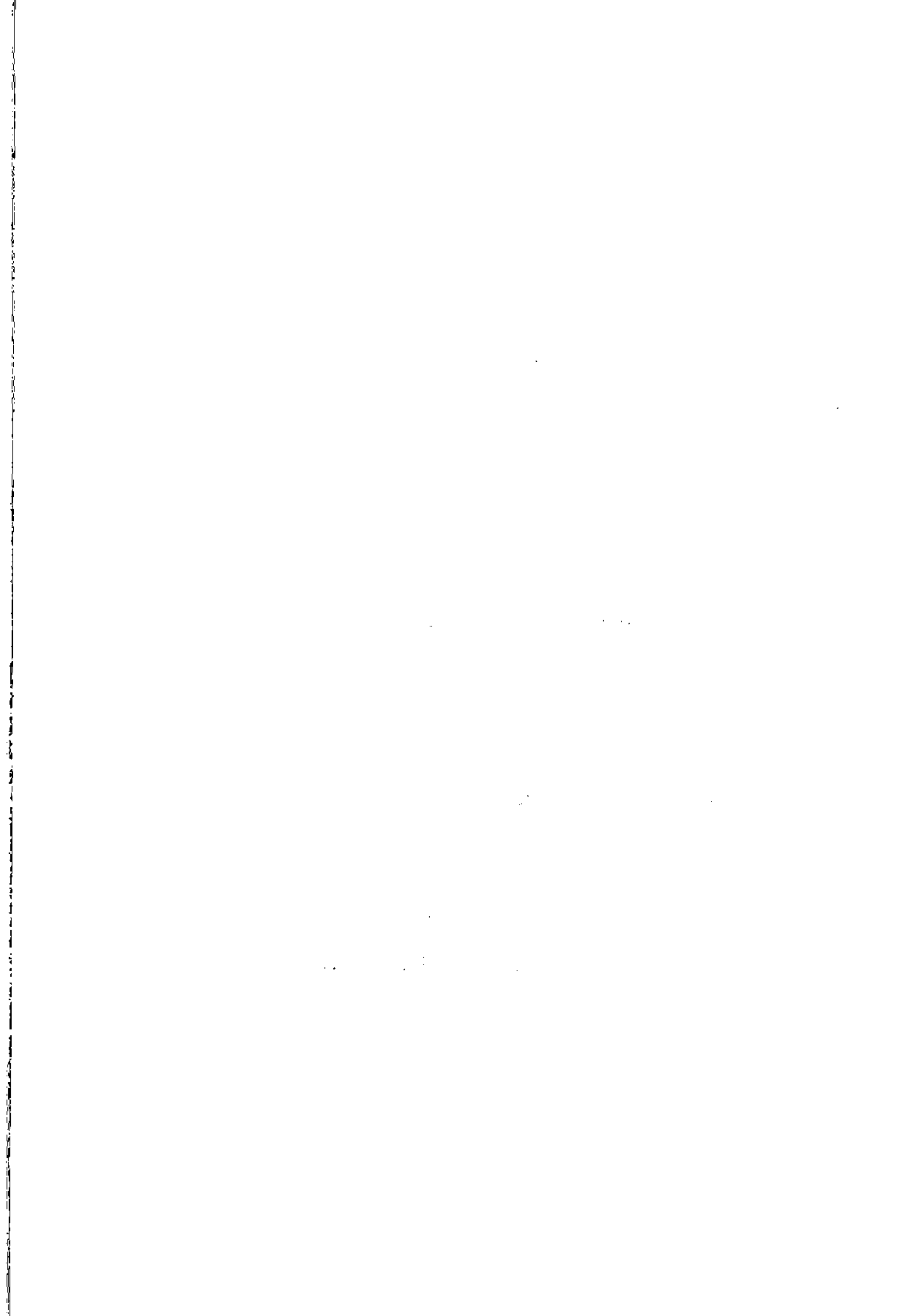
مكانته فى تاريخ العرب وشرق افريقيا

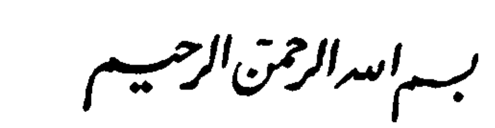
تأليف

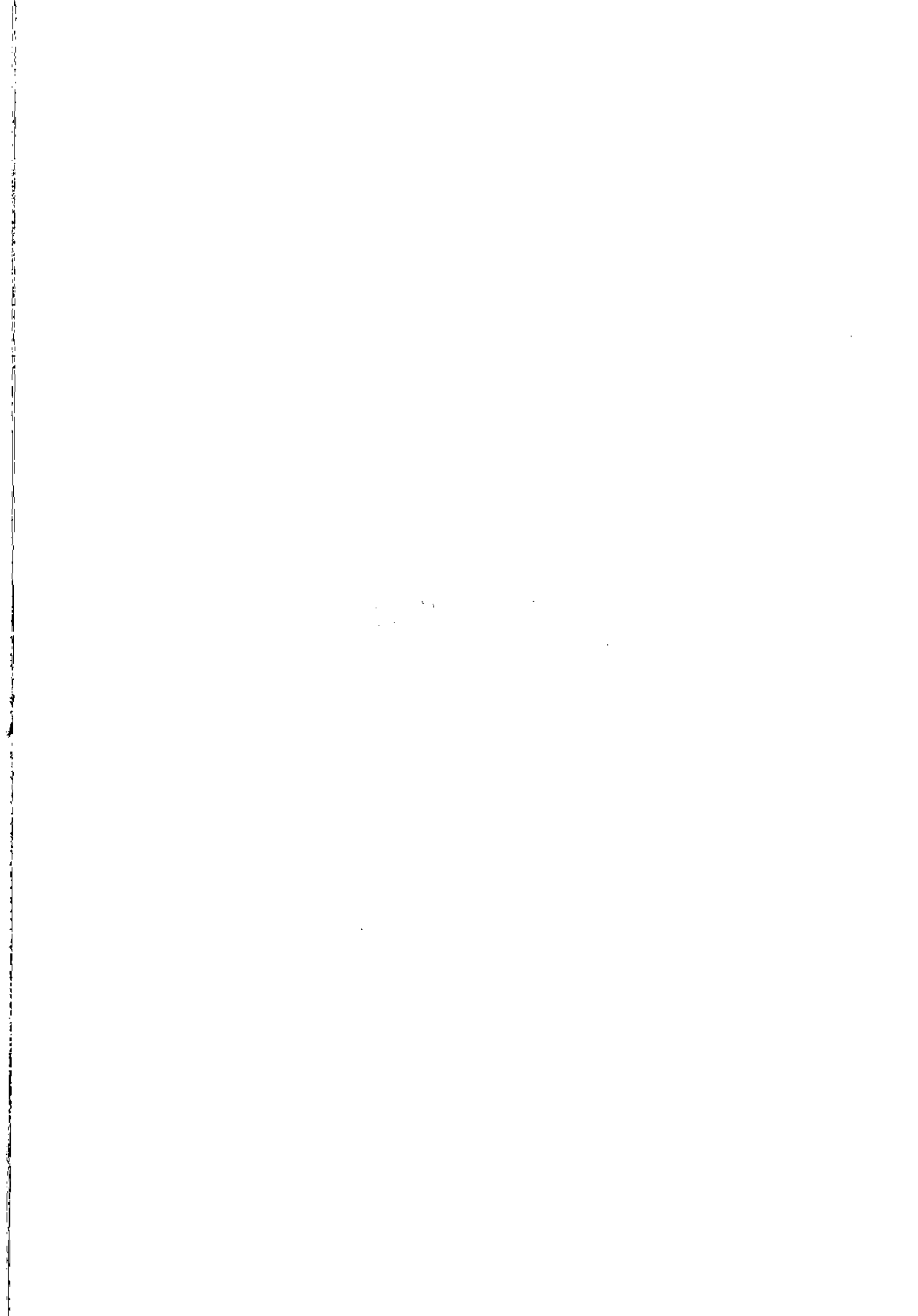
رودلف سـعيد رويت

تقديم بقلم

ماجور جنرال سير بيرسى كوكس




بسم الله الرحمن الرحيم



الى ذكرى

أمى

السـيدة سـلمى

(اميلى رويت)

بنت سـعيد بن سـلطان

التى

ولدت فى زنجبار فى ٣٠ أغسطس ١٨٤٤

والتى حققت مهمة كبرى بحياة أثبتت

للغرب مدى الصفات النبيلة التى تتمتع

بها نسـاء الشرق •

توفيت فى ينا (بألمانيا) فى ٢٩ فبراير ١٩٢٤

ان كان هناك ثمة صلف يمكن غفرانه
بعـــد تكبر نابع من الجدارة الشخصية
فانما هو الافتخار بالأصل •

جان جاك روسو

ديباجــة

قدمت الجزيرة العربية ، على مدى العصور الطوال العديد من الرجال البارزين ،

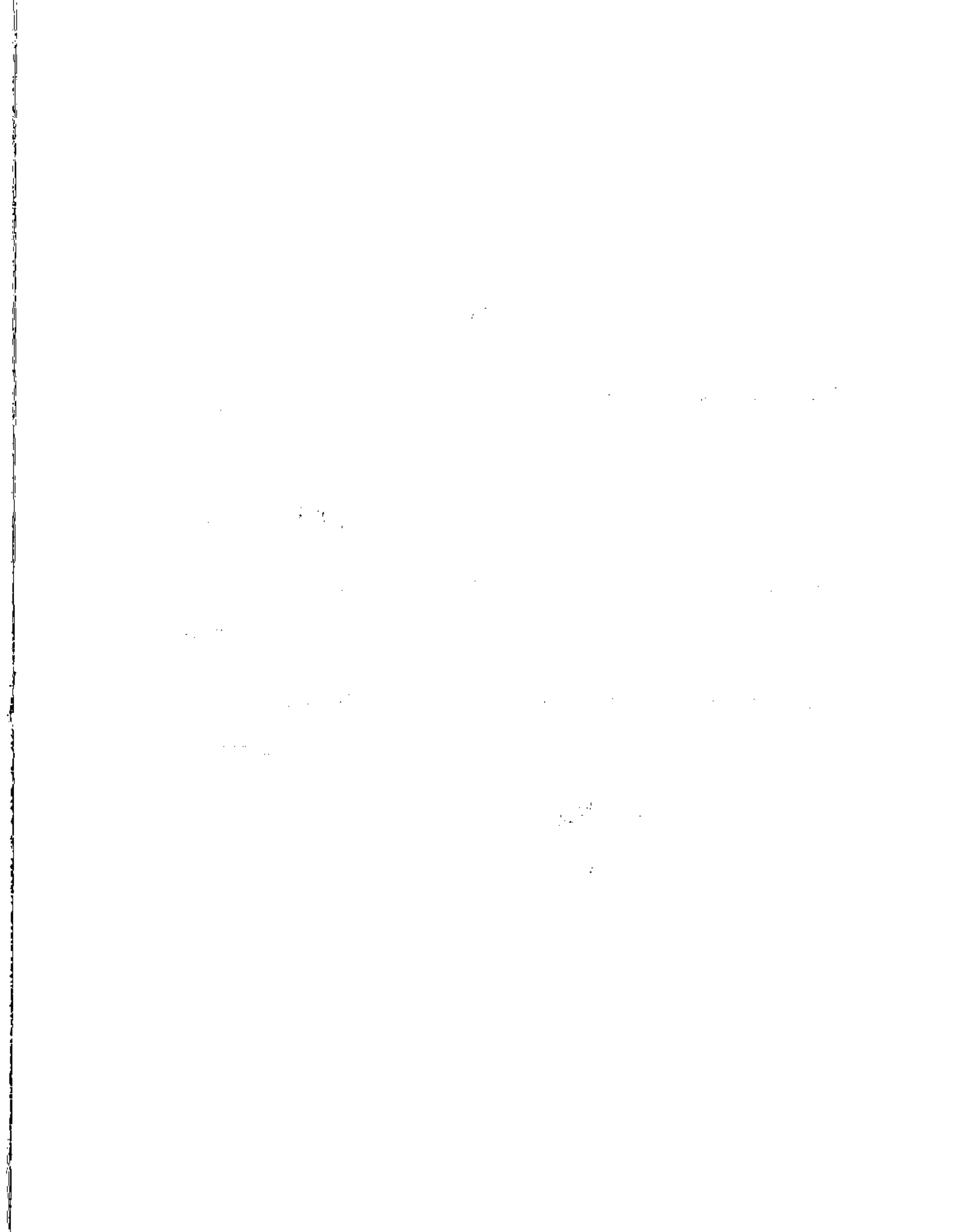
وســــعيد بن ســـلطان

من بين الشخصيات القوية الباعثة على الاحترام منذ عهد محمد حتى الوقت الحاضر •

ان هذا المؤلف كتب بقصد تسطير تقرير موضوعى للمنجزات الكبرى لرجــل عظــيم •

رودلف ســعيد ــ رويت

لندن ــ مايو ١٩٢٩



تقـــديم

بعد أن أمضيت خمسة أعوام ممتعة ، سعيدة فى عمـــان ، وتشرفت بصداقة اثنين من سلالة بيت البوسعيد الشهير ، هما آل سعيد بن فيصل ابن تركى (ابن سعيد) صاحب الذكرى المبجلة ، وولده سعيد بن تيمور ابن فيصل ، سلطان مسقط الحالى ، والذى شرفنا بزيارته فى الصيف المنصرم ، فاننى استجبت بترحاب للدعوة التى وجهها المؤلف لى للمشاركة فى كتابة تقديم موجز لهذا السفر •

ان أحداث الحرب العالمية والمهام التى قام بها أصدقاؤنا وحلفاؤنا العرب على مسرح الشرق الأوسط ، كانت دافعا قويا للاهتمام الذى تبديه الدول الغربية بازاء أمور الجزيرة العربية بوجه عام • ولكن ، لسوء الحظ ، فان أحد الملامح الواضحة لهذا الاهتمام ، كانت الرغبة فى فتح الشهية أمام عمل روائى وصفه أحد المعاصرين بأنه « ســـقط المتاع للشيخ » • ولكن لا ريب أن الأمر لم يكن فى أساسه متعلقا تماما بشىء خيالى ، انه فى نفس الوقت يتناول الوسط التاريخى والجغرافى والسياحى • وان هذا العمل الذى يقدمه سعيد ــ رويت ، ما هو الا مشاركة هامة تاريخيا ، ومن ثم فانه يستحق الترحيب القلبى من القارىء الجاد •

ان قصة حياة سعيد بن سلطان امام مسقط وسلطان زنجبار (وهو جد المؤلف من أرومة الأم) ، وعلى الرغم من أنه ليس هو مؤسس الأسرة الحاكمة البوسعيد ، فانه كان وسيظل ، دون ريب ، أكثر شخصياتها شهرة •

حقا ان العرب فى الامارات الجنوبية لبلاد العرب كانوا منذ آمـــاد بعيدة رجال بحرية ، وعند حلول ميعاد رياح الشمال الشرقى الرقيقة ، كانت أساطيلهم التجارية تهرع جنوبا لتشق عباب المحيط الهندى ، على أن تقفل راجعة أدراجها فى الربيع قبل هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية • وقد مارسوا عمليا ، ولعدة قرون ، احتكار نقل تجارة الشرق • وهم فى الواقع

قد لعبوا فى بحار الهند دورا مماثلا للدور الذى قام به الفينيقيون ، من قبل ، فى البحر المتوسط • ولكن كان من نتائج الطموح البنـــاء لسعيد بن سلطان حاكم عمان أن استطاع تأسيس « مملكة ما وراء البحار » بعاصمتها زنجبار ، والتى تولى الحكم فيها سلطانا لها ، والتى طالما أطلق عليها اسم « المملكة الافريقية » • وعلى هذه الحقيقة الثابتة فان سعيد استحق واحتل مكانا رفيعا لائقا فى الرسوم التى تزين أبهاء تاريخ العالم • أما بخصوص تلك الدولة فان الأحداث التى اكتنفتها طوال فترة حكمه ، التى امتدت ما بين عام ١٨٠٤ وعام ١٨٥٦ ، فإنها تمدنا بالأسباب التى من أجلها أصـبح لإسمه ذكرى عاطرة • وبالرغم مما اكتنف حياته من مخاطر معنوية ومتاعب عملية بل وأخطار هددت حياته ، فإن شخصيته المقدامة التى لم تكن تهاب شيئا ، أهلته لأن يثبت وجـوده بصراحة فى مواجهــة بريطانيا العظمى (التى مارست عــدم التعاون بخلاف القوى الغربية الأخرى فى تلك الفترة) فى محاولاتها الجادة لوضــع حــد لتجارة الرقيق فى أفريقيا والأنشــطة الشهيرة التى كان يقوم بها القراصنة فى أعالى الخليج • هــذا بينما كانت شهامته الشرقية الحقيقية ــ والتى كانت سمة بارزة فى تعامله مع الحكومة البريطانية ورعاياها ــ هى الكلمة المألوفة فى ذلك الجيل •

إن اهتماما خاصــا ، ولو أنه عرضى ، ارتبط بظهور مؤلف يتناول حيــاة وعهــد السيد ســعيد فى هــذا الوقت الذى يترامن مع فترة من النشاط الحيوى تنتاب البركان النجــدى فى وســط الجزيرة العربية • وفى الواقع ، فإن السيد سعيد ، على طــول مــدة حــكمه كان على أتم استعداد لتلبية أى نداء للدفاع عن أملاكه فى أى بقعة ضــد الاعتداء الغادر من هؤلاء وغيرهم •

وبعد هدوء دام نصف قرن منذ وفاة سعيد ، استعادت العناصر المعادية فاعليتها وبدأوا عهــدا جديدا من النشاط الذى لم ندرك نهايته بعــد • ولكن ، لحسن الحظ ، وتحت ظروف العالم المتغيرة الآن ، وبفضل التوجيه السديد من عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز وسلطان نجــد ، فإن الأمور

دخلت فى مرحلة تتصف بالهدوء أكثر من سابقتها • وإننى لست فى حاجة لأن أضيف شيئا إلى ما حـــدث • ولكن اسمحوا لى أن أعبر فى ختام كلمتى عن إحساسى الشخصى النابع من المذهب الكونفوشى لأمر يتعلق بتوقير الأسلاف ، فإننى أقـــدر الجهـــد والتفانى اللذين بذلهما مستر ســـعيد — رويت فى بحثه فى الدهاليز التاريخية الجانبية للوصول إلى مادة لبحثـــه عن واحـــد من أشـــهر الذين قاموا بدور على مسرح التاريخ العـــربى •

ب • و • كوكس

اللوحـــــــات

لوحــة لسعيد بن ســلطان :

نقلا عن رسم بريشة الضابط لينش قدمتها مسز ج • ب • شبرد عام ١٩٠٦ إلى متحف بيبودى بمدينة سالم بماساشوستس بالولايات المتحـدة الأمريكية • ويبدو أن هناك ارتباطا بين الضابط لينش ومن يدعى هنرى بلوس لينش الذى اشترك فى حمـلة الفرات ١٨٣٦ ، وكان قـد عين فى ديسمبر ١٨٢٩ مترجما للغتين العربية والفارسية لقائد البحرية فى الخليج الفارسى (أنظر Low ص ٣٣) • ومن المحتمل أنه زار مسقط حيث كان سعيد يقيم فى الفترة ما بين مايو ١٨٣٠ وحتى بداية عام ١٨٣٢ متنقلا بينها وبين زنجبار • وكان مستر ميشيل و • شبرد من مدينة سـالم يتاجر فى زنجبار ما بين ١٨٣٧ ، ١٨٥٢ • وإن القتامة الواضحة على بشرة سعيد فى اللوحة ترجع بالتأكيد إلى قـدم الرسم • ويقرر فريزر (ملحق أ) الذى زار مسقط فى ١٨٢١ « أن لون بشرته يميل إلى اللون الأصـفر الفاتح كغالبية العرب » • (« البشرية الزاهية » أنظر Mansur ص ١٨) •

مسقط : لوحة من المينـاء (١٨٠٩) :

بعد ستة عشر منظرا لأماكن على الخليج الفارسى ، التقطها فى عامى ١٨٠٩ ، ١٨١٠ ر • تمبل من الفرقة ٦٥ بومباى عام ١٨١١ •

زنجبار من البحر (حوالى ١٨٥٧) :

من زنجبار التقطها ريتشارد ف • بيرثون ــ لندن ١٨٧٢ •

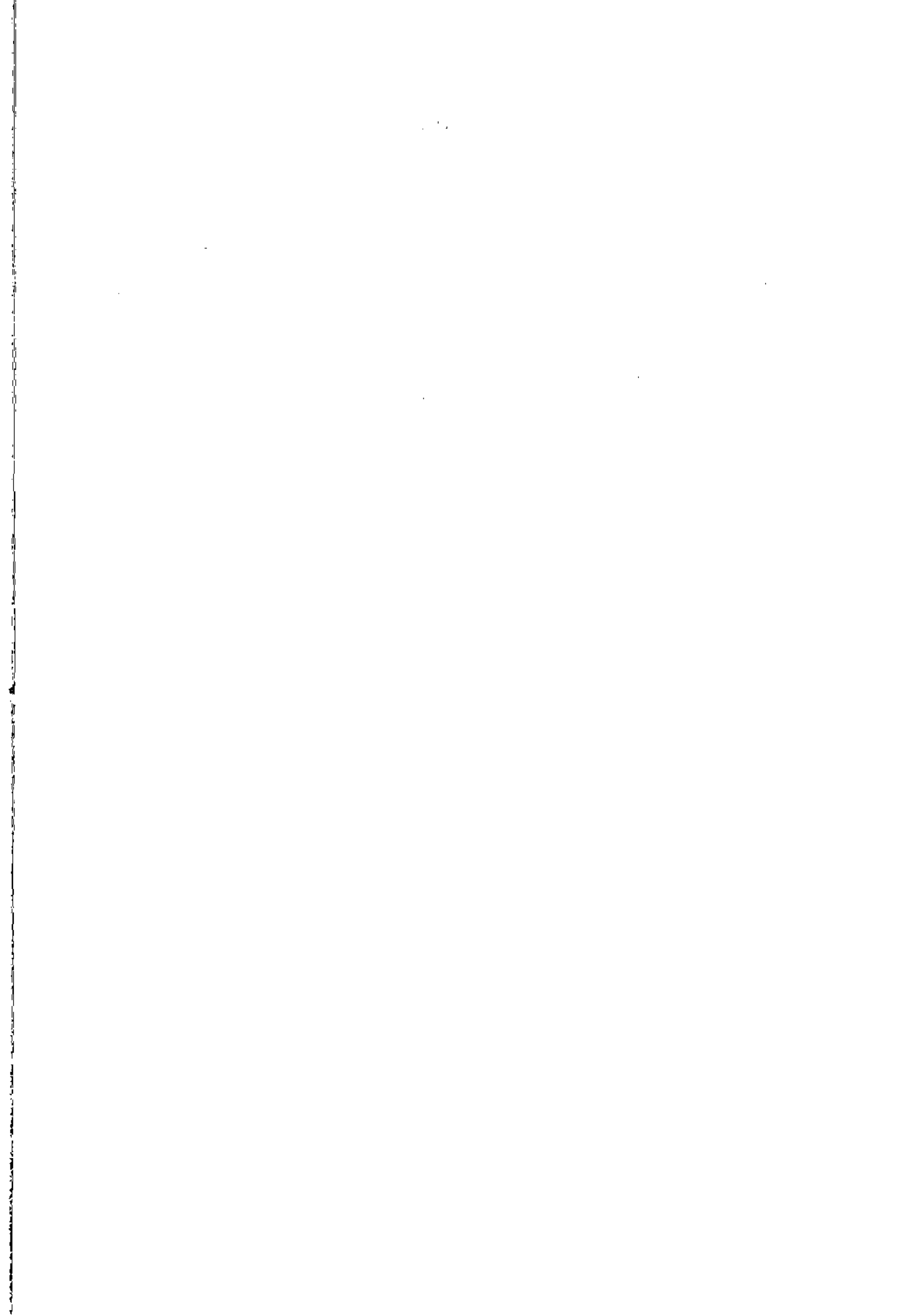
بيت المتونى (١٤٦) :

من مجموعة « جويلان » وثائق عن شرق أفريقيا • باريس ١٨٥٦ •

صورة طبق الأصـــل من خطاب بخط سعيد بن سلطان :

الأصـــل محفوظ فى متحف سالم فى ماساشوستس بالولايات المتحدة الأمريكية • ويحمل الخطاب تاريخ ١٤ رجب عام ١٢٦٠ هـ (١٨٤٥) وهو موجه إلى محمد بن ســـالم والثوينى ، ابن أخ سعيد ونجـــله • وكتب الخطاب للتوصـــية لشخص يدعى شبرد وآخر يدعى هوايت ، ويبدو أنهما كانا يبحران من زنجبار الى مسقط •

قبر سعيد بن سلطان فى زنجبار ، ويحمل لوحـــة تذكارية أقيمت عام ١٩٢٥ •



مقـــــــدمة

تعـــد دولة عمان أقل الأجزاء المعروفة للعالم الخارجى من بين المناطق شبه المجهولة فى الجزيرة العربية ، فقـــد عزلتها عن بقية الأراضى فيافى صحراوية شاســـعة ، وعزلتها عن البحر سلسلة من الجبال الهـــائلة التى يصعب اختراقها • ولهذا السبب ، لن نجـــد داعيا للاعتذار عن تقـــديم كتاب يتناول بالحـــديث سيرة أعظم حكام عمـــان ، إن لم يكن للجزيرة العربية بأسرها ، وهو طليعـــة عمـــل تاريخى ضخم تحت الاعـــداد الآن عن مملكة البوسعيد فى عمـــان وزنجبار • وإن قائمة المصادر والمراجـــع الوفيرة تدل دلالة قاطعة على أننا لم ندخر وسعا فى سبيل وضع هـــذه السيرة على أسس ثابتة من الوقائع والحقائق التاريخية • ولكن نظرا لأن الشواهد الوثائقية قليلة نسبيا ، بل وفى كثير من الأحيان متضـــادة ، والى حـــد بعيد تقوم على تقاليد غير موثوق بهـــا ، فإن هـــذا العمل ليس بالأمر الهين • ولهـــذا السبب فإنه لا بأس من المطالبة بشىء من التسامح أو الغفران لوجود بعض الهنات التى حدثت دون إمكان تجنبها •

ونظر لكثرة الاشارات الى المصـــادر التى يمتلىء بهـــا المتن فقـــد رؤى من الحـــكمة أن نقلل منها بقـــدر الطاقة ، وهكذا سنورد اســـم المؤلف أو الحروف الدالة عليه ، على أنه فى استطاعة القارىء الحصـــول على تفاصيل دقيقة وكثيرة عما يريد الاستفسار عنه فى قائمة المصـــادر والمراجـــع •

وبعد دراسة الآراء المتعددة المتشعبة المتعلقة بتهجئة الكلمات العربية بالألفاظ الانجليزية ، فإننى وجـــدت من الضرورى أن أشرح كيف سرت تبعا لحـــكمى حول ذلك الأمر • وإن القارىء سوف يقـــدر مدى هـــذه الصعوبة عندما يدرك أن عاصـــمة عمان بمفردها يمكن تهجئتها بخمســـة

أشــكال [١] : Mascat , Muscat , Maskat , Masqat , Muskat وإن التساؤل يزداد تعقيدا بالحقيقة الثابتة من أنه حتى فى اللغــة العربية فإن الاسم قــد يقــدم على الأقل فى ستة طرق مختلفة • ونظرا لهــذه الظروف فإننى آمل أن يجــد حكمى التعسفى قبولا مع قــدر من الرفق أو الصبر •

وإننى أريد أن أعبر بصراحة عن شكرى للمستر اريك باور ــ الكوك من « جرايزان » ، وللمستر انتونى ثورن ب • أ • لما قدماه من مساعدة قيمــة فى اعداد هــذا الكتاب •

كذلك أعبر عن امتنانى للسير كلود هوليس المقيــم البريطانى فى زنجبار ومستر برترام س • توماس المستشار المالى لصاحب الجــلاله سلطان مسقط وعمــان ، لما أبدياه نحوى من اهتمام وتشجيع •

ر • س — ر •

---

(١) انظر تقارير حكومة بومباى ــ الخريطــة الرسمية لبــلاد العرب ، اعدتها مصلحة المساحة الهندية وروجعت عام ١٩١٦ ، Hogarth : مختصر تاريخ البحرية العربية ، الريحانى والمجلة الجغرافية .

الفصل الأول

تاريخ عمـــان القـــديم

لم يكن حـــكم البوسعيد قبل عصر سعيد بن سلطان قـــديم العهد فى عمان . فقـــد حل محل أسرة اليعاربة [1] القـــديمة . وكانت الظروف التى تأسس فيها حـــكم البوسعيد مشابهة تمام المشابهة لظروف الأسرة السابقة لهـــا . وكان اليعاربة قـــد وجدوا الفرصـــة سانحة عندما احتل البرتغاليون البلاد فى القرن ١٧ [2] . كذلك كان للغزو الفارسى فى القرن ١٨ والذى تم بنـــاء على استدعاء من سيف بن سلطان الثانى (١٧٤١) [3] لمســاعدته ضد سلطان ابن مرشد [4] الذى عزله عن الحـــكم ، ما أثار النعرة الوطنية لدى العمانيين دفعهم الى المطالبة بإيجاد حكومة مركزية .

---

(١) فيما يختص بأسرة اليعاربة (١٦٢٤ — ١٧٢٤ ، ١٧٢٨ — ١٧٤١) انظر كتاب Miles فصل ٤ ، Badgar الذى يتحدث عن الموضـــوع فى كتابه . كذلك كتاب Burton ص ٢٨٥ . وقد ثار حمير بن سليمان اليعربى بالتحالف مع محمد ناصر الجبرى ضد سعيد بن سلطان واستولى على قلعـــة نخل حوالى عام ١٨١٥ . وبعد نجاحه فترة أوقعته الخيانة فى يد سعيد وقتل . انظر .Rep ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٥ . وقد اقام بعض أفراد الأسرة الحاكمـــة السابقة عام ١٨٨٥ فى سيجاء بوادى سمائل حيث وجدوا ملجأ ضد عمليـــات الاعدام التى قام بها خلفاؤهم البوسعيد . انظر .Rep ١٨٨٥/٨٦ ص ٢٢ . ويبلغ عدد افراد قبيلة اليعاربة الآن حوالى ٨٠٠ نسمة مستقرين فى نخـــل والطوية ، الطيخة Tikkah ، الحزم Hazam . انظر Handbook ص ٦٠٠ .

(٢) بخصوص الوجود البرتغالى فى شرق الجزيرة العربية انظر Miles فصل ٣ ، .Rep ١٨٨٤/٨٥ ص ٢٤ ، Burton ص ٢٧٨ .

(٣) انظر Badger ص ص ١٣٢ ، ١٤١ ، ١٤٧ .

(٤) نصب اماما فى مسجد نخل عام ١٧٣٨ — انظر Badger ص ١٤٥ .

ولم يكن سلطان بن مرشد الشخص الذى يهتبل الفرصة ، وإذا كان مجىء الفرس قد تم باعتبارهم مساعدين ، إلا أنهم سرعان ما أصبحوا سادة الموقف ، واستولوا على مسقط ، ومن هذه القلعة الجبلية الحصينة ، التى تحميها بشكل يدعو الى الدهشة سلسلة من الجبال المحيطة بها ، استطاعوا التقدم ونجحوا فى الاستيلاء على القطر بأسره وأخضعوه تحت نير العبودية الفارسية • ولم يكن بالشىء الفريد فى تاريخ البلاد أن يستطيع السلطان القبض على السلطة ، ولكن لم يكن فى استطاعته الاحتفاظ بها • هكذا كان حال سيف الذى لم يتردد فى استدعاء العدو التقليدى ، ولكن لم يكن فى استطاعته السيطرة عليه • ولم تكن هذه هى الفترة الوحيدة التى أثبتت فيها قلعة صحار أنها المكان الذى يتجمع فيه شمل الوطنيين العمانيين • وفى هذه الظروف تركزت مجموعة صغيرة من المدافعين البواسل تحت إمرة أحمد بن سعيد الذى ينحدر من أسرة متواضعة [١] ، ولكنها نقية لا عيب فيها ، وكان مواليا سرا للأسرة المالكة [٢] • واستطاعت صحار — تحت إمرته — الصمود ضد العدوان الفارسى وسيف الذى كان يشعر بالغصة ، واستمرت القلعة صامدة على الرغم من محاولات سلطان بن مرشد الاستيلاء عليها • وليس من أقل خصال العنصر العربى الشهيدة السالفة أنهم يتجمعون حول شخصية بطولية ، وبينما هم يمنحون حاكمهم الامامية ، فإنهم مع ذلك لا يقدمون سوى القليل من الاحترام نحو القداسة التى يعزونها إليه ، الى الحد الذى يسمح لهم بأن يحولوا ولاءهم دون وخز من ضمير الى أى شخص يعدهم بحماية مصالحهم الوطنية • لذلك لم يكن أمرا غريبا — كما يبدو لأول وهلة بالنسبة للمشاهدين الغربيين — أن يعد أحمد بن سعيد رئيسا لعمان على الفور بالرغم من كونه حبيس معقله • وقد ساعده حدوث

---

(١) كان تاجرا ، انظر Badger ص ص ٣٧ ، ٤٥ ، كذلك Oppenheim ج ٢ ص ٣٤٠ ، Huart ج ٢ ص ٢٦٨ وكان جمالا انظر Rep. ٨١/١٨٨٠ ص ٣٢ ، Curzon ج ٢ ص ٤٣٥ .

(٢) انظر Badger ص ص ٣٧ ، ١٣٣ .

وفاتين فى وقت واحـد ، فقد قتل سلطان بن مرشد [١] عقب فشل محاولته تخليص نفسه ، وتوفى سيف المعزول فى نفس الوقت فى الحزم [٢] •

وقـد أبدى أحمد على التو تصميمه القوى الذى أصبح سمة مميزة لأسرته وفى عام ١٧٤٤ استطاع استعادة مسقط وطرد الفرس من عمـان وأسس الأسرة الحاكمة المالكة البوسعيد ، ومنها خرجت شعبة تحـكم زنجبار حتى وقتنا الحاضر • وإن حـكمه فى عمـان لا يحتاج الى تعليق طويل ، فهو حـكم يبدو فيه التشابه مع الحكومات المركزية وقد تأسس كما هو أمر متوقع فى قطر تقسمه سلاسل جبليـة عازلة ، ويعيش فيـه العـديد [٣] من القبائل تحرص كل قبيلـة منهـا على الاحتفاظ بكيانها • وقـد استطاع أحمد المزج بين السياسة والجهـد والنشاط • فمن ناحية تزوج من ابنة الأسرة التى قضى على سلطتها وعزلها وحل محلها [٤] ، ومن ناحية أخرى دعم مركزه بشن حملات تأديبية ضـد القبائل التى ساندت الفرس ، وهناك دلائل تدل على أنه مد نفوذه حتى ممبسة وزنجبار [٥] •

---

(١) انظر Huart ج ٢ ص ٢٦٩ ، وقيل انه انتحر انظر Burton ج ١ ص ٢٨٧ ، Miles ص ٢٥٩ •

(٢) انظر Badger ص ١٥٠ •

(٣) انظر Handbook ص ص ٥٤٦ — ٦٠٢ ويحدد عدد القبائل بـ ٢٢٠ قبيلة ، Rep. ٨١/١٨٨٠ ص ١٩ ، Miles فصل ٨ مذكـرة عن التقسيمات القبلية فى ولاية عمان لتحديد جداول القبلئل بقلم E. C. Ross ١٨٧٢ . تقارير الجمعية الجغرافية فى بومباى ج ١٩ قسـم ٣ (١٨٧٤) عن أسماء قبائل عمان وخريطة تبين أماكن التوزيع العام للقبـائل العمانيـة بقلم E. C. Ross

(٤) انظر Burton ج ١ ص ٢٨٨ ، Oppenheim ج ٢ ص ٣٤١ . مختارات من بومباى .Bomb. Sel ص ٧ ، Miles ص ٢٦٦ ، Badger ص ٤٦ ، Palgrare ج ٢ ص ٢٥٦ ، Wellsted ج ١ ص ٣٩٧ ، Niebuhr ص ٣٠٥ ، Kersten ص ١٨ ، Spengler ص ٤٠٧ تشير الى انه فى العالم العربى تحاول الأسرة الحاكمة تقـوية مركزها بالتزاوج مع الأسرة الحاكمة المعزولة .

(٥) انظر Burton ص ٢٨٩ ويبدو أن المؤلف يحتمل انه يشير الى حملة حامد بن سعيد بن أحمـد عام ١٨٧٤ — انظر .Rep ٨٤/١٨٨٣ ص ص ٢٠ ، ٢٨ •

وإن النفوذ العمانى فى زنجبار يمتد لفترة طويلة ، إذ يعود على أية حال الى عام ١٦٨٩ عندما دعا سيف بن سلطان الأول لطرد البرتغاليين [١] . ومنذ ذلك التاريخ فصاعدا ازداد نفـوذ عمان الخارجى أو اضمحل تبعا لقوة حكامها أو ضعفهم . وعلى الرغم من أن كولونيل مايلز (ص ٢٦٦) يقرر أنه فى عام ١٧٥٠ أرسل احمد بن سعيد حكاما الى موانى ممبسـه وكيلوا وزنجبار ، فإن من الواضح أن سيطرته على الساحل الشرقى لأفريقيا كانت ضعيفة .

وتوفى أحمد عام ١٧٨٣ ، واختلفت المصـادر حول تحديد ذلك التاريخ فقيل انه ١٧٧٥ أو ١٧٨٣ أو ١٧٨٥ . ولكن يمكن القول إنه قـد وضع حـد لهـذا الاختلاف بالنقش الموجود على قبره فى الرستاق والذى يحدد ذلك بالتاسع عشر من المحرم عام ١١٩٨ هـ الموافق ١٥ ديسمبر ١٧٨٣ [٢] .

إن وفاة حاكم عربى إشـارة الى اندلاع الفوضى فوريا وبخاصـة فى عمـان حيث ينتشر بين القبائل احساس بأن منح الامامة إنما هو بين أيديهم وإن حـكم الابن الأكبر ليس موضـع مناقشة [٣] . وتبعـا لذلك فقـد وقع الاختيار ، لسوء الحظ على سعيد بن أحمد ، وكان شخصـا

---

(١) بخصوص الحملة الأولى التى ارسلها حاكم عمان الى شرق أفريقيا انظر Miles ص ٢٢٠ ، Badger ص ٩٢ ، Ross ص ٥٦ ، Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٧ ، Strandes ص ٢٣١ ، Grandidier ص ٣٤ .

(٢) انظر Miles ص ٢٨٠ ، Rep. ١٨٨٧/٨٨ ص ٢٣ .

(٣) انظر Sehmidt ص ٩٨ ، Newman ص ٥٥ ، Lyne ص ١١ .
وبعد وفاة سعيد بن سلطان فقد عين لورد كاننج بعثة للتحقق من الادعاءات حول وراثة الملك على مسقط وزنجبار . وقد كتب Badger فى تقريره « من بين جميع الذين حكموا لا يوجد شخص واحد انتحل او مارس الحق فى تعيين وريثه أو تصرف فى أملاكه بمقتضى وصية أو أى شيء مشابه . وعند وفاة أى حاكم فان عضو الأسرة الذى يتصادف ممارسته النفوذ الأقوى فى تلك الفترة فانه يتقدم غيره أو يقدمه الآخرون لتولى الحكم وقد يثير بقية أقارب الحاكم المتوفى النزاع . وقد تندلع نيران الحرب اثر ذلك ، ويتولى الأقوى المنصب الشاغر . ولكن حتى فى مثل هذه الأحوال فان الحق فى تولى الحكم لا يعد أمرا واقعا بدون اجماع القبائل الرئيسية بالصلاحية انظر Lyne ص ٥٧ .

ضعيفا لا وزن له [١] ، وكان من المؤكد عـدم اسـتطاعته الاستمرار فى الحـكم لولا الوصاية القوية على العرش التى مارسها ابنه حمد ما بين ١٧٨٥ حتى ١٧٩٢ [٢] ٠ وكان فى الأسرة على أية حال شخصان قديران ، فإن سعيد بن أحمد أخو سلطان أحبطت رغبته فى الامامة وعدم استطاعته الاستيلاء على الرستاق (وكانت هى العاصمة آنذاك) فاستولى على مسقط، وكانت عينه ــ دون شك ــ على تلك المدينة التى تقع على شاطىء البحر مكونة ميناء جيـدا آمنا ، ويحميها من جهـة اليابس سلسلة من الجبال التى يستحيل عبورها ٠ وهكذا أضفت عليها الطبيعة حماية طبيعية إذ لا تخرج من المدينة أى طرق بل تبدأ الطرق من ميناء مطرح الصغير الى الشمال ٠ وإذ وجـد سيف بن أحمـد ، وهو الابن الرابع لأحمـد بن سعيد ، أن ادعاءاته فى أحقيته للامامة قـد قضى عليها ، فإنه اتجه صـوب شرق أفريقيا عام ١٧٨٤ [٣] وفرض حصـارا على ممبسـة ٠ وعندما وصـلت أخبار هـذا الحصار [٤] الى أسماع سـعيد بن أحمد أرسل ابنه حمـد لانقاذ المدينة ٠ وفى اللحظة التى كانت المدينة فيها على وشـك السقوط استطاع ابن الأخ طرد عمه ٠ وإذ شعر سيف بن أحمد بخيبة الأمل للمرة الثانية ، اعتزل فى لامو Lamu بشرق أفريقيا حيث توفى تاركا وراءه ابنه بدر [٥] ٠ وأصبح على المسرح العمانى شخصيتان أساسيتان همـا ابنا أحمـد : أحـدهما سلطان بن أحمد ، والآخر سعيد بن أحمـد الذى استطاع بعد وفاة حمـد ١٧٩٢ أن يركز نفسه فى شمال البلاد ، وكان موقفه لا يرتكز على قدر من القوة ٠ حقـا إنه كان الامام [٦] ، ومن ثم كان يملك السيطرة على عقول وأرواح أتباعه نتيجة لما يملكه من تبجيل

---

(١) انظر Miles ص ٢٨١ ٠
(٢) انظر .Rep ١٨٨٧/٨٨ ص ٢٣ ٠
(٣) انظر .Rep ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٠ ٠
(٤) انظر .Rep ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٠ ، ص ٢٨ ٠
(٥) .Rep ١٨٨٣/٨٤ ص ص ٢١ ، ٢٢ ٠
(٦) انظر ملحق ب ٠

روحى • ومن المؤكد أن سيطرته على الرستاق قــد ساعدته على تولى الامامة حيث يقع فى المدينة أكبر مساجد عمــان ، ومن ثم كانت المدينة هى المركز الدينى فى البلاد • ولكن القوة الفائقة للعمانيين كانت تميل لفقدان مظهرها الروحى مع ازدياد مظهرها الدنيوى • ولا شك أنه قــد جاء زمن كانت فيه السيطرة على الرستاق وبها المسجد الكبير ، تحمل امتيازا مجازيا بما يتضمن السيطرة على عمان • وقــد توقف هــذا الأمر ، وبعد وفاة سلطان ظهر بجلاء الميل الى التفرقة بين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية • وقــد انتحل آخر البوسعيديين فى الواقع لقب سيد [١] ، وبغض النظر عن بعض الاستثناءات فلم يصــل أحــد منهم الى منصب الامامة •

وازداد ضعف سعيد بن أحمد بمناعة موقفه فى الرستاق التى أثبتت أنهــا الى جانب ما كانت تضفيه من حماية عليه فهى لا تزيد عن كونهــا سجنا له • وإن طرد البرتغاليين ترك عمان متحررة نسبيا من التدخلات الخارجية مع مراعاة وجود النجــدين • وبين الحين والاخر كان النجديون يهاجمون العمانيين داخل البــلاد ويغيرون على مدنهم ويفرضــون عليهم غرامة ثم ينسحبون • كذلك كان القواسم وهم احــدى القبائل العمانية يغزون بين الفينة والفينة بعض مراكز السلطة الشرعية ويحرقون السفن وينهبون التجارة وينسحبون • كانت هــذه تقريبا هى الكوارث المستمرة التى تعرض لهــا العمانيون ولم يتوقعوا التخلص منها تماما • ولكن لم يكن من المتوقع انحسار الصــلات تماما مع الخارج وبخاصة مع أوربا • وقد تم ذلك فعــلا نظرا لأن سواحل عمان تواجه بلاد السند بالاضافة الى

---

(١) انظــر Ingrams ص ٧٣ ، Badger ص ص ٣٧٧ ، Huart ص ٢٧٦ ، Pearce ص ١١٠ ، Handbook ص ٣٧ ، Mansur ص ٤٩ ، Massignon ص ٥٩ ، Ingrams ص ٧٣ يقول « ومن ثم فان جميــع امراء الأسرة المالكة اتخذوا لقب السيد واضافوه الى اسمائهم ، واتخــذت الأميرات لقب السيدة . وهذا الاستخدام للقب سيد يجب الا يلتبس مع معناها الدينى فى بعض انحاء بلاد العرب وفى البلاد الاسلامية بصفة عامة حيث تشير الى سلالة النبى عن طريق ابنته فاطمة .

الموقع الممتاز لمسقط كميناء على الطريق الى الهنـــد • وكان الفرنسيون هم أصحاب المبادرة الأولى لاقامة علاقات تجارية منسقة • ولكن تشـــير التقارير الى أنه فى يوم ١٢ اكتوبر ١٧٩٨ وقعت معاهـــدة [١] ســـمح بمقتضاها للانجليز بإقامة مصنع وأن يقوم بحمايته حامية فى بندر عباس • وتقرر السلطة ذاتها أن معاهدة إضافية وقعت عام ١٨٠٠ [٢] وقد وقعهـــا الكولونيل (سير فيما بعـــد) جون مالكولم والذى كان آنذاك فى طريقه الى بلاد فارس فى بعثة هامة • وبما أن هـــذه المعاهدة تنص على وجـــود « مندوب انجليزى مقيم فى مســـقط » فإن هـــذا يدل على احتمال بدء التبادل التجارى قبل عام ١٧٩٨ وبالتأكيد ليس بعد عام ١٨٠٠ • وليس هناك ما يدعو الى التفكير فى أن هـــذه كانت مسألة منسقة • فإن تبادل المراكز والمواقف الفرنسية والانجليزية فى صراعهما حول البحار والهنـــد كان تأكيدا لذلك • وسوف نجـــد الفرنسيين يحسنون استخدام مســـقط كقاعدة يفتكون منها بالتجارة الانجليزية •والأمر الهام فى هاتين المعاهدتين الحاليتين فيما يخصنا الآن على أية حال ، أنهما لم يوقعا مع سعيد ولكنهما وقعا مع أخيه سلطان الذى لم يكن حاكما دستوريا ، ولكنه من الواضـــح كان الحاكم الفعلى • وبموت سعيد بن أحمد عام ١٨٠٣ انتهى هـــذا الوضع الشاذ [٣] • ومنذ ذلك الحين وحتى وفاة الأخير غير المحـــدد تاريخهـــا فى العام التالى ، أصبح سلطان هو الحاكم الأوحـــد فى عمان ، وقد وجد من نفسه الثقة الكافية للمسير قـــدما نحو مكه [٤] تاركا خلفه ابنيه اليافعين سالم وسعيد تحت وصاية اثنين من أثرياء الأسرة من بعيدهما محمد بن ناصر

---

(١) اول معاهدة انجليزية فى بلاد العرب Miles ص ٢٩١ ، .Rep ١٨٨٧/٨٨ ص ٢٥ . النص الكامل للمعاهدة فى كتاب Treaties ص ٢٠٧ ، Bomb. Sel. ص ٢٤٨ .

(٢) النص الكامل للمعاهدة فى كتاب Treaties ص ٢٠٨ ، Bomb. Sel. ص ٢٤٩ .

(٣) انظر .Rep ١٨٨٧/٨٨ ص ٣١ ، Badger ص ٣٨٠ ، Huart ص ٢٧٦ .

(٤) انظر Badger ص ٢٣٢ ، Miles ص ٢٩٦ ، .Rep ١٨٨٧/٨٨ ص ٢٧ ، Huart ص ٢٧٤ .

الجبرى [١] ومحمد خلفان [٢] • وكيفما كان الأمر فإن الحج لم يكن قائما فقط على أساس من التقوى ، ذلك أن الفتن المتزايدة كانت سببا فى الازعاج سواء فى الحجاز أو فى عمان وفى خلال هذا العام استنفرت الأراضى المقدسة المؤمنين لحمل السلاح وإبعاد هذا المصير الذى حاق بهم عام ١٨٠٨ • واستجابة للنداء أبحر سلطان فى فرقاطة موسوقه بالأسلحة والعتاد [٣] • وبالرغم من أن هذه الرحلة كانت موجهة لحاجة سياسية الى جانب الرغبة الشخصية ، فإنها تدل على قدر لا بأس به من الثقة بسلطان وما يستطيع مواجهته من المخاطر التى يتعرض لها وبخاصة فى العام نفسه الذى توفى فيه منافسه • وكانت الأمور تدل على ضعف قدر هذا المنافس ، وكما أصبح واضحا فإن الأخطار كانت تستحق الاهتمام • إذ أن بدر بن سيف بن أحمد عندما سمع بغياب عمه — وكان أبوه قد توفى فى المنفى فى لامو بعد أن اضطر الى رفع الحصار الذى كان قد ضربه حول ممبسه — هاجم مسقط من البحر فجأة ووضع ابنى عمه والوصيين عليهما تحت الحراسة والتحفظ وأخضع كل المناطق فيما عدا القلعة الشرقية من المدينة • وليس هناك شك فى أن بدر كان فى استطاعته اغتصاب المكانة السامية لولا أن سلطان عاد فى الوقت المناسب لفك الحصار عن القلعة وطرد بدر مرة أخرى الى المنفى • وكان من الطبيعى أن يلجأ بدر للاستعانة بالنجدين ، ولا نستطيع القول إن هذه كانت المرة الأولى أولا إذ أنه من الأمور المثيرة للدهشة أنه فى نفس الوقت الذى هاجم فيه بدر مسقط بحرا كان النجديون يهاجمون السويق[٤] برا ، وهى قرية فى شمال البلاد كان سعيد الابن الثانى لسلطان قد أخضعها قبل

---

(١) الصلة بين محمد بن ناصر كانت عن طريق والدة سلطان بن أحمد . انظر Rep. ١٨٨٧/٨٨ ص ٢٣ ، Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٠ . وكانت زوجة سلطان ابنة خلفان ابن محمد الواهولى البوسعيد ، انظر Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٢ .

(٢) انظر Rep. ١٨٨٧/٨٨ ص ٢٧ .

(٣) Rep. ١٨٨٧/٨٨ ص ٢٧ .

(٤) Rep. ١٨٨٧/٨٨ ص ٢٨ .

عام. وهكذا تبدو العمليات الحربية كأمر مدبر متفق عليه حيث جاء الهجوم البرى من الشـــمال متوازنا مع الهجوم البحرى فى الجنوب [١] . وهــذا كله أمر حدسى ، والشىء المؤكد أنه بعد طرد بدر من مســقط فإنه التجأ بشــكل صريح ونهائى الى نجــد ولكى يضع حــدا لعــدم رضائه عما هو فيه من أنصاف الحلول فقد ترك مذهبه معتنقا مذهبــا آخر [٢] وكان من سوء الطالع أن يختار سلطان العــام التالى أى ١٨٠٤ عام رحلتــه الى البصرة لتلقى الهبة السنوية التى يمنحها له السلطان العثمانى مصطفى الثالث منذ بداية منحها لأبيــه أحمد عام ١٧٥٦ مقابل المساعدة التى قدمها ضــد الفرس [٣] . وفى طريق عودته وقبل وصــوله الى بندر عباس بيوم واحد ، صمم على أن يعرج لزيارة هذه المدينة ، وكانت الصلات وثيقة بينها وبين عمــان . ومن ثم فإنه انتقل من إحدى الجنجاوار Jinjawar حيث كان يستكمل رحلته الى اليخت البدرى ، وعند الغسق وجــد نفسه أمام تحــد من ثلاث عصابات من القراصنة بالقرب من لنجه Linjah للدخول فى معركة خارج الميناء . وتم اللقــاء فى صبيحة اليوم التالى . وبالرغم من أن الدائرة دارت على القراصنة إلا أن ســلطان فقــد حياته بالطلقات الأولى [٤] .

وأصبح المسرح الآن معدا لصراع حول إقامة خلافة جديدة . وكان محمد بن ناصر فى مسقط بصحبة الشابين تحت الوصاية : سالم البالغ من

---

(١) Huart ص ٢٧٤ .

(٢) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢١ ، Rep. ١٨٨٧/٨٨ ص ٢٧ ، Miles ص ٢٩٧ ، Badger ص ٢٣٣ .

(٣) Badger ص ٢٣٨ ، Rep. ١٨٨٧/٨٨ ص ٣٠ ، Huart ص ٢٩٠ .

(٤) Badger ص ٢٣٨ ، Rep. ١٨٨٧/٨٨ ص ٣٠ ، Miles ص ٣٠٣ ، Fraser ص ١٣ ، Low ص ٣١٦ Cornacez ص ٥٩ ، Mansur ص ٢ ، Raymond ص ٢٩ .

العمر ١٥ عاما ، وسعيد وكان فى سن الثالثة عشر [١] ، عندما نما الى علمه أن مرشحا ذا شأن كبير دخل الميدان ألا وهو قيس بن أحمد الذى كان يهرع نحو الجنوب • وأسرع محمد بن ناصر فى إقامة خطوط دفاعية حول مطرح ومسقط وبعث بنداء استغاثة الى قبيلة الغافرى Shafiri الصديقة [٢] • ولكن هذه التحصينات لم تكن كافية لصد غائلة قيس من الاستيلاء على مطرح • واذ كان قيس يتيه اعجابا بنفسه لهذا النجاح ، فإنه لوح بمحاولة شراء ناصر برشوة تبلغ ٢٠٠٠ دولار شهريا [٣] • وعند ذلك أشارت بيبى موزه أخت سلطان بن أحمد ، وعمة الصبيين ، على الوصى بأن يستنجد ببدر والنجدين • وقد أسرع بدر بتلبية النداء ، ووصل الى مسقط وقام بعدة عمليات كان القصد من ورائها تأمين الحكم لنفسه ، إلا أنها انتهت بوفاته هو نفسه • وكانت عمليته الأولى حفز النجدين الى ادخال الرعب فى قاعدة قيس بالهجوم على صحار ، ونجحت الخطة واضطر قيس الى توقيع الصلح ، وتنازل عن كل ادعاءاته فى السلطنة على أن تصبح صحار تحت سيطرته ، وكذلك استولى على منطقة الخابورة وجزء من باتنه Batinah •

وقد تزامن انسحاب النجدين مع عودة الشجاعة الى قيس ، وفى خلال شهر من وصوله استولى على مسقط بهجوم مفاجىء • ولم يعمل قيس على تحصين الجبال التى تطل على مسقط ، واذ قدمت قبيلة الغافرى بقوة للنجدة ، فاضطر الى الانسحاب الى مطرح • وهنا وضعت خطة أخرى تم بمقتضاها ضم هذا الموقع الى ممتلكاته السابقة ، وأن يتلقى جزية شهرية قدرها ١٠٠٠ دولار [٤] • ولكن بدر قد شعر بعدم الرضا عن حجب مخططاته ، وبدأ يمارس سلطته بيد طليقة ، وعين

---

(١) ولد فى سمائل عام ١٨٩١ انظر Badger ص ٢٥٩ .
(٢) انظر .Rep ١٨٨٣/٨٤ ص ٢١ .
(٣) انظر Badger ص ٢٦٢ .
(٤) انظر Badzer ص ٦٨ .

ابنى عمه سالم وسعيد [١] فى منصبين رسميين فى الدولة : الأول واليا على المصنعه والثانى على بركاء ، واذ استطاع بذلك الاجراء ازاحة الأخوين عن مسرح الأحـــداث ، وأحس أنه بمأمن تام أخـــذ على عاتقه القيـــام بأعمال أخرى أكثر أهمية [٢] .

أما القواسم فقد انطلقوا من مخابئهم ، بعد موت سلطان ، الى داخل جزيرة كشـــم Kishm وحولها ، واستولوا على بندر عباس ، واتخـــذوا منها قاعدة لتوسيع نطاق نشاطهم العملى ، ونهبوا التجارة بدون تمييز . وكان من أثر ذلك اصابة تجارة انجلترا بمثل ما أصاب تجارة عمـــان . واستطاع بدر أن يستميل كابتن سيتون المقيم الانجليزى آنذاك فى الخليج الفارسى لمساندته [٣] لاستعادة المدينة . ولم يصادف أية صعوبة لتحقيق ذلك حيث كان القواسم قد أسروا مركبين انجليزيتين فى تهور غير معتادهما شانون وتريمر . واستطاعت القوتان المتحالفتان طرد القراصنة من بنـــدر عباس ، وبالرغم من أن الانجليز لم يشاركوا فى العمليات إلا بالوقوف على الشاطىء والاسهام بالمعونة المعنوية ، إلا أن الكابتن سيتون انتهز الفرصة للحصـــول على بعض الامتيازاه التجارية الاضافية [٤] .

---

(١) انظر Ingrams Chro. ص ٥ ويقرر أن والدة سعيد هى ثنيف بنت سيف . ويقول Guillain ص ١٥٤ ، Burton ص ٢٠٠ ان بدر بن سيف هو خال وفى نفس الوقت هو ابن عم سعيد . ولكن Rep. ٨٤/١٨٨٣ ص ٢٢ ، ٣٦ ، Miles ص ٣٠٩ يطلقان عليها اسم غنية بنت خلفان بن محمد الواهول أبو سعيد . (انظر Mansur ص ١٥ ويشير الى أن محمد بن خلفان ــ من المحتمل أن يكون اخا لغنية ــ هو عم سعيد) ومن ناحية اخرى فان Rep. ٨١/١٨٨٠ تقدم جدولا عن سيف بن محمد بن سعيد بن محمد بن عبد الله البوسعيد . وقد اشار Miles (ص ٢٩٣) اليه باعتباره حاكم مسقط عام ١٨٠٠ وأن غنية هى ابنته وهى أم سعيد ، ولم يرد ذكرها فى جدول خلفان بن محمد بن عبد الله الوكيل البوسعيد .

(٢) انظر Raymond ص ٣٠ .

(٣) انظر Rep. ٨٤/١٨٨٣ ص ٢١ ، Bomb. Sel. ص ٣٠٤ ، Cornacez ص ١٢٥ .

(٤) Miles ص ٣٠٦ .

أما القواسم فقد اتخذوا لهم أسلوبا مخالفـا لحساباتهم الأولى . إذ اشتركوا مع قيس فى هجوم للمرة الثالثة على مسقط ، لذا فإن بـدر عند عودته وجـد المدينة وقـد سقطت ، ورأى أن يركن الى حيله المعتادة فأقنع النجـدين بمهاجمة صحار مرة أخرى • ولكن الشاب اليافع سعيد استطاع القضـاء على هـذه العمليات المتشابهة المتبلدة ، بما يملكه من موهبة حربية ، فقـد انسل من بركاء واسـتولى على قرية بدبد وبذلك أصبح يهـدد خطوط مواصلات قيس • وكان هـذا الارتباط بسوء الحظ أكبر من أن يحتمله قيس الذى سرعان ما سلم مطرح والجزية واعتكف مرة أخرى فى صحار على ظهر سفينة انجليزية (١) •

ووجد بدر نفسه صاحب السلطة المطلقة فى البلاد ، ذلك أن ادعاءات قيس قد وجدت من يكبحها ، ولم تستطع استعادة ذاتها بعد ذلك• ومن ناحية أخرى فإن سعيد وسالم انفصـلا عن بعضهما ولم يكن من المنتظر أمام سالم الحصـول على نفوذ قوى فى العاصـمة مما كان يشـعره ببعض الرضـا ، فهو شجاع حقا ولكنه قليـل النشـاط • ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة لسعيد ، فإنه لم يكن لينسى أن مطالبه فى السـلطة تعتمد على ما ورثه من نسب رفيع من ناحية الأم ، الى جانب المكانة الرفيعة التى كانت لأبيه • وحتى اذا كان فى استطاعته نسيان الأمرين فإن ضغط الأحداث فى طول البلاد وعرضها كان يدفع سجيته القيادية كشـاب الى المقـام الأول •

وقـد سبقت الاشارة الى أن بدر كان قد ترك مذهبه معتنقا مذهبا آخر فى أثناء إقامته المؤقتة بنجـد ، وكان النجـديون يتقدون حماسـا لأفكارهم المتزمته الصارمة ، وكان هدفهم الأوحـد إحلال أفكارهم الخاصة محل العقائد الأخرى • وفى وثيقة معـاصرة تختص بتلك السـلالة كتبها

---

(١) Badger ص ٢٨٢ .

جون ريموند عام ١٨٠٦ [١] يقول « فى أحد الأيام قال أحــد النجدين فى أسلوب يشبه التنبؤ لقد اقترب اليوم الذى سنرى فيه أحــد العرب يجلس على كرسى الخلافة ، إننا قــد ضعفنا مدة طويلة وكافية تحت عبودية الغاصب » وكانت النغمة فى الحقيقة تتصف بالنبوة ، اذ أنه فى عام ١٨٠٨ استطاع النجديون الاستيلاء على المدينة المقدسة على الرغم مما واجهوه من معارضة من جانب تركيا وفارس ومصر وكل أقطار العالم الاسلامى ، وبالرغــم من القحط الطويل المدى والنزاعات الداخليــة [٢] ، واستمروا يحتلونها حتى استطاع محمد على عام ١٨١٠ تجميع قوات من مصر ضــد النجدين وأطاح بهم بعيــدا ، ويمكننا أن نتعرف على الحــكم النجــدى من صرامته وترمته وشدته فى فرض الغرمات الثقيلة على الناس • وهذا هو نظام الحــكم الذى عمل بدر على إدخاله بين شعب متــدين متمســك بالروحانيات تمسكا شديدا •

وقــد جــدت أمور أثارت الاستياء البالغ لدى القبائل ذلك أنه كان مندوب نجــدى يشاهد فى مسقط [٣] يشرف على جمع الغرامات وقدرها ١٢٫٠٠٠ دولار لحساب الغزاة [٤] • وإن الاحساس بوجوده لم يكن شرا لازما ، ولكنه كان سلاحا لتبجيل بدر شخصيا مع إدراك أن هناك قوة من ٤٠٠ فارس نجــدى فى بركاء يهددون الريف العمانى •

ولم يدفعهم كل ذلك الى اتخاذ أى إجراء ، فقد كانت البلاد محاصرة ، وكان العــدو متفوقا فى القوة ، ومن ثم لم يكن هناك مغزى من وراء أى هجــوم سريع • وفى هــذه الظروف استدار الحزب الوطنى الى سعيد فى بركاء • وقــد استمر الشاب هناك تحت تأثير عمتــه بيبى موزه وتحت

---

(١) Raymond ص ٣٤ •
(٢) Cornacez ص ١٤٠
(٣) انظر Miles ص ٣٠٧ •
(٤) انظر .Rep ١٨٨٣/٨٤ ص ٢١ ، .Rep ١٨٨٧/٨٨ ص ٢٨ ، Miles ص ٢٩٨ ، Mansur ص ٥ ويقدرها بحوالى ٥٠٫٠٠٠ دولار •

وصاية محمد بن ناصر • وبين هؤلاء الثلاثة نستطيع توزيع اللوم على عمل تشمئز منه النفوس فى الغرب أكثر مما يثيره فى العقلية العربية • ففى حوالى منتصف عام ١٨٠٦ (وليس مارس ١٨٠٧ كما يقول مايلز [1]) ؛ تلقى بدر دعوة من ابن أخيه لحضور مؤتمر فى بركاء • وبعد بضعة أميال وفى قرية صغيرة تسمى النعمان [2] تقابل بدر مع سعيد وصحبه ، وهناك فى القلعة القديمة وبينما الحديث الودى يدور بينهم اذا بسعيد ينقض على عمه ويجهز عليه بخنجره • وقد أثار هذا الحادث لوما شديدا لدى الأوربيين الذين تصادف وجودهم فى البلاد أو على مقربة منها ، بل وصل الأمر الى حد أن سعيد فشل فى الحصول على أيه مساعدة انجليزية ضد النجدين ومواليهم من القواسم [3] • ولكن لم يكن الحال كذلك بالنسبة للعمانيين الذين نظروا للأمر باعتباره عاطفة وطنية مشبوبة • وهكذا رجع سعيد قافلا الى عاصمته بينما كان النجديون يعودون فى تكتل ، مرتعبين الى مدينة البريمى على الحدود • وفى مسقط انضم سالم الى أخيه الذى أشركه فى الحكم على قدم المساواة •

ويقول روشنبرجر (جزء ا ص ١٣٨) إن سعيد وصل الى أسماعه عن طريق أصدقائه أن بدر ينوى قتله وأنه لم يعمل سوى إحباط هذه

---

(١) Miles ص ٣٠٩ ، Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٢ ، Guillain ص ١٥٨ ويقول ان سلطان قد بويع بعد ٤٤ يوما من مقتل بدر . أما **Burton** ص ٢٩٢ فيحدد يوم البيعة فى ١٤ سبتمبر ١٨٠٦ . ويبدو من هذا أن مقتل بدر كان ٣١ يوليو ١٨٠٦ كما يؤكد فى موضع آخر ص ٢٩٠ وكذلك Kersten ص ١١٩ .

(٢) انظر Geog. Jour. اكتوبر ١٩١٠ ص ٤٢٥ ، Lyne ص ١١ .

(٣) انظر Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٢ .

الرغبة العارمة [١] . ويقول مايلز « إن هــذا العمل ـــ الذى كان بعيــداً جــدا عن اعتباره جريمة تقابل بالاستنكار والشجب ، وقد صفقت له عمان وأصبح ينظر الى سعيد واعترف به من جميع الاتجاهات أن الله قــد وهبه الشجاعة العربية الفطرية وأنه أنسب الأشخاص للقبض على زمام السلطة ، وقــد نودى به كمحرر للبلاد من يد المرتد الذى كان على وفاق مع عدوهم ، وكان قيس من بين المبادرين الى اعتبار سعيد أصلح الأشخاص للحكم ، واعترف بتفوقه وسيادته » [٢] .

وإن الأحــداث التى من هــذا الطراز قــد أشار إليها وأعاد روايتها الريحانى (ص ١٦٦) بالاشارة الى بيت الرشيديين فى أواسط بلاد العرب

---

(١) يمكننا أن نلاحظ أن Brode يتحدث عن مثل هذا الدافع ، حيث ان مصرع توينى Thuwainy عام ١٨٦٦ تم على يد ابنه سالم ، وقد نودى به سلطانا بعد ذلك مباشرة بواسطة حكومة الهند . انظر Curzon فصل ٢ ص ٤٣٧ ـــ وهناك أربع أو خمس روايات عن هذه العمليات . ولا يتفق عربيان على التفاصيل .Rep ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٢ .

(٢) يمكن الرجوع الى النماذج الآتية للتعرف على ان الاغتيال كان سلاحا سياسيا بين العمانيين :

ـــ محمد بن عثمان المرزوى والى ممبسة قتل بتحريض من أحمد بن سعيد عام ١٧٤٥ ـــ انظر .Rep ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٨ .

ـــ بدر بن سيف من المفترض أنه المسئول عن اغتيال مهنا بن سليمان Badger ص ٢٧٠ .

ـــ سعود بن على : قتله سلطان بن أحمد عام ١٨٣٢ . انظر Badger ص ٣٥٥ ، .Rep ١٨٨٣/٨٤ ص ٣١ .

ـــ سيف بن حمود قتل بتحريض من أبيه حمود بن (عزان) Azzan عام ١٨٤٩ انظر Badger ص ٣٦٢ ، .Bomb. Sel ص ٢٢٨ ، .Rep ١٨٨٣/٨٤ ص ٣٥ ، Oppenheim ص ٣٥٤ ، Huart ص ٢٧٧ .

ـــ حمود بن عزان قتل على يد ثوانى بن سعيد ١٨٥٠ ـــ .Rep ١٨٨٣/٨٤ ص ٣٥ ، .Bomb. Sel ص ٢٣٠ ، Badger ص ٣٦٢ ، ص ٣٣١ .

ـــ قيس بن عزان قتل على يد هلال بن محمد الذى مات بدوره من أثر جرح أصيب به فى أثناء عملية الاغتيال ١٨٦٤ انظر Geog. Jour نوفمبر ١٩١٠ ص ٤٨٩ .

فى الآونة الحاضرة • وقـــد بلغ عدد المغتالين رقمـــا كبيرا • وها هى إحدى هـــذه الحوادث : دعا ثلاثة أخوة من فرع عبيد Ubaid ثلاثة من أبناء عمومتهم من فرع عبد الله الى رحـــلة صـــيد ، وخلف تبـــة فى الأرض المكشوفة وعندما غابت المدينة وراء الأفق ، انقض كل واحـــد من العبيديين على واحـــد من أبناء العمومة وذبحه فورا • ولم ينبس أحـــد من المرافقين ببنت شـــفة ، ولم يرفع أحـــد يده إلا ليحمد الله » •

وقـــد تحررت البلاد بضربة واحـــدة ، من النزاع الداخلى والسيطرة الأجنبية ، وهكذا النظرة الى النتائج الموفقة للعمـــل مهما بدت مظاهره الأخلاقيـــة •

الفصل الثانى

ســعيد يصــل الى الســلطة

واجه حكام عمان فى أواخر القرن ١٨ وأوائل القرن ١٩ مشــكلتين رئيسيتين : الضغط الخارجى ، وضعف التماسك الداخلى • وكان الامام فى الفترة الأولى والسيد فى الفترة الثانية يبدو وكأنه يمارس سلطات الحكومة المركزية ، فهو الحاكم الأعلى لأسرة من العرب المنحدرين من أصل واحــد ، وهو فى الواقع رئيس صورى اذ أنه يرأس مجموعة من القبائل المتناثرة التى تهتم بجماعتها أكثر من اهتمامها بالحــكومة المركزية التى يخضعون لها • ومن ثم كانت القوة التى يمارسها الامــام أو الســيد لا توهب له ، ولكنها كانت القوة التى يفرضها هو لنفسه • وبالرغم من ذلك ، فإنها لم تهــدأ عند حال معين ، وهى لا تمارس على أرض محــددة ولكن على العديد من القبائل ، وقــد يستيقظ الحاكم ذات صباح ليجــد احــدى القبائل وقد رحلت الى منطقة نائية ، أو أنها تحت بعض الضغوط قد انضمت الى العــدو التقليدى ، أو يجــد شخصية ظهرت فى إحــدى القبائل تسعى وراء السلطة والقيادة • وفى داخل هــذه الحــدود فإن الأوامر الملكية الصادرة عن السيد لن تجــد سبيلا الى تنفيذها إلا بممارسة ذلك عنوة • وهكذا تصبح حــدود مملكته مطاطية الشــكل تضيق وتتسع ولا دخل له فيما يحــدث •

وقلما كان هــذا الأمر يشكل نظاما ذا تأثير ضــد العدو الخارجى وفى الواقع وتحت رئاسة أكثر الحكام قوة ، لم يكد يمر عقــد من الزمان دون أن يهضم النجديون ومن يواليهم من العمانيين قطعة صغيرة كانت أو كبيرة من الأراضى العمانية ، مشعلين الحرائق فى القرى ، ناهبين المراكب الشراعية المحملة بالبضائع ، فارضين عليها الفــدية • ولكن تحت سيطرة حاكم قوى فإن أمثال هــذه العمليات من السلب والنهب كانت محصورة

ومحدودة بالحدود الخارجية للمملكة . ولكن كان الحال يتبدل عندما يتولى حاكم ضعيف ، وهو يعد نفسه حسن الطالع إذا نجا بحياته مع اقتطاع جزء من المملكة وفرض جزية ضخمة عليها . وفى العقد الأول من القرن ١٩ بدأت قوة النجدين إحدى فترات ازدهارها والتى كثيرا ما مرت بهم ولا تزال تحدث دوريا . لذلك فإن سلطان بن أحمد بالرغم من كونه حاكما ذا شكيمه ، فقد تغاضى عن بعض الأشياء فوافق على المصالحه ودفع مبلغا من النقود لما عرف ان مطلب هؤلاء الغزاه هو النقود ولم يشأ أن يشغل نفسه بغزاة لا يعرفون القواعد المدنية ولا هم لهم الا الغزو الخاطف إذ أنه كان مرتبطا بمدن وقرى ومساكن مستقرة ، وكان لديه كذلك أسطوله التجارى الذى يستغرق بعض تفكيره ، الى جانب تجارته التى يعمل على حمايتها . بينما كان الغزاة النجديون من جهة أخرى ، مجرد مجموعة قوية متمرسة على الغزو انحدروا من المجاهل الصحراوية ؛ ولم تكن الهزيمة تعنى لديهم الشىء الكثير ، فهم ينسحبون الى الصحراء آمنين من أى اقتفاء لأثرهم ، وبعد فترة من الاستعداد يعاودون الكرة بعد أن يسترجعوا قوتهم .

إن تقدير مثل هذه الحقائق يوضح أن الصعاب أمام عمان لم تكن هينة صغيرة الحجم بالنسبة لحاكم فى الخامسة عشرة من عمره . وبالرغم من أن اغتيال بدر قد تم تحت أنظار قوة احتلال نظامية مكونة من ٤٠٠ فارس ، فإن مركز سعيد كان من القوة بحيث استطاع طردهم الى الحدود الغربية لعمان . وكان سعيد على دراية تامة بأن عمان تمثل للنجدين غنيمة دسمة ، فهى مصدر دخل سهل ، أما العمانيون فكانوا ينظرون الى النجديين باعتبارهم وباء متكرر الحدوث ، يحارب إذا كان ذلك ممكنا ، ويحتمل إذا كان ذلك ضروريا ، وينسى إذا غاب عن الأبصار . ولكن دع النجدين ينسحبون من البلاد بضعة أشهر فيندلع العصيان المحلى المسلح فى صراع على الوجود الوطنى . وإذا تخيلنا أن سعيدا كان على غير علم بهذه الحقائق فإن هذا يعنى شيئا واحدا أننا لسنا عربا . فالأمر لم يكن يحتاج الى تفكير عميق ، والاحساس بذلك يسرى

فى الدماء • وعلى هــذا الأساس فإن سعيدا لم يكد يصل الى مسقط حتى أرسل الى الأمير سعود رئيس النجــدين خطابا ذا مغزى ينبىء عن الشر تجاه عمله [١] • وقــد كشف الخطاب عن أن مصرع بدر كان من فعــل محمد بن ناصر وأن سعيدا كان ينتوى إبعاده الى المنفى لفعلته هــذه ، وختم الخطاب بوعود بدفع النقود المعتادة • وقد فهم سعود الخطاب فهما أفضل مما حــدث لدى بعض الأوربيين الذين كانوا يتأملون الأمور منذ ذلك الوقت • وإن تدقيق النظر فى الخطــاب لا يدل على أنه ليس عرضا للتسليم ، إنه كان مجرد محاولة لتأخير توقيت بعض الأمور التى لم يكن سعيد يملك القوة لمواجهتها ، ورأى الأمير سعود أن يقدرها حق قدرها ، وهكذا بعث برد هادىء مستنكرا اتخاذ أى إجراء ضد محمد بن ناصر • وإنه لأمر يدعو الى الدهشة : كيف أن سعود لم يهاجم عمان فورا بدلا من إعطاء سعيد الفرصة والوقت لتركيز قواته وتوطيد سيادته الشخصية • ولكن العقليــة العربيــة لا تقيم كبير وزن لوضــع استراتيجية • وليس هناك شك فى أنه كانت بين النجــدين شقاقات ، كذلك فإنهم بدأوا يتطلعون الى الغرب نحو المدن المقدسة لتحقيق امنيتهم الالهية للطهــارة والنقاء أكثــر من نظرتهم الى الشرق ، الى عمــان ومتابعة ما تمتع به العرف من قداسة قــديمة فى التوسع الذاتى • ولكن يحتمل أن إمعان الفكر فى وجود فريسة أكثر ثراء على مقربة من يدهم كان — بلا شك — له أثره فى تطور الأمور •

ومهما كانت الأسباب ، فإن سعيد لم يترك الفرصــة تفلت من بين يديه ، ولم يكن بوسعه التوجه بنداء الى حكومة الهند — التى كان يمثلها آنذاك شركة الهنــد الشرقية — ولم يكن بوسعه كذلك الاشارة الى حكومة الهند بأن ما تقوم به القواسم من نهب تجارى ، شىء هام بالنسبة لهم كما هو بالنسبة إليه • ذلك أن الضمائر اللينة لحكومة الهند كانت قــد

---

(١) انظر Guillain ص ١٥٩ •

أهينت وأسيء إليها بطبيعة ما يحــدث فى عمــان ، وكان على ســعيد أن ينتظر حتى تثير الحصـــة التى سلبها القواسم والمنتزعة عنوة من المنبع ثائرة المديرين حتى ينهضوا لوضع حــد لهذا الخرق • واذ خيبت التوقعات آمال سعيد وأصابته بالاحباط ، فإنه توجه بالغريزة صوب الفرنسيين ، وفى ١٦ يونيو ١٨٠٧ وقع معاهــدة مع جنرال ديكان ممثل فرنســا فى موريشيوس • وبمقتضى هــذه المعاهدة التى جددت عــام ١٨٠٨ اقترح تعيين مندوب قنصلى فرنسى فى مسقط ، والاسراع فى زيادة الارتباطات التجارية الوثيقة (١) • ومن نافلة القول إنه قــد جدت أمور هامة ، اذ أن تجارة فرنسا البحرية ــ بعد طردها من الهند ــ اضطرت الى التمركز فى جزر موريشيوس وبوربون • ولما كانت هــذه التجارة ضئيلة الحجم فإن بقاءها غير الثابت والمطارد ، انتهى عنــد تسليم الجزر فى عــام ١٨١٠ ، واختفى الوجود الفرنسى تماما من المسرح • ولم تكن هى نهاية المأساة بالنسبة لسعيد كما كان يظن ، لأنه فى عام ١٨٠٨ جــدت أمــور جعلت الانجليز يعدلون عن موقفهم المتحفظ (٢) •

* ● *

أما القواسم الذين كانوا يعيشون عالة على حساب جيرانهم فى البحر ، كما كان النجديون يقومون بنفس الدور برا ، فإنهم انتهزوا الفرصــة التى سنحت لهم بسحب انجلترا مساندتها ونفوذها من النصف الجنوبى من الخليج الفارسى لكى يمدوا دائرة نشاطهم المكثف • والى حد ما فقد قاموا ببعض النشاط بالتحريض مع النجــدين • وبالرغم من أنه كان فى صالح الانجليز والفرس والأتراك والعمانيين أن يعملوا على استمرار إخضاع القواسم إلا أن الأمر ترك أمام أكثر تلك القوى الأربعة إقداما لكى تتخــذ الخطوة الأولى • ففى عام ١٨٠٨ أنهى القواسم اقتصــار

---

(١) Rep. ٨٤/١٨٨٣ ص ٢٢ •
(٢) Treaties ص ١٨٨ •

نشاطهم على قاعدتهم فى جزيرة كشم ، وبدأوا فى توزيع بعض مجموعاتهم الصغيرة على طول امتداد الشاطىء الجنوبى للخليج • وكان من أهم مراكز التوزيع خور فاكان فى ولاية الشمالية Shamailiyah الى الجنوب من صحار ، ورأس الخيمة فى الشاطىء الشمالى الشرقى من رؤوس الجبال ((Ruus el Jibal)) • وكانت هذه الأخيرة أكثر النقاط إثارة للاضطرابات وكانت أكثر مناعة وبعدا • ولكن حتى خور فاكان لم تكن سهلة المنال ، إذ كان من المحال مهاجمتها برا لأن سلاسل الجبال الممتدة خلفها تزيد من طول العمليات العسكرية ومخاطرها • ولم يكن أقل خطورة ، على أية حال ، انزال القوات فى مواجهة العدو • ولكن إذ لم يوجد بديل فإن سعيدا لم يجد أمامه مناصا من مهاجمة خور فاكان بحرا • وفى مايو ١٨٠٨ حشد جيشا من القبائل الصديقة فى طول بلاد عمان وعرضها وبدأ هجومه • وقد أخذت غالبية الجيش الطريق البرى عاملين طوال سيرهم على تجميع الامدادات والتعزيزات تحت إمرة قيس بن أحمد من صحار • أما سعيد نفسه فقد حشد سفنه الحربية بالرجال وأخذ يتقدم بحرا ، ونجح الهجوم الأول نجاحا تاما ومحيت المدينة من وجه الأرض ، وقتل أهاليها ، وهكذا استولى العمانيون على موقع حصين فى المناطق المرتفعة التى كانت على وشك السقوط ، وعند ذاك وقعت كارثة لا يمكن وصفها للعقلية الغربية ، فإن حاكم القواسم سلطان بن صقر عندما وصلته أنباء الهجوم ، أسرع بالابحار من كشم ومعه ما استطاع حشده من القوات فى تلك الفرصة القصيرة ، وتمكن من النزول برا على الشاطىء ولكن تبين له أن وجوده أصبح مستحيلا بعد استيلاء العمانيين على موقعهم الحصين • ولم يكن أمام قيس أن يعمل إلا بانتهاز المزية التى يمنحها له مكانه المرتفع وأن يهجم على أعدائه • وكانت هذه مسألة تخالف سلوكيات العرب الحربية ، فإن القيام بمثل هذا العمل لم يكن يعنى أقل من رفض تام للاشتباك •

---

(١) Badger ص ٢٩٣ ، Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٣ ، Miles ص ٣١١ .

وهبط قيس من موقعه المرتفع استعدادا للنزال المكشـــوف فهزم وقتـــل وتشتت شمل قواته •

وإذ وصلت الحملة الى هـــذه النتيجة السيئة غير المتوقعة ، فإن سعيد عاد الى مسقط ، واستعاد القواسم نشاطهم فى عمليات السلب والنهب ثانية دون رادع ، ولا شك أن هـــذه كانت نكبـــة كبرى تلقى انعكسات خطيرة على الصفات الحربية للعمانيين • وتفترض الروايات الوطنية [1] أن القواسم كانوا يفوقون الغزاة عددا بما لا يقل عن الضعف • ولكن منصور ينكر ذلك وكان موجودا فى ساحة القتال ، وتبعه فى ذلك كولونيل مايلز [2] ، على أية حال ، فإن الموضـــوع من وجهـــة النظر العامة كان على العمانيين المهاجمين مقابل فشلهم فى الحرب أن يدفعوا الرسوم التى تقـــدم للقواسم لتسلمها من تجارتهم ، وليس من تجارتهم وحـــدهم ، فإن القواسم كانوا يسعون وراء الفوائد السريعة الغنية ، وكانوا على علم تام بأن الانجليز قد أوقفوا مساندتهم وتعضيدهم لسعيد ، وقد عـــدوا ذلك العمل دليلا على ضعف الانجليز كغيره من الأعمال الانجليزية السالفة • وفى ذلك العام استولوا على « مينرفا » وهى سفينة ضخمة يملكها المستر مانيبستى ، وكانت فى رحلة من بومباى الى بركاء حاملة شحنة تقدر قيمتها بأكثر من ١٠٠ ألف روبية [3] • وهكذا بلغت جرأة القواسم وقوتهم الى الحـــد الذى دفع بالانجليز الى إرسال سفينة حربية عليهـــا ١٦ مدفعا لحراسة الطرق البحرية فى الخليج فهوجمت بضراوة الى حـــد أن قائدها

---

(١) Badger ص ٢٩٣ •

(٢) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ١٣ •

(٣) انظر Curzon ص ٤٤٩ ، Miles ص ٣١٣ ، Low ص ٣٢٠ ، Guillain ص ١٦٢ ، Brydges ص ٣٧ ، Mansur ص ٥١ ، Geo. Ges. Hamb. ص ٥٣ •

أحرقها تماما خوفا من الأسر [١] . وكلما سـقط بعض القواسم أسرى وأرسلوا الى بومباى كمسجونين فإن الافراج السريع عنهم كان يثير الرعب فى قلوب التجار بينما يبعث على الفرح لدى أعدائهم . وليس هناك كبير عجب فى مثل هـذه الظروف إذن أن يطلب قواسم رأس الخيمة جزية سنوية من حكومة الهند مقابل إعفاء السفن الانجليزية من عمليات النهب [٢] ، ولم يلبث الأمر أن تحول الى درجة لا تحتمل . وبالرغم من عزلة سـعيد وهزيمته القريبة العهـد ، فإنه اضطر الى القيام بهجوم على نقطة رأس الخيمة الحصينة [٣] ، وفى ابريل ١٨٠٩ ، وبعد أن حصل على عرض بالمساعدة من المقيم فى بوشير ، قاد حملة بحرية ولكنها تلقت هزيمة ومنيت بخسائر فادحة [٤] . وكان سعيد قد تلقى فى هذه الحملة عونا من السفن الانجليزية إحداها هى السفينة كورنواليس التى اكتسحت الجزء الجنوبى من الخليج وحملت أسراها الى بومباى ، ولكن سرعان ما أطلق سراحهم مما أبطل الأثر الذى كان قد أصاب القواسم [٥] .

وإذ شعر سعيد بخيبة الأمل لنتائج حملته العسكرية فقد عاد الى اتباع الأساليب الدبلوماسية ، ويبدو أنه استطاع تدبير لقاء مع سلطان بن صـقر وأنه أشار الى عـدم استطاعته الصـمود فى مواجهة قوة الانجليز البحرية . وهكذا وفق الى الطريق الصحيح مع الحاكم ، ولكن الرعايا

---

(١) Corancez ص ١٤٤ وكا نالقواسم فى ذلك الوقت يمتلكون حوالى ١٠٠ سفينة اغلبها حمولة ٣٠٠ الى ٤٠٠ طن ، وبذلك كانت لديهم فرصة التحرك السريع عند مدخل الخليج وهو لا يعدو ٣٦ ميلا ما بين جزر لاراك وكوينز . وكانت الخلجان الصغيرة عند رأس مسندم فى ذلك الوقت — والتى لم يكن يعرفها غيرهم — بمثابة ملاذ لأسطولهم — انظر Transactions Boml. Geo. Soc. ١٨٣٦ — ٢٨ ص ٣٤ .

(٢) Curzon ص ٤٤٩ .

(٣) Coraneez ص ١٤٢ يعد تقريره عن الأنشطة ضد رأس الخيمة غير تام ، ولا يشير الى الهجوم الناجح الذى تم فى أغسطس ١٨٠٩ .

(٤) Mansur ص ٥١ .

(٥) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٣ ، Miles ص ٣١٤ .

من القواسم كانوا يخالفون هـذا الرأى ، إذ كانت تبـدو أمام أعينهم فريسة غنية يسهل الحصـول عليها • ومن ثم أرسلوا الى الأمير سـعود بنجـد ، الذى وجـد أن سلطان قد اشتبك فى اتصالات مشبوهة مع عدوه ، وسرعان ما حمله عنوة وسجنه فى نجـد • ولم يقتصر نشاط سعود على ذلك العمل وحـده ، إذ أنه أدرك أن التعاون بين العمانيين والانجليز سيزيد من متاعبه ، ولذلك خطط للقيام بغارة على عمان تحت إمرته الشخصية • واستطاع إرهاب المنطقة الشمالية عن طريق تكثيف حشوده العسكرية المرابطة عند البريمى ، ثم وجـد المبرر للقيام بالهجوم ، ذلك أن سعيدا إذ وجـد أن وصيه السابق محمد بن ناصر قـد أطلق بعض الادعاءات لاقامة حـكم مستقل فى سمائل وبدبد ، أوقع نفسه فى انتهاك أحـد أمور الدبلوماسية العربية اذ استطاع جذب الرجل الى مسقط وأذله فى سجن قاس ولم يطلق سراحه إلا بعـد أن تنازل عن المدينتين • هـذه المعاملة أوجـدت انطباعا عميقا عند الضحية ، فما أن أطلق سراح محمد من الأسر حتى أسرع فى طريقه الى نجـد وانضم الى نجـد وأصبح منذ ذلك الوقت أكثر أعـداء سعيد قسوة ولا يعرف اللين • ولكن تجهيزات مسعود توقفت عند أول إجراء مدبر بين سعيد والانجليز ضد القواسم (١) •

بعـد فشل الهجوم الأول ضـد رأس الخيمة عام ١٨٠٩ ، تقـدم سعيد مرة أخرى الى حكومة بومباى بتصـورات مؤداها أنه لن ينقـذ الموقف سوى مجهود مشترك يحقق النجاح • وقـد تلقى سعيد مساندة غالية على اقتراحاته من جانب بعض الشخصيات أمثـال كابتن سـيتون المندوب الانجليزى فى مسقط ، وماجور جنرال مالكولم ، اللذين ، وجـدا من صالح انجلترا أن يشجعا على ضرورة تقـديم المساعدة لعمـان (٢) وإن التجربة التى مرت طوال العامين السابقين أكـدت وجهة النظر هذه ،

---

(١) Rep ٨٤/١٨٨٣ ص ٢٣ •
(٢) Miles ص ٣١٥ •

وقــد توجهت حملة مشتركة تتكون من قوة بحرية من السفينة شـــيفون (يقودها كابتن وينرايت) والسفينة كارولين مع تسع طرادات وعدد من السفن حاملة الجنود عليها حوالى ١٦٠٠ رجل بالاضـــافة الى ١٠٠٠ جندى وطنى ، وأقلعت الحملة من بومباى تحت إمرة الكولونيل سميث ، وانضمت الى العمانيين وتمكنت من تحطيم رأس الخيمة وإحراق ٥٠ سفينة كبيرة فى أغسطس ١٨٠٩ ، ولم تلبث القوات المتحالفة أن تقدمت لتهدم خور فاكان مرة أخرى وتستولى على شناص ، وكان النجـــديون قـــد انطلقوا تحت إمرة مطلق المطارى ((Mutlak el Mutary)) لمعاونة رأس الخيمة ، ولكنهم إذ وجدوا أنفسهم متأخرين عند وصـــولهم الى مسرح العمليات الحربية فقد اتجهوا سمالا لانقاذ شناص • وتأخر الهجوم نظرا لما قامت به مدافع السفن الانجليزية من قـــذف أصاب الغزاة بالخراب الفادح • واذ وجد النجديون أنفسهم عاجزين عن مداومة هـــذا النزال ، قضـــوا ثلاثة أيام فى تمهل وتلكؤ فى المناطق المجاورة حتى إذا ما علموا أن الأسطول الانجليزى عاد فى طريقه الى بومباى ، سرعان ما انقضوا على العمانيين ودحروهم فى سهولة واضطروا سعيدا الى التراجع الى مسقط[1] • ولعل انسحاب الانجليز فى هـــذه المناسبة يرجع الى سبب واحـــد هو أنه بعـــد إبادة شوكة القواسم ظن الانجليز أن الحملة حققت الهـــدف من ورائها ،

---

(١) للاستزادة حول موضوع راس الخمية انظر Badger ص ٣٢١ ، Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٣ ، Miles ص ٣١٦ ، Bonl. Sel. ص ص ٣٠٥ ، ٤٣٣ ، Low ص ٣٢٥ ، Guillain ص ١٦٣ ، Mansur ص ٥٣ ، Huart ص ٢٧٥ ، Curzon ص ٤٤٩ ، Crichton ص ٤٨٦ ، Bridges ص ٣٧ ، Bwkingham ص ٢٣٣ ، Corancez ص ١٤٣ ، وقد أعيد رصد الأحداث الهامة لهذه الحملة على شكل لوحات فى مجلد « ١٦ منظرا مرسوما عن الخليج الفارسى » بقلم R. Temple — بومباى عام ١٨١١ . واشير اليه فى «Aquatint Engraving» بقـــلم S. T. Prideaux فى لنـــدن عام ١٩٠٩ وفى The Times of India Annual -- «Gulf Memories» عام ١٩٢٨ بقلم سير بيرسى كوكس .

رسم راس الخيمة ووصف المنطقة انظر Buml. Sel. ص ١٥ ، Low ص ٣١١ ، Buckingham ص ٣٥١ .

ولكن منصور (ص ٦٧) — الذى كان قائدا فى شفاص تحت إمرة سعيد — يقدم رأيا آخر حول قيام كولونيل سميث بفتح حوار للتفاهم مع النجدين بدون علم سعيد ، واعدا إياهم بالوقوف على الحياد مقابل الحماية من هجمات القراصنة • وإن الأمر فى غنى عن ذكره ، ذلك أن هذه الرواية التى يقدمها منصور لا دليل عليها • وفى الواقع فإن هوارت [1] يقول إن الانجليز نصحوا العمانيين بالانسحاب ، ويبدو أن هوارت كان يسجل الواقعة وهو معاصر لها ، فمن المؤكد أن سعيد واجه خسارة تامة بعد أن حرم من المساندة الانجليزية • وبالرغم من أن مطلق حاصر صحار فى يناير ١٨١٠ فإن سعيد استطاع التقدم وطرده بعيدا عنها ، ولكنه لم يستطع اتخاذ أى إجراء آخر أكثر من ذلك • واستطاع مطلق جمع شمل رجاله وقسمهم الى ٣ طوابير أحدها تحت إمرته والثانى تحت إمرة ابنه والثالث تحت إمرة محمد بن ناصر ، وبدأ يكتسح البلاد تاركا إياها بلقعا ذابحا الأهالى [2] • وفى طريقه أحدق لسعيد وهو فى مسقط ، وأثناء عودته من الجنوب شدد عليه الحصارة بقسوة • هكذا كانت قوة الموقف الذى وجد سعيد نفسه فى مواجهته ، ثم تلقى فى خلال شهر ابريل ١٨١١ صدمة قاسية بتعريض نفسه فى تهور فى وادى معاول [3] Maawal •

أصبح الموقف حينئذ ميئوسا منه حتى ان سعيد ، وهو قانط من أية مساعدة أخرى من الهند ، صمم على ارسال أخيه سالم الى فارس Fars ليطلب العون من الفرس • وكان قد أرسل من قبل طالبا المعاونة من بومباى موضحا أن تحالفه مع الانجليز فى المعركة الأخيرة قد أثار سخط

---

(١) Huart ص ٢٧٥ .

(٢) Mansur ص ٧٢ .

(٣) انظر .Rep ٨٤/١٨٨٣ ص ٢٤ ، Burton ص ٤٩٢ ويذكر انه فى ربيع عام ١٨١١ أرسل سعيد سفينة من مسقط الى زنجبار وطلب ٢٥٠٠٠ كروان من حاكمها كمساعدة ليصمد فى وجه النجدين وانه فرضت ضريبة لجمع هذا المبلغ .

النجدين مما جعلهم يحقدون عليه ، وأن عداوتهم لا تقبل الصفح • ولكن جميع طلباته للمعونة رفضت على أساس أن الحكومة لا تريد اثارة ثائرة النجدين بعد ذلك [١] وباءت جهود سعيد بالفشل لشرح العلاقة بين النجدين والقواسم ولم يجد ذلك صدى لدى حكومة الهند آنذاك • وكان وضع انجلترا فى الهند وفى أوربا على درجة كبيرة من الغموض الى حد الرضا بدفع جزية للتجارة طالما أن ذلك يمنع عنهم نفقات الأعمال العسكرية • وبعد ذلك وعندما انتهى خطر فرنسا واضمحلت قوى النجدين تحت ضربات محمد على وابنه ابراهيم زال الكثير من مظاهر احجامهم وازدادت امكانيات قيامهم بحماية تجارتهم • ولكن سعيد — وكان الوضع كما كان عليه عام ١٨١٠ — قرر أن يستخدم خطه الثانى فى الدفاع ، ومن ثم اتجه أخوه سالم الى فارس •

وكان من المأمول أن الفرس لديهم تكأة كافية للتدخل اذ أنهم من جانبهم عانوا باستمرار من هجمات القواسم ضد جزيرة البحرين الغنية [٢] • وكان هناك احساس بأن فارس باعتبارها دولة معظم مواصلاتها بالطرق البرية ، ومعظم تجارتها بواسطة القوافل ، فان الفرس لن يرفضوا أى اجراء يمنحهم الفرصة لاضعاف قوة النجدين ومنعهم من اثارة المتاعب أمام التدفق التجارى المطلوب • وعندما وصل سالم الى شيراز بدأ التفاوض مع الحاكم المحلى ، وقد أمدتنا الروايات بوصف مميز لتلك المفاوضات [٣] • وكان من نتائجها أن وضعت تحت طلب سالم قوة وافرة من جنود فارس بقيادة سعدى خان [٤] ، وليس فى الاستطاعة تحديد عدد هؤلاء الجنود ،ولكن كولونيل مايلز يقدر العدد بـ ١٥٠٠ جندى بينما

---

(١) Rep. ٨٤/١٨٨٣ ص ٢٤ •
(٢) Watson ص ١٠٣ ، Palgrare ص ٢١٢ •
(٣) Bodger ص ٣٠٦ •
(٤) Rep. ٨٤/١٨٨٣ ص ٢٤ ، Mansur ص ٨٠ •

يحدد هوارت — فيما بعد — العدد بضعف ذلك الرقم [(١)] . ولو أن ذلك لا يعنى أمرا ذا أهمية كبرى اذ أن التقاليد الوطنية تميل دائما الى المبالغة أو الى التقليل من الأعداد طبقا لمقتضى الحال مما يجعلنا لا نعتد بها كثيرا . أما منصور [(٢)] وهو شاهد عيان ، يقدم ما هو محتمل أن يكون أقرب الى الحقيقة فيقول ان القوة تكونت من ١٥٠٠ جندى مع بعض قطع المدفعية الخفيفة . وهكذا تحرك سالم ومعه هذا القدر من المساعدة ، وبدأ رحلة العودة فى ربيع ١٨١٢ [(٣)] . وعند وصولهم الى بندر عباس استخدموا السفن [(٤)] التى أوصلتهم الى بركاء ، ومنها استولوا على نخل وسمائل [(٥)] . وعندما علم محمد بن ناصر — الحقود — بذلك أرسل فى طلب مطلق وكان فى طريقه الى نجد . واستطاع مطلق جمع بعض رجال من القبائل الجبلية وهو فى طريقه ، وهاجم سالم — الذى كان قد تقدم دون حذر نحـــو زكى [(٦)] Zikki ودحره وشتت شمل قواته . وبعد هذا النصر ، انطلق مطلق مزهوا الى البريمى حيث وجد نجلى الأمير سعود : تركى وفيصل ، وسلمهما مقود القيادة معبرا عن رغبته فى مداومة رحلته الى نجد . ولكن رغبته هذه — على أية حال — لم يقدر لها التحقيق ، اذ أن الصبيين لم يدركا أن سالم كان قد أعاد تجميع قواته وأصلح من حالها وقام بهجوم على خضراء بعد نصح غير سليم . واذ سمع مطلق خبر فشل الصبيين عاد مرة أخرى واستدعى محمد بن ناصر الى جانبه وبدأ حملة على الساحل . وعند بركاء وجد سالم على رأس قوة ضخمة وفى موقع حصين . وحما وطيس القتال لمدة ثلاثة أيام لم تنته الى نهاية محددة ، ولكن سالم كف

---

(١) Badger ص ٧٣ ، Huart ص ٢٧٤ .

(٢) Mansur ص ٨٠ .

(٣) Rep. ٨٤/١٨٨٣ ص ٢٤ .

(٤) Mansur ص ٨٠ .

(٥) Badger ص ٧٣ .

(٦) Rep. ٨٤/١٨٨٣ ص ٢٤ .

عن التدخل • وانطلق مطلق جنوبا واستولى على مطرح وترك قوة للحصار حول مسقط وانغمس فى أمور الحرب التى اعتاد العمانيون على القيام بها واذ اتخمسه منها تغل راجعا الى البريمى [١] •

وفى تلك الأثناء كان محمد على يتقدم لتحرير المدينة المقدسة ، وقد هرب سلطان بن صقر الى معسكر محمد على ، وكان هذا القواسمى — كما رأينا من قبل — قد سجنه الأمير سعود خوفا من أن يوقع اتفاق صلح مع الانجليز • واذ عثر محمد على على هذا الشخص فقد حمّله رسالة الى سعيد طالبا منه عقد تحالف ضد النجدين [٢] • وكان الوقت ملائما لخططه كما كان موافقا لخطط سلطان ، ولهذا فان سعيد لم يكن راضيا عن ارسال سفينة محملة بالذخيرة لتزويد امدادات محمد على فى جدة [٣] ، ولكنه قرر القيام بعملية أخرى لكى يستعيد سلطان رأس الخيمة • فقام بتجميع أسطول وتلقى عونا معنويا من مستر بروس المقيم الانجليزى فى الخليج الفارسى ، والذى تصادف أن كان فى مسقط فى ذلك الوقت ١٨١٣ لوضع ترتيب لتعيين مندوب وطنى هناك • ولم يكن مستر بروس أقل رغبة وسرورا من الذهاب اذ أن سلطان كان قد وعــد بعدم تشجيع أعمــال القرصنة [٤] • ولاشك فى أنه من بين أهداف رحلته ابلاغ كافة الزعماء بتصميم حكومة الهند على قمع القرصنة كلية ، وكانت لديه تعليمات خاصة وشخصية لتحطيم سنن القراصنة التى تقع تحت بصره • ولكن الحملة — على أية حال — كانت فاشلة تماما [٥] • وإذ أخفق سعيد فى مخططه الأصلى فانه عبر الخليج وأقر سلطان على الساحل المقابل من الخليج [٦] •

---

(١) Badger ص ٧٤ •
(٢) Miles ص ٣١٤ •
(٣) Mansur ص ٨٩ •
(٤) Badger ص ٧٦ •
(٥) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٤ ، Miles ص ٣١٤ •
(٦) Mansur ص ٨٩ •

ولكن الانهيار التام للحملة لم يكن هو المظهر الأعظم المثير للقلق ، اذ أن أخبارها أثارت مطلق الذى اندفع على طول الساحل حتى وصل الى المصنعه • هكذا كانت حال قوة الغزاة الظاهرية فى هذه الظروف الى حد أن عزان بن قيس (Azzan) لم يكتف فقط بتسليم مركزه الحصين فى صحار بل وصل الأمر الى حد أن سعيد ، وهو عاجز عن القيام بضربة واحدة ، أخذ يبحث عن عقد مقابلة شخصية ، واستطاع الوصول الى اتفاق على أن ينسحب النجديون مقابل دفع ٤٠ر٠٠٠ دولار • وماذا تمثل هذه ٤٠ر٠٠٠ دولار •• ان الأمر موضع شك • ويقول بادجر انها « زكاة » ، أو صدقة اجبارية لأغراض دينية [1] • وتبعه هوارت فى ذلك التفسير [2] ، وأضاف أنها كانت سنوية • ولكن مهما كانت طبيعتها فان كميتها لم تكن كافية لتهدئة ثائرة الأمير سعود ، ذلك أن خساراته المادية التى أصابته فى الغرب قبل الهجوم المصرى لا يمكن أن يعادلها مجرد نقود تدفع فى الشرق • وتبعا لذلك حل الأصدق محل مطلق وأرسل لمواصلة الحرب فى قسوة بالغـــة • ولكن اذ قتل القائد فعاد مطلق الى تولى القيادة ، ولكنه بدوره لقى مصيرا مماثلا ، ذلك أنه قتل فى أثناء مسيرته من الظاهرة الى الشرقية فى اشتباك عابر ، وعادت قواته مرة أخرى الى البريمى [3] •

ويمثل عام ١٨١٤ نهاية النكبات التى صادفت سعيد • وقد لعب الموت دوره كالمعتاد • فكانت وفاة عزان فرصة أمام سعيد لتعزيز سلطته بالتوسع حتى صحار [4] • ولكن موت الأمير سعود كان ذا أهمية أكثر خطورة اذ أن قوى النجدين كانت فى طريقها الى الاضمحلال ، ولم تلبث آخر قبضة لهم على الساحل الغربى من بلاد العرب أن تهاوت بعد سنتين • وبعد عامين

---

(١) Badger ص ٧ ٧.
(٢) Huart ص ٢٧٥ •
(٣) Miles ص ٣٢٠ •
(٤) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٥ •

آخرين بدأوا هم أنفسهم يعانون أهوال الغزو • وفى الواقع دارت عليهم الدائرة ، واحتفل سعيد بالمناسبة باجراء محاولة لاستعادة سلطان بن صقر رأس الخيمة ، ولكن المحاولة باءت بالفشل • وكان هذا عملا سيء الحظ ، ذلك أن الأمير عبد الله الذى خلف الأمير سعود كان قد أرسل مندوبا الى مسقط لوضع بعض الترتيبات لاقامة سلام دائم • ولكن عبد الله استشاط غيظا لذلك الهجوم الذى شنه سعيد على حلفائه وأصدقائه ، لذلك سحب عبد الله البعثة وعادت الحرب مسيرتها الأولى • ولم تكن هذه هى النتيجة السيئة الوحيدة ، ذلك أن القواسم ، وقد طمعوا بعد نجاحهم ، فتوسعوا فى عمليات التخريب والنهب الى حد دفع سعيد الى الخروج لمواجهتهم بحـــرا • ولكن النتيجة كانت باعثة على الأسى • اذ أن القواسم كانوا قد اخترعوا نوعا خاصا من السفن ذات بناء شامخ اذا ما واجهت سفينتهم سفينة أخرى كان تخطى سفينة العدو أمرا سهلا • وقد حدث شيء قريب من ذلك مع سفينة سعيد الخاصة « كارولين » ، واستطاع بعد صعوبة أن يغير اتجاه سفينته بعد أن أصابته الجراح [1] • وهكذا استمرت مشكلة القواسم دون حل •

وفى العام التالى ١٨١٥ حدث شـــقاق داخلى قاده محمد بن ناصر وحمير بن سليمان ، وكان الأخير سليل أسرة اليعاربة الحاكمة القديمة • وضرب هذان المنشقان حصارا حول نخل التى قاومت كل محاولات سعيد لتحريرها ، ولكنهما على أية حال وقعا فى حبائل سعيد • اذ أنه فى النهاية عندما فشل فى اغتصاب المدينة استطاع الايقاع بحمير فى يده ، وسرعان ما نفذ فيه حكم الاعدام • واذ شعر ببعض الأمان بعد ذلك بدأ فى العام التالى هجوما رابعا فاشلا على رأس الخيمة اذ حاصرها لمدة أربعة شهور واضطر أخيرا الى الانسحاب دون أى أثر يذكر •

---

(1) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٥ .

وإذ كان سعيد غير راض عما حدث ، فقد جهز فى العام ذاته حملة ضد جزيرة البحرين الغنية ، واشتركت معه قوة فارسية صغيرة مكونة من ثلاث سفن من بوشير . وبدأت الحملة فى أسوأ نذير بالفأل السيء ، ذلك أن الحليفين لم يكونا متفقين فى الرأى . فكان الفرس دائما أصحاب طموح فى الاستيلاء على الجزيرة [١] ، وبينما كانوا لا يستطيعون التفكير مليا بالرضا عن تفوق القواسم ، فمن المحتمل كذلك أنهم لم ينظروا بالرضا الى صالح العمانيين . ومن ناحية أخرى فان سعيد كان يعد الحملة مجــرد استعادة للجزيرة [٢] ، ذلك أنه بالرغم من أن سلطان بن أحمد استطاع احتلالها وكشم منذ أكثر من ٣٠ عاما [٣] سرعان ما طرد منها وعاد أتباعه عدة مرات لمهاجمتها ، وانتهى الأمر بطردهم نهائيا عام ١٨٠٧ على يد القواسم [٤] . وفى نفس الوقت استطاع القواسم اقامة تحصينات منيعة فى الجزيرة . وهكذا كانت الحملة على ثقة أن الأمــر سيصادف صعابا جسيمة . وكان المقيم الانجليزى فى بوشير قد نصح سعيد بشدة ضد هذه المغامرة [٥] . على أية حال ، فان القوات أقلعت فى شهر يونيو وسرعان ما واجهت هزيمة ساحقة بمجرد نزولها الى البر عند اراد (Arad) الى حد أنهم اضطروا الى العودة للسفن مرة أخرى [٦] . ويبدو أن هذه الهزيمة تعود الى خيانة الفرس ، وقد عانى سعيد من فقد الكثير من بينهم أخيه الأصغر حامد . وبعد الانسحاب وعد الفرس سعيد بمده بمساعدة أكبر اذا استطاع الابحار الى بندر عباس وأوصلهم اليها ، ولكن سعيد اذ علم

---

(١) Watson ص ١٦٣ ، Palgrave ص ٢١٢ ، Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٥ .

(٢) Badger ص ٧٩ .

(٣) Huart ص ٢٧٣ .

(٤) Carzon ص ٢٤٩ .

(٥) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٥ .

(٦) Bomb Sel. ص ١٤١ ، Low ص ٣٤٩ .

بأن تلك انما هى مجرد حيلة وأنهم يهدفون الى اعتقاله وسجنه فى شيراز فانه أقلع الى مسقط [١] •

وهناك : اذ شعر بمسيس الحاجة الى حلفاء يصونون العهد ، فانه استدار نحو الحكومة الفرنسية وأعاد العلاقات التجارية معها الى سيرتها الأولى ، وسرعان ما نشطت حركة التجارة ووقعت الاتفاقية فى ٣٠ مارس عام ١٨١٧ [٢] ، واستمرت قائمة وسارية المفعول حتى توقيـــع المعاهدة التجارية الفرنسية عام ١٨٤٤ •

وفى العام ذاته حدثت بعض النزاعات الداخلية لم تترك وراءها أية تفاصيل ، ولكن لاشك أن الأمر الذى استحوذ على اهتمام سعيد بالدرجة الأولى انما هو وجوب تحطيم قوة القواسم منتهزا فرصة الضعف الذى أصاب النجدين • وفى ذلك الوقت كان محمد على يتقدم فى الجزيرة العربية ضدهم ، وكانت قبيلة بنى غافر (Ghafiri) على وفاق دائم مع سعيد ، ولكنها بعثت بفرق شديدة المراس لمساندة مضطهديهم السابقين للوقوف ضد المصريين [٣] • وهذه مسألة سنجدها بعد التأمل خطوة لا تثير الدهشة كما قد يبدو للوهلة الأولى ، انها اجراء فرض نفسه فقط بسبب رجحان كفة الكراهية ، وقد أمدت ذهن ســعيد وهيأته بارشاد حيـــال موقفه من المقترحات الانجليزية التى قدمت والتى ستقدم فى العام التالى • وعلى الرغم من عدم انتظار العون العمانى ، فان النجدين عانوا كثيرا على يد المصريين • وسقطت عاصمتهم الدرعية فى عام ١٨١٨ ، وفى العام التالى

---

(١) Rep. ٨٤/١٨٨٣ ص ٢٥ •

(٢) Miles ص ٣٢٣ •

(٣) Rep. ٨٤/١٨٨٣ ص ٢٥ •

أسر الأمير عبد الله وأرسل الى القسطنطينية حيث ضرب عنقه [1] . وهكذا وجد محمد بن ناصر نفسه — وقد فقد أقوى مسانديه — فى موقف شـديد الغموض لدرجة لا تحتمل ، وتبعا لذلك فقد غير وجهته مرة أخرى وعقد صلحا مع سعيد [2] . وسرعان ما وجد عملا مناسبا له ، ذلك أن أحـد مساعديه السابقين ، بتال المطيرى استطاع الهرب من القبيلة النجـدية الرئيسية واستولى على البريمى بقصد وضعها تحت سيطرته . وأرسل محمد بن ناصر ضده فلم يجد بدأ من ابادة القلعة ومحوها والانضمام الى خدمة سعيد ، فاقترح سلطان بن صقر أن توضع البريمى تحت سلطته ، ولكن تبعا لنصيحة انجليزية رفض الطلب [3] .

حينئذ حان الوقت لكى يتدبر كل من يهمه الأمر أن ينظر باهتمام الى القواسم ، فقد استطاعوا عام ١٨١٧ استعادة السيطرة على خور فاكان واستخدموها قاعدة ملائمة يضاعفون منها اهتمامهم بالتجارة . وقد بلغت غطرستهم حدا دفع بهم الى التغلغل والوصول الى حوالى سبعين ميلا من بومباى ، وقدرت قوتهم بـ ٦٤ سفينة وطنية (طراز كان منتشرا فى بحر العرب وشرق أفريقيا) مع ٧٠٠ رجل [4] . ولكن الحكومة الانجليزية وقد وجدت أن القضاء على القواسم لن يتضمن حربا مكلفة مع النجدين فانها بدأت تبحث عن حلفاء لتبدأ الهجوم . ولهذا الفرض أرسل الضابط سادلير محملا بتعليمات واضحة لسعيد وابراهيم باشا بقصد القيام بهجوم مدبر ، وكان هذا الضابط يحمل خطابات رسمية لسعيد وابراهيم باشا داعيا إياهما للتعاون ضد العدو المشترك [5] . وقد نزل فى بادىء الأمر فى مسقط ، واستقبله الأهالى والحكام بترحاب بالغ ، ولكن اجتماعاته مع سعيد باءت

---

(١) Bridges ص ١٠٤ .
(٢) Badger ص ٧٨ .
(٣) Sadlier ص ١٤٠ .
(٤) Low ص ٣٥٢ .
(٥) Sadlier ص ص ١٣٣ ، ١٣٦ .

بالفشل الذريع اذ أنه لم يكن راغبا فى التعاون مع الأتراك والمصريين ، ولم يكن لديه شيء مشترك معهم ، بل كان كل أمر يبعث على الخوف فى يدهم • بل انه تلقى عرضا من القواسم بعد سقوط الدرعية عاصمة الوهابيين للتحالف ضد المصريين ، لكنه رفض ذلك الطلب كذلك [١] • ولم يكن غريبا أن نجد تقرير سادلير الرسمى حول محادثاته مع سعيد [٢] غاصا بالشكوى مما صادفه من المعوقات والغموض • ولم يكن سعيد قادرا على الموافقة على رغبة الانجليز ، وفى نفس الوقت غير راغب فى خسارة وضياع رغبتهم الطيبة • وهكذا كان فشل سادلير تاما ، فاستدار الى النصف الثانى من بعثته ليحاول الوصول الى ابراهيم باشا • وكان الأتراك ، على أية حال ، غير راغبين فى التعاون كما كان الحال مع سعيد ، ولم يقيموا كبير وزن لشعور الانجليز • فقد أتموا بعثتهم فى الشرق وحطموا القوة النجدية وأعادوا الجزيرة العربية الى حالة الهدوء • ولم يكن للانجليز مطالب فى هذا المجال بل ولم يخشوا شيئا من هذه الناحية • وتبعا لذلك فان ابراهيم — على الرغم من ادراكه أن مبعوثا فوق العادة فى الطريق اليه — فانه شد رحاله عائدا الى بلاده دون انتظار لوصوله ، ولم يحسب حسابا لعناد الرجل • ذلك أن سادلير ، بثبات وبالرغم من الصعاب وخيبة الرجاء والعداوة التى واجهها من جانب العرب الى جانب قسوة المناخ ، فانه تتبع الأتراك عبر الجزيرة العربية حتى التقى بهم فى المدينة وكان بذلك أول أوربى يقطع شبه جزيرة العرب من شرقها الى غربها ، وكان عملا فذا ولكنه لم يكسبه فخرا ولم يضف عليه شهرة ، ذلك أنه مرت ٣٠ سنة قبل أن يعرف هذا العمل البطولى • ولكن الهدف الأسمى من وراء تلك البعثة صادف درجة من الفشل فى المدينة لا تقل عما صادفه فى مسقط • ولاشك أن سادلير كان

---

(١) Rep. ١٨٧٩/٨٠ ص ٤٥ ، Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٦ .
(٢) Sadlier ص ١٣٨ .

بمقدوره تحقيق ذلك الجزء من التعليمات [١] الذى يتعلق بالتأكيد على « مدى القوة التى تحت أمرة سعادته (ابراهيم) ووصفها » • ولكن عندما كشف عن « طبيعة ومدى المساعدة التى يستطيع تقديمها للعمل على اضعاف موانى القراصنة » ، فان المسألة بدت بالغة الصعوبة • وبالرغم من أن سادلير كان يحمل تفويضا ليؤكد لابراهيم باشا مده بالقوة العسكرية والبحرية الكافية بعد انتهاء موسم الرياح الموسمية ، فانه لم يتحرك • وبعد عشرين عاما ، عندما أراد المصريون وضع خطة لضم الجزيرة العربية وسوريا فلابد أنهم كانوا سيقفزون لمثل هذا العرض ، ولكن فى عام ١٨١٩ لم يكن الوقت قد حان بعد ، وتبعا لذلك أخذت الحكومة الهندية على عاتقها القيام بالعمل بمساعدة سعيد فقط •

وفى نوفمبر ١٨١٩ [٢] وصلت تجريدة ضخمة مجهزة تجهيزا جيدا الى مسقط تحت امرة سير جرانت كير • ومن بين السفن كانت هناك السفينة « ليفربول » ذات الخمسين مدفعا ، و « عدن » حاملة ٢٦ مدفعا ، و « كيرليو » ذات الثمانى عشر مدفعا ، وست طرادات صغيرة ، أما الرجال فكان عددهم ١٦٠٠ أوربى ، ١٤٠٠ وطنى ، وأضاف سعيد الى هذه القوة الحربية نصيبه الذى بلغ ٣ سفن ، ٤٠٠٠ رجل [٣] ، وأقلع الجميع صوب رأس الخيمة [٤] • وهكذا كانت الحملة اللازمة لسحق القوة التى نمت وازدهرت فوق ظهور خصومها • ولم يكن الهجوم ذاته — بالرغم من نجاحه التام — أمرا سهلا • فقد استمر وابل القنابل ينهمر طوال العديد من

---

(١) Sadlier ص ١٢٩ .

(٢) Curzon ص ٤٤٩ ، Coraneez ص ١٤٥ .

(٣) لمعرفة التفاصيل الخاصة بالحملة انظر .Rep ١٨٧٩/٨٠ ص ٤٥ ، Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٦ ، Miles ص ٣٢٤ ، Badger ص ٧٩ ، Low ص ٣٥١ ، Bomb. Sel. ص ١٨٨ ، Crichton ص ٤٨٧ .

(٢) Badger ص ٧٩ .

الأيام • وترك أحد شهود العيان [1] تقريرا دقيقا عن الحصار أشاد فيه كذلك بشجاعة القواسم وعنادهم • وقام سعيد بعملية ذكية كان لها أكبر الأثر اذ أرسل ٢٠٠٠ مقاتل برا استطاعوا اغتصـــاب الممرات الجبلية الحصينة المنيعة • واستطاعوا القبض على بعض الأسرى • وكان الخراب الذى نتـــج عن الضرب بالمدافع لا يمكن تقديره ، ولكن يجب أن نمنح القواسم قدرا من التقدير لمـــا حققوه من انسحاب ذكى من المدينة • ويقول أحد المعاصرين « هكذا كانت نتيجة الحملة التى أصابت قوة القواســـم بصدمة يبدو من الصعوبة أن باستطاعتهم التغلب عليها أبدا » • وقد تحققت هذه النبوءة اذ توقفت نهائيا الاضطرابات مع القواسم منذ تلك اللحظة ، وبعد عام ١٨١٩ ندرت الاعتداءات على السفن فى الخليج الفارسى ، وقد وقعت معاهدة مع حسن بن رحمة وسلطان بن صقر وطدت دعائم النظام وضمنت الهدوء فى الخليج [2] • ومن أجل إلزام القواسم بدقة وأن يكون هناك احساس بالنفوذ الأخلاقى ، وقعت معاهدة ضمنت القضاء على عمليات النهب والقرصنة فى البر والبحر • وقد وقعت المعاهدة فى ٨ يناير ١٨٢٠ [3] ، واتفق على أن يقوم بتنفيذها حامية مكونة من ١٢٠٠ جندى هندى يحتلون رأس الخيمة حتى شهر يوليو [4] • وفى شهر مارس عاد سير و • جرانت كير الى بومباى على متن السفينة ليفربول ، واستطاع سعيد بالمساعدة الضخمة التى قدمها له ، الحصول على منعة تامة ضد أى عدوان يأتى من الشمال ، وتبددت العمليات التى كان يقوم بها القواسم والنجدين وتأكد القضاء على أعمال السلب والقرصنة برا وبحرا ، ووضحت سطوة عمان المعنوية •

---

(١) Mignan ص ص ٢٢٠ ، ٢٧٥ (برقية وصلت الى الهند من الماجور جنرال الذى قاد الحملة الى رأس الخيمة) .

(٢) Miles ص ٣٢٥ .

(٣) Huart ص ٢٧٥ .

(٤) Curzon ص ٤٤٩ ، Corancez ص ١٤٦ ، Miles ص ٣٢٥ .

لم يتبق سوى تنفيذ اجراءات تثبيت دعائم الدولة من ناحية الجنوب • وتحت أسم بنى بو على [١] اتحدت قبيلتان كانتا منفصلتين من قبل ، يكرههما الانجليز والعمانيون ، فبالنسبة للانجليز لأنهم منذ فترة قصيرة نهبوا سفينة غارقة عند الأشخرة Laschkharah وقتلوا المترجم الذى كان يعمل فى خدمة المركب (مركورى) سفينة صاحب الجلالة الملك [٢] • وبالنسبة للعمانيين فان بنى بو على كانوا قد تركوا مذهبهم معتنقين مذاهب أخرى بالاضافة الى ما اعتادوه من عمليات النهب والسلب • ومن ثم نظمت ضدهم حملة مشتركة تكونت من ست فرق مشاة من الجنود الهنـــود وثمانى مدافع بالاضافة الى ٢٠٠٠ عمانى تحت إمرة سعيد شخصيا ، وهبطت الحملة فى صور فى جعلان (Jaalan) فى نوفمبر ١٨٢٠ • وكان معظم أفراد الفرقة الهندية قد تجمعوا من بين جند الحامية التى تركت فى كشم بعد سقوط رأس الخيمة فى بداية السنة السالفة على يد الكابتن طومسون المقيم السياسى الانجليزى فى مسقط [٣] • ولكن الحملة صادفت حظا سيئا اذ أنهم لم يقدروا قوة العدو وشجاعته حق قدرها ، وأثبتت وسائل الدفاع مناعتها أمام المهاجمين ، وتحطم الهجوم ضد المدينة مما أدى الى حدوث خسائر فادحة • وحدث هجوم ليلى على القوات المتحالفة نتج عنه هروب غالبية العمانيين • وقد أبدى سعيد شخصيا شجاعة نادرة ، ففى أثنـــاء الهجوم الفاشل استطاع فى شهامة انقاذ أحد الجنود الانجليز ، وبعـــد الكارثة التى حدثت ليلا قاد البقية من الجيوش المتحالفة سالمين الى مسقط • وفى مقابل الخدمات الرائعة التى أداها تلقى من حكومة بومباى ســـيف الشرف [٤] • وكان من المحال ترك الأمور هكذا ، فلقد تلقت الدولة الانجليزية

---

(١) Wellsteol ص ٥٤ .

(٢) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٦ ، Miles ص ٣٢٦ .

(٣) Wellsteol ص ٥٥ .

(٤) Low ص ٣٧٣ ، Burton ص ٢٩٢ .

عمليا ضربة ماحقة أصابت كرامتها مما دعا الى اتخاذ اجراء لتعويض سريـــع •

ومن ثم أرسل سير ليونيل سميث فى العام التالى من بومباى مجهزا بقوة معدة إعدادا طيبا ، وقد انضم اليها سعيد شخصيا • ونحن هنا سعداء الحظ اذ وصل الينا تقرير شاهد عيان عن المعركة [1] • وكانت موقعة طاحنة انتهت نهاية طيبة ، واستولت الحملة على المدينة دون خسائر كبيرة • وأخذ الأهالى أسرى • ويبدو أن هؤلاء الذين وقعوا فى يد سعيد عوملوا معاملة سيئة [2] ، ذلك أن الخسائر التى كانت قد نتجت عنهم لم تغب قط عن ذهنه لتترك مكانا للشهامة • ولكن الغالبية العظمى الذين أرسلوا الى بومباى أعيدوا ثانية الى بلادهم ، بل لقد تلقوا منحا مالية من بيت المال الهندى حتى يستطيعوا إعادة قراهم والمجارى المائية [3] •

وقد وصل سعيد حينذاك الى درجة نضوج قواه العقلية والبدنية ، وأصبح حاكم البلاد دون منازع : فقد أمن غزوات النجديين وأخضـــع القواسم ، وأبيد بنى بو على ، ولم يكن هناك فى الداخل أى معارض لحكمه ، وباستعادته صحار بعد موت عزان بن قيس عام ١٨١٤ [4] بسط سعيد على عمان سلطة موحدة لا منازع لها لم تعرفها البلاد من قبل • وان قيامه بالحج الى مكة عام ١٨٢٤ ــ كما فعل والده من قبل عام ١٨٠٣ ــ انما هو دليل على هيبته وحب الجموع له • وقد أبحر فى شهر مارس على ظهر السفينة ليفربول التى جهزت تجهيزا خاصا له ، تاركا خلفه ابن أخيه

---

(١) Mignan ص ٢٤٨ ، ٢٨٢ (برقية ارسلت الى الهند من الماجور قائد الحملة ضد بنى بو على) •

(٢) Badger ص ٨٠ •

(٣) Miles ص ٣٢٧ •

(٤) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٥ ، Badger ص ٧٧ ، ٣٢٨ •

محمد بن سالم نائبا عنه فى أثناء غيابه • وكان استقباله فى المدن المقدسة انتصارا له ، وأرسل محمد على مجموعة من الضباط لتقديم التحية له عند وصوله ، واستقبله الحاكم التركى استقبالا رسميا فى جده ، وبالرغم من كونه منشقا فقد خصص له اجتماع شخصى مع الخليفة • وكانت فخامة حاشيته ومظهره الرشيق مثار الاستحسان المتوهج فى كل مكان • واستقبله الشعب استقبالا حارا عند عودته الى مسقط [١] • ويحدثنا تاريخ عمان عن ندرة المناسبات التى لا يجد فيها الحاكم نفسه عند عودته من رحلته مضطرا الى سحق المتمردين •

وفى يوليو ١٨٢٦ أرسل سعيد أسطولا لاغلاق بوشير ، ولكنه لم يهاجم المدينة استجابة لطلب المقيم الانجليزى • وكان حاكم المدينة الفارسى متغيبا وقبض عليه فى البحر فى أثناء عودته الى بلاده ووضع فى السجن عدة شهور • وفى نوفمبر من نفس العام أرسل سعيد عددا من السفن الى البصرة لتنفيذ دفع الهبة السنوية ، وكانت المتأخرات قد بلغت ١٠٤٫٠٠٠ دولار • وفى أثناء الاشتباك هزم الأتراك وحمل الباشا أسيرا الى مسقط [٢] •

وفى نوفمبر ١٨٢٨ وصل سعيد بأسطوله الى البحرين بقصد مفاجأة الجزيرة والاستيلاء عليها بعد أن ضمن مساعدة طحنون Tanoun رئيس أبو ظبى وزعيم قبيلة بنى ياس ، وكان تحت امرته ٤٠٠ جندى معد عسكريا • ولكن الحملة فشلت اذ هجر رجال طحنون الميدان بطريقة مزرية

---

(١) Palgrave ص ٢٧٧ ، Guillain ص ١٨٦ .

(٢) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٧ ، Badger ص ٤٦ ، Massur ص ٣ .

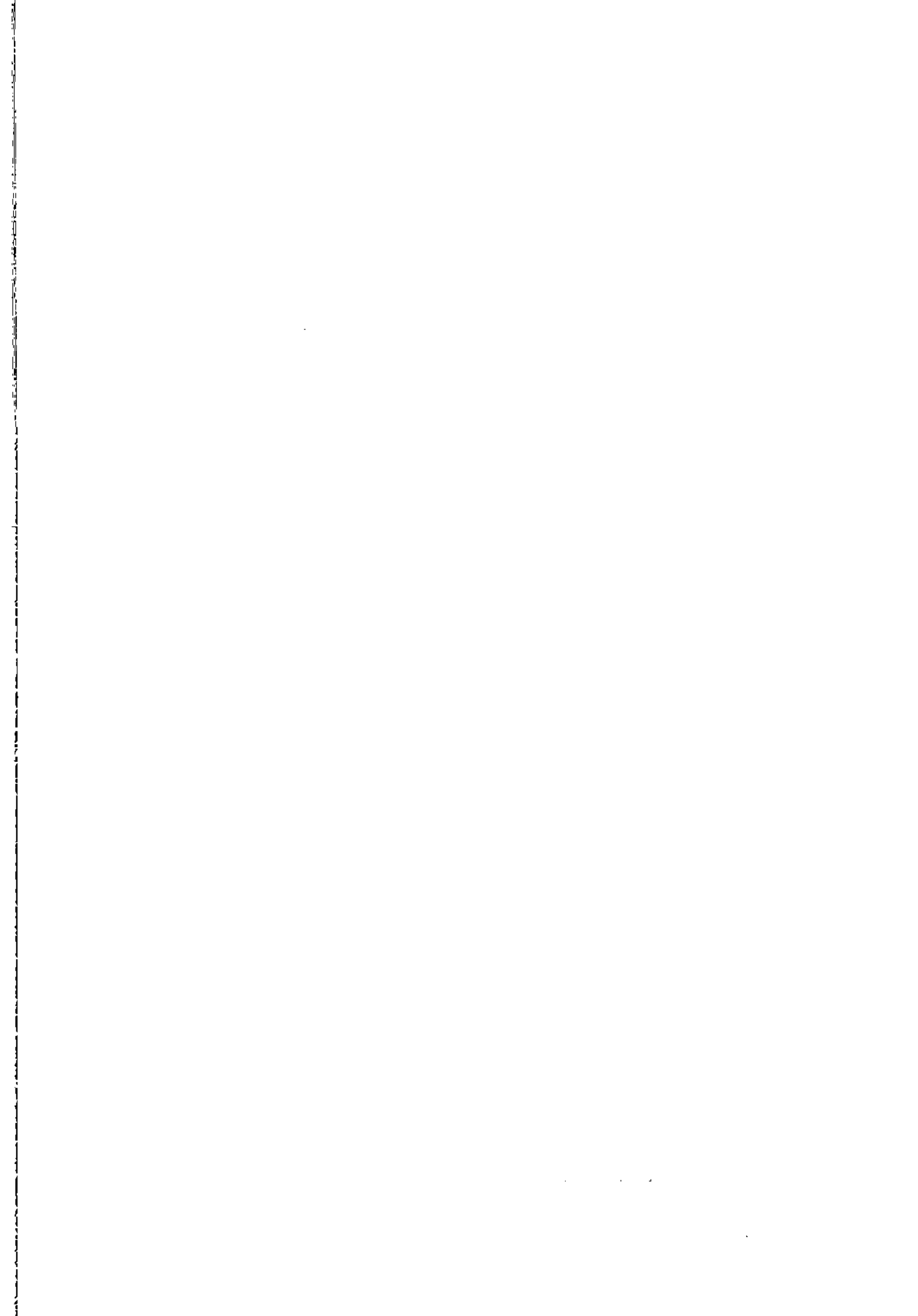
وعاد سعيد الى مسقط بعد أن ناله جرح بسيط ، وقد ثبط عزمه فى تحقيق مشروعه [(١)] .

وعندما قتل محمد عقيل حاكم ظفار فى مرباط عام ١٨٣٩ أرسل سعيد قوة للاستيلاء على المنطقة ، ولكنه اذ وجد نفسه فى حاجة ماسة الى قواته للقيام بالمغامرة فى شرق أفريقيا اضطر الى سحب الحامية بعد فترة قصيرة ، ولكن المنطقة استمرت منذ ذلك الحين جزءا من أملاك السلطان [(٢)] .

---

(١) Rep. ص ٣٤٧ ، Badger ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٧ ، Trans. Bomb. geog. Soc. ١٨٣٦ — ١٨٣٨ ص ٣٣ .

(٢) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٧ ، Rep. ١٨٨٤/٨٥ ص ٢٢ ، Miles ص ٥١٢ .



الفصل الثالث

عمـان وشرق أفريقيـا

يمثل ساحل شرق أفريقيا نموذجا يبعث على الاهتمام للامتداد الواسع لقطر به ملاجىء خافية ويشتمل على خليط غير محدود من عناصر مشتتة وأحيانا عناصر شاردة • وقد اضطر بعضهم ، وبخاصة سلالات البانتو ، الى اللجوء لهذه المنطقة اثر الضغط عليهم من الشمال • واحتمى الكثيرون منهم خوفا من المعارك العنيفة التى حدثت نتيجة للانشقاق الدينى • واذ وصل بعضهم الى الشاطىء فى رحلاتهم التجارية فانهم استقروا هناك فى تجمعات صغيرة من التجار الذين احتالوا على العناصر الأصلية من السكان وسيطروا عليهم وهم على قدر كبير من التخلف حرمتهم من القيام بمقاومة ملائمة ، أو كانوا مشتتين الى حد أنه لم يكن باستطاعتهم خلق تجمع يؤثر فى مسار الأحداث • ومنذ نهاية القرن السابع الميلادى استطاع العرب اقامة نماذج لكل طبقة من الطبقتين الأخيرتين ، وكان العمانيون [1] بخاصة ، هم البارزين من بين العناصر العربيـــة : ولا يستطيع ثبت بالســـيرة الشخصية أن يقدم مجالا لشرح أسطورة أو أن يحلل خرافة ، وكل ما يمكن عمله لا يزيد عن مجرد محاولات هى مظاهر بارزة تبين تدخل عمان فى ساحل شرق أفريقيا منذ الفترة التى أخذت فيها المعلومات شكل حقائق تاريخية •

وان الدور الذى قامت به أسرة اليعاربة الحاكمة لطرد البرتغاليين من عمان ذاتها قد سبق ذكره ، وقد استغاث وفد مفوّض من الساحل الشرقى لأفريقيا فى عام ١٦٥٢ بمؤسس هذه الأسرة الحاكمة • وأراد

---

(١) Badger ص ٥ ، Krapf ص ٥٢١ ، Zanzibar ص ٤٣ ، Ingrams ص ١٩ •

سلطان بن سيف أن يقوم بخدمة مماثلة لمبسة وزنجبار وبمبه [١] • وكان هو الملجأ الوحيد المعقول للاستجابة للنداء ، ليس فقط لأنه كان المدافع عن حقوق الشرقيين الوطنيين ضد الغرب وعناصر الاضطهاد الأجنبية ، بل كذلك باعتبار أن الجزء صاحب الكلمة العليا فى مجتمع شرق أفريقيا كان يتكون من التجار العرب ، مهما تباينت أصولهم الأولى إلا أنهم كانوا ينظرون الى الامام باعتباره القوة الموحدة التى تستطيع العمل على حماية حريتهم • وبمرور بضعة قرون ، فان الممالك العربية فى جنوب غرب شبه الجزيرة العربية ، والتى يبدو أن معظم عناصر شرق أفريقيا تنتمى اليها قد تفتتت واختفت ، ولكنهم استعانوا به لأنهم فى أعماقهم سلالات عربية بالرغم من أن أصولهم قد لا تكون من نفس الأصول الموجودة الآن ، بل قد لا تتفق مذاهبهم الدينية مع بعضهم البعض ، وكانت دعوة تتطلب استجابة سريعة تجمع بين الاهتمام الى جانب العاطفة ، ذلك أنه لم توجد أى أسرة حاكمة فى عمان أهملت الحقيقة القائلة بأن العلم يرتفع بعد التجارة • واذ كان وضع سلطان بن سيف الداخلى غير آمن ، فقد أقلع أسطول من مسقط لطرد البرتغاليين من ممبسة • وعلى أية حال فانه من الصواب استنتاج من التقاليد الشفاهية أن طرد البرتغاليين لم يكن أمرا سهلا ، لأنهم على الرغم من اخراجهم فانهم عادوا بعد سنوات قليلة وتمكنوا من الاحتفاظ بها حتى عام ١٦٩٦ ويقال ١٦٩٨ [٢] • وحوالى تلك الفترة أرسلت عمان حملة أخرى [٣] ، وكان وصولها اشارة الى اندلاع ثورة على الساحل • وحدثت مذبحة للبرتغاليين على نطاق واسع • وكانت النتيجة انتهاز حكام عمان الفرصة لاقامة امبراطورية فيما وراء البحار ، لم تغب

---

(١) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٧ ، Badger ص ٩٢ ، Strandes ص ٢٢٩ ، Ingrams ص ٥٨ .

(٢) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٧ ، Badger ص ٩٢ ، Ingrams ص ٥٩ .

(٣) Strandes ص ٢٤٦ ، Grandidier ص ٣٤ .

عن تفكيرهم بتاتا • وهناك من الدلائل ما يوضح أن سلطان بن سيف قد استوعب الاحتمالات ،ورأى اغتنام هذه المزية ، ولكن ضعفه فى الداخل أخر تحقيق أحلامه ، واستمر الوضع قائما كما هو حوالى قرن من الزمان • وهكذا كانت الابادة التامة للبرتغاليين الى حد أنه على الرغم من انسحاب الفرقة العسكرية العمانية فان المنطقة استمرت حرة من التدخل الأوربى حتى عام ١٧٢٨ • ففى هذا العام استطاع الأميرال البرتغالى لويس دى سامباو اخضاع ممبسة ، وللمرة الثانية استنجد الأهالى بعمان • وكما حدث فى المرة السابقة أبحر أسطول صغير لكى يجد عند وصوله أن ثورة أهلية كانت كافية لابادة الغزاة • وسرعان ما انتهز الفرصة محمد بن سعيد المعمرى الذى عينه الامام سيف بن سلطان نائبا عنه فى طرد البرتغاليين ، فأعلن نفسه واليا على ممبسة ، وأرسل قوة احتلال صغيرة الى زنجبار ، وأرسل الجزية الى عمان كل فترة •

ولكن الخلافات الداخلية كانت من الحدة الى درجة أنه وجد من المحال المحافظة على خطوط مواصلات مع هذه المنطقة التابعة دون أن يحدث فيها بعض الاضطرابات • لذلك لم يكن أمرا عجيبا أن أقيمت فيها أسرة حاكمة وطنية • وبعد أحد عشر عاما من الانقلاب الذ ىقام به محمد بن سعيد فان شخصا يدعى محمد بن عثمان المزروعى انتحل لنفسه منصب والى ممبسة وأسس أسرة مازيرعى التى استمر وجودها على الساحل الشرقى ، ولايزالون حتى اليوم محتفظين بجزء تحت ادعاءاتهم • ولم يضع مؤسسها وقتا وأعلن استقلاله ، اذ كانت عمان مشتبكة فى معارك بظهور البوسعيد • وعلى أية حال فان التجارة بين البلدين لم تنقطع • وكان الاهتمام الأول لأحمد بن سعيد ، عندما أحسن أن كرسى الحكم أصبح ثابتا تحته ، أن يستعيد السيادة التى غابت فترة • ومن ثم أرسل سيف بن خلف عام ١٧٤٥ ومعه أوامر باغتيال محمد بن عثمان وأن يسترجع ممبسة • واستطاع سيف تحقيق أهدافه بأمانة ، لكنه اذ اقتطع الشجرة فقد تجاهل جذورها • وقتل محمد ولكن أخاه على تحالف مع الأهالى الوطنيين وأحد تجار الانجليز

ويدعى كوك ، الذى لم يجد مساعدة تحت السيطرة العربية ، واستطاع هذا التحالف احتلال قلعة المدينة وقتلوا سيف واستولوا على السلطة . واستمر على مستقلا حتى وفاته . ولكن المدن المجاورة وهى كلوا ، مرقا ، وزنجبار استسلمت واستقبلت فى شخص عبد الله بن جعد أول حاكم من البوسعيد [١] .

كان هذا نهاية الانجاز الذى قام به أحمد بن سعيد ، وحتى تولى السيد سعيد الحكم لم تحدث سوى عملية واحدة ذات وزن . ويجب ألا يغيب عن الذهن أن الامام أحمد ترك الحكم ، لسوء الحظ ، لابنه الضعيف سعيد وأن إبنا ثانيا لا يملك أى سلطة فى الوطن اتجه صوب الوجهة المعتادة وبدأ يعد العدة لتأسيس مملكة لنفسه فى شرق أفريقيا عام ١٧٨٤ . ورأى سعيد أن يمنع ذلك فأرسل ابنه أحمد مع قوة صغيرة لتحرير زنجبار التى كان سيف يحاصرها ، ثم انطلق بعد ذلك الى ممبسة حيث حصل على اقرار كتابى بالسيادة المطلقة لعمان ، وتحول بعد ذلك ولمـــدة ٣٠ عاما لمقاومة غزوات النجدين [٢] .

أما السيد سعيد ، فانه بالرغم من وجوده وسط حملات عسكرية شاقة فاشلة ضد القراصنة وقطاع الطرق ، فقد وجد لديه وقتا للتدبر فى مهمته نحو الغرب . وفى عام ١٨١٢ أرسل خلف بن ناصر واليا على ممبسة ، وأشار عليه ببناء قلعة بمدينة لامو . أما ممثل أسرة المزاريع الحاكمة وهو عبد الله بن أحمد ، ولم يكن لديه أى تدبير لمقاومة هذا التعدى ، فقد رفض الاعتراف بحقوق عمان سواء من ناحية السيادة أو فيما يتعلق بالرسوم وكان المعنى الوحيد لذلك الوضع هو الحرب ، واذ تحقق أحمد من الموقف

---

(١) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٧ .

(٢) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٢ ، ٢٨ ، Guillain ص ٥٥٦ .

أخذ يستكشف الأمور لطلب النجدة ، ولكنه فشل فى العثور على عون قريب ، فقام بنفسه على رأس بعثة فاشلة الى بومباى • وفى تلك الأثناء وظروفه غير آمنة ، فلم يجد شيئا سوى ارسال قوة صغيرة عام ١٨١٧ ، ١٨٢٢ للاستيلاء على بات ، براوا ، سيو • وقام العمانيون على الساحل بعمليات لحسابهم الخاص ، وهاجم والى زنجبار بمبا وطرد حامية ممبسة • ومات عبد الله عام ١٨٢٣ وتولى سليمان بن على والى بمبا السابق منصب نائب السلطان مكان عبد الله • ولم يكن مركزه فى بمبا قويا اذ كان قد فقد أغنى ممتلكاته وأصدر مرسوما بمنع التجارة مع ممبسة مما زاد من فقـــره وحاجته • وفشلت اعادة الاستنجاد ببومباى • وفى ديسمبر ١٨٢٣ عندما رست السفينة باراكوتا ــ التى تعمل فى خدمة صاحب الجلالة الملك ــ عند ممبسه للقيام بعملية مراقبة للشواطىء ، فقد طلب الى قائدها الكابتن فيدال بوضع ممبسة تحت الحماية الانجليزية ، وقدم الطلب الى بومباى للحصول على تعليمات اضافية • ولكن قبل أن يصل الرد ، وصلت قوة أضخم من عمان تحت قيادة عبد الله بن سليمان ، اذ أن نائب الحاكم ، وكان يأمل فى التوصل الى تفاهم عن طريق التسوية مع الغزاة ، فانه رفع العلم الانجليزى • وفى يوم ٧ فبراير ١٨٢٤ وصلت سفينة انجليزية أخرى هى ليفين Leven وتكرر نداء الاستنجاد لقائدها كابتن أوين الذى قبل فورا السيطرة على المنطقة ما بين مالندى حتى بانجانى شريطة أن يلغى نظام الرق من المنطقة كلها • وبقى الضابط ريتز ليتولى منصب الحاكم • ثم أقلع نحو بامبا آملا فى الاستيلاء على الجزيرة ، ولكن أصابته خيبة الأمل اذ لم يستطع تحقيق هدفه • ففى يناير عام ١٨٢٥ ضم براوا ، ووقع اتفاقا مع والى زنجبار على أن تستمر الأمور كما كانت عليه الى أن ترد الأوامر من بومباى • وعلى أية حال فانه عند وصول الأوامر فى العام التالى ، اكتشف أنه يجب العمل على تخفيف نبرة الحماس المتصل بالمكان وذلك بالاعتماد على التعقل فى مركز القيادة العليا • وقد تنصل من الأعمال

التى قام بها كابتن أوين [1] . وتم الجلاء عن ممبسة وترك الأمر لسعيد لوضع الأمور فى نصابها كما يشاء . كانت هذه النتيجة ضربة قاصمة لنائب الحاكم وهو فى تلك الفترة سالم بن أحمد الذى تولى بعد أخيه الوالى السابق ، وأرسل سعيد اليه طالبا منه التسليم واعداً إياه بالحكم الاسمى مع دفع ضريبة ، ولكنه رفض وأخذ يحصن المدينة ، فانطلق سعيد بحملة شخصية كانت هى بداية الطريق الذى قاده الى تأسيس الامبراطورية الأفريقية [2] .

وقد أعدت ترتيبات كثيرة لزيارة سعيد الأولى لما كان يعده من الممتلكات فى شرق أفريقيا . ولكن هذه الترتيبات لم تكن مناسبة مع المهمة التى بدأها ، ذلك أن سعيد لم يقدر قوة العدو تقديرا سليما للقيام بالعمل الذى أوشك على القيام به وذلك لأنه لم يهتم بمعرفة طبيعة ذلك العمل الى جانب نجاحه الحديث وبالمشورة غير الصائبة التى قدمها له مستشاروه . وعلى أية حال فانه جمع أسطولا ضخما ومن بينه السفينة ليفربول وكان بصحبته ١٢٠٠ جندى [3] .

وبالرغم من الحقيقة الثابتة أن كولونيل ما يلز وآخرين كانوا موضع ثقة فى تواريخهم الدقيقة الى حد أنهم كانوا يحددون يوما معينا ١٥ ديسمبر ١٨٢٩ ميعادا لوصول الحملة [4] ، فالأمر متروك للمناقشة اذ لا يتفق كثير من أصحاب السلطة حتى على السنة . ولكن هناك قدر من الاتفاق فى أن عملية الانزال حدثت فى ديسمبر من أحد الأعوام ، وأن سعيد وصل أمام

---

(١) Rep. ٨٤/١٨٨٣ ص ٢٩ ، Grandidier ص ٥٣ .

(٢) Rep. ٨٤/١٨٨٣ ص ٢٢٨ Miles ص ٣٢٩ ، Badger ص ٣٤٩ ، Guillain ص ٢٧٧ ، Grasdider ص ٣٥ .

(٣) Rep. ٨٤/١٨٨٣ ص ٢٩ .

(٤) Miles ص ٣٢٩ ، Bomb. Sel. ص ٢٠٠ ، Lyne ص ٢٨ .

ممبسه في الأيام الأولى من شهر يناير • وحتى وقت قريب كان التساؤل يبدو بدون حل ، ولكن تدل الشواهد الآن دلالة قاطعة على صحة ما حدده كولونيل مايلز بخصوص الشهر وصحيح بالتقريب فيما يخص اليـوم وصحيح تماما فيما يتعلق بالتواجد في البحر في ذلك العام • وان دلالة الوثائق المتاحة حتى الآن تتأرجح بين عامى ١٨٢٧ ، ١٨٢٩ • ومن ناحية أخرى فان جويلان [١] يقول ان الأسطول وصل الى ميناء ممبسة في الأيام الأولى من عام ١٨٢٨ • وكان العبور من مسقط الى ممبسة خلال موسم الرياح الموسمية ويستغرق حوالى ثلاثة أسابيع لسفينة شراعية • إذن فان الوصول الى ممبسة حدث في الأيام الأولى من شهر يناير ١٨٢٨ ، ولابد أن سعيد بدأ الابحار حوالى أواخر الأسبوع الثانى من شهر ديمسبر ١٨٢٧ • وبعبارة أخرى فان مايلز وجويلان يبدو أنهما متفقان بخصوص اليـوم والشهر ، ولكنهما لم يتفقا على السنة • واذا أردنا اختيارا بين مايلز وجويلان فان المفاضلة تميل الى صف جويلان الذى عاش في مسرح الأحداث ٣٠ عاما ، وبدرجة أقرب للأحداث من مايلز الذى أعد عمله كوثيقة حاسمة أكثر من كونها مجرد سجل حكومى • ولعل من حسن الحظ أنه وجد في زنجبار خطاب موجه من سعيد الى بعض الرؤساء من جيرانه مؤرخا بتاريخ ١٩ جمادى الآخر عام ١٢٤٣ هـ (الموافق ٧ يناير) وهذا نصه :

« من سعيد بن سلطان الى المشايخ اسحق بن بوانا ميا ، أبو بكر ابن محمود بن الشيخ ، يوسف بن الشيخ ، في يوم ١٩ جمادى الآخر ١٢٤٣ (يناير ١٨٢٨) (بعـد التحية) •

نحن نرجو إخباركم أننا قد وصلنا الى ممبسة يوم ١٤ وفى يوم ١٦ وصلنا الخليج الصغير ، وفى هذا اليوم حدثت معارك شرسة • وفى يوم

---

(١) Guillain جـ ١ ص ٥٨٦ •

١٧ أتى الينا سالم ومبارك واخوتهما وأطفال ليوالى مستسلمين وطلبوا الينا ايقاف الحرب ، وطلبوا تسليم الحصن ، وفى يوم ١٨ رفعنا علمنا عليه واحتلته قواتنا . نرجو إعلام هذه الأخبار الطيبة لأصدقائنا جميعا . وإننا لشاكرين الله الذى سهل مهمتنا . أما بخصوص أهالى سيو فانهم اذا كانوا قد نفذوا ما وعدوا به فعليكم الاسراع فى بناء الحصن . ولكن اذا وجدتم أنهم لا يرغبون فى تحقيق وعودهم فأرجو إعلامى بكل ما يحدث من أمور ، وإننا قد نرسل لهم قوة عسكرية . نرجو منكم الرد السريع .

كتب بأمر صاحب السمو بخط يد عبده على بن هاشم . أوصلوا سلامنا الى القضاة والشيوخ الآخرين .

ونظرا لأنه ليس هناك ما يدعو الى الشك فى صحة هذه الوثيقة وأصالتها ، فانه لا يوجد داع للتساؤل حول صحة أقوال جويلان بخصوص السنة وكذلك بخصوص ما حدده مايلز من اليوم والشهر .

وقد يكون من المستحسن تحمل الغاء الموضوع الخاص بتحديد اليوم ، ولكن لسوء الحظ لا يمكن تحقيق ذلك الأمر ، فان جميع السلطات تتفق على أن هذه الحملة الأولى حدثت ، وهذه هى النقطة الوحيدة تقريبا التى يتفق حولها الجميع . وقد تبين (١) أن سعيد ، وهو يتوقع نصرا سهلا لم يقم بهجوم سريع بل انه حاول إثارة الرعب لدى سالم عن طريق الاجراءات الطبيعية المعقدة والمحكمة . ولكن تبين أن سالم ـــ وهو لا يستطيع الحركة ـــ رفض عروضا لاجراء محادثات تمهيدية وصد الاغارات التى وقعت ضده ، وأرغم سعيد على الانسحاب الى زنجبار حاملا معه طموحه

---

(١) Rep. ٨٤/١٨٨٣ ص ٢٩ .

الذى لم يتحقق [١] . كذلك فان تاريخ البحرية الهندية يقول « ان الامام عاد الى مسقط يوم ٨ مايو ١٨٣٠ ، وقد فشلت جميع محاولاته لاخضاع ممبسة » . ويضيف أن ممبسة لم تخضع حتى عام ١٨٣٧ .

ويقدم جويلان ، من ناحية أخرى ، تقريرا مخالفا كل المخالفة لما سبق ذكره عن حملة عام ١٨٢٨ اذ يقول ان سعيد قام بمحاولة أولية كى يوضح لسالم العبث من وراء المقاومة وأن سالم بقى دون تأثر فانهمرت الطلقات بقسوة على المدينة من جهة الميناء ، وبدأت مفاوضات الاستسلام وأعقبها توقيع معاهدة [٢] مشتملة على هذه النصوص :

أولا : تسليم القلعة لسعيد مع منحه السماح بوضع حامية فيها من ٥٠ جنديا من بين قبيلة صديقة لقبيلة المزاريع . وثانيا : أن باستطاعة سالم وأفراد أسرته الاقامة الدائمة هناك . والمادة الثالثة : هى الاعتراف بحقوق سعيد الملكية . ولكن هذا الشرط كان محددا بحقيقة أن سالم وورثته لهم الحق فى الاحتفاظ بالحكومة بين أيديهم . وأخيرا فان دخل الجمارك يقسم على جزأين متساويين بين الطرفين ، وترك الأمر لسالم فى اختيار الضابط رئيس الجمارك [٣] . ودخل سعيد القلعة فى ١١ يناير . وقد أعطانا مايلز بيانا بجميع البنود وهى مطابقة كأنه سجل عن العمليات التى حدثت خلال حملة عام ١٨٣٢ [٤] . واذا نحن سلمنا بأن خطاب سعيد للرؤساء كان متميزا فاننا نستطيع أن نبنى عليه وجهة نظر صحيحة لما حدث تماما . فقد وجد سعيد أن الأحوال فى ممبسة أكثر تعقيدا عما كان يعتقد ، واذ كان

---

(١) Guillain ص ٥٩٤ ويشير الى ان سعيد تكفل بالقيام بحملة أخرى الى ممبسة فى ديسمبر ١٨٢٩ دون أن يستطيع اخضاع الموقع تحت سلطانه .
(٢) Low ص ٣٣٠ .
(٣) Guillain جـ ١ ص ٥٨٧ .
(٤) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٩ .

لا يريد المغامرة بضربة واحدة فقد فضل قبول هذه المعاهدة التى هى أقرب الى ظل معاهدة ، بدلا من تضحية الثروة فى إغارة أو هجوم • وقد قدم هذا الاجراء على أساس أنه انتصار عظيم ووافقت زنجبار عليه بهذا المعنى عندما وصل اليها فى النصف الأول من فبراير ١٨٢٨ فقد استقبل هناك استقبالا حافلا فى موكب مطهم [١] • ومن المحتمل أن عقد المعاهدة قد تم فى هذه المناسبة وليس بعد أربعة أعوام • وسنجد أن هذا هو مدار الجولة التى يدور حولها احتدام الصراع فيما سيأتى • وفى الواقع فان المعاهدة تحطمت فور وضعها ، ذلك لأن سعيد فسر المادة الأولى منها بوضع ٥٠ جنديا جديدا كل صباح دون أن تنسحب القوة السابقة ، وعندما تصل القـــوة العسكرية الى ٢٠٠ جندى فانه يلفظ سالم ويرغمه على الاعتزال داخل المدينـــة [٢] •

ولم يقدر لسعيد ، على أية حال ، أن يمضى وقتا طويلا فى زنجبار تحت هذه الظروف ، اذ أن الاحتياطات التى اتخذها فى عمان قبل رحيله كانت عاجزة عن ضمان الأمان التام للبلاد على الأقل • وكان قد عين ابن أخيه محمد بن سالم ، ويبدو انه كان ضعيف الشخصية لا أهمية مميزة له ، وتركه نائبا عنه • وبعد أن قام بذلك العمل اضطر الى وضع شخص قوى من الأسرة فى السجن ألا وهو عمه هلال بن محمد لإبعاده عن الاتيان بأى عمل ضار [٣] • وكان هذا الأخير محبوبا وصاحب نفوذ فى المناطق الشمالية وبخاصة حول السويق • وبالرغم من أن هلال لم يكن يملك القوة للقيام بأى عمل فانه من غير المحتمل أن يصبر بعض أفراد الأسرة على هذه الاهانة • ويبدو أنه من الصعوبة الى حد ما شرح الأسباب التى دعت شخصا سياسيا فطنا وداهية مثل سعيد أن يقترف مثل هذا الخطأ البدائى ،

---

(١) Krapf ص ٥٣٤ ، Guillain ص ٥٨٩ .
(٢) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٩ ، Guillain ص ٥٨٨ .
(٣) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٧ .

ولكن يحتمل أنه قد نظر الى الأمر باعتباره مخاطرة وأن يضعه فى السجن بدلا من أن يعينه فى موقع قد يمد منه نفوذه ثم يطالب بادعاءات السيادة لنفسه ٠ واذا كانت هذه هى نتائج حسابات سعيد فانها من وجهة النظر هذه تكون سليمة مع أنها تمت بصعوبة ٠ وهكذا وجد مملكته عند عودته وقد استولى عليها فى غيابه وأنه هو ذاته اضطر الى استردادها ثانية ٠

لم يكن سعيد قد غاب طويلا عندما استطاعت جوخه أخت هلال ، الاستيلاء على السويق وإثارة الباطنا وأرسلت رسلا لإثارة حمود بن عزان ، وهو ابن عزان الذى رأينا على أثر موته [1] (كما علمنا من قبل) آلت صحار الى سعيد ، وقد يكون من المحتمل أن هذه هى رغبة عزان نفسه ، ولكنها فى الواقع لم تتوافق مع طموح ابنه ولا بالشعور الفياض الذى كان يكنه الأهالى نحوه ، ومن ثم فان حمود لم يكن بأية حال غير راغب فى التحالف مع الساخطين وأن ينتهز الفرصة التى سنحت له بغياب سعيد ٠ واذ لم يكتف بالسيطرة على صحار فاستولى أيضا على الخابورة ثم شناص وأخذ يعد العدة للهجوم على مسقط ذاتها [2] ، ووصلت الأحوال بذلك الى حد التأزم ٠ وتبعا لما حدث من قبل وفى ظروف سابقة فيرجع الفضل الى محمد بن ناصر والانجليز فى التخلص من هذه الأزمة باتخاذ اجراء سريع ٠ ولا يوجد هناك أى عمل يظهر فيه نفوذ النساء وبلاد العرب بمثل هذا الوضوح : اذ من ناحية كانت جوخه أخت هلال تحرض على ضرورة حدوث انقلاب ومن ناحية أخرى كانت بيبى موزه عمة سعيد تقود المقاومة ، وهذه السيدة الباسلة التي كثيرا ما كانت حاضرة فى أعماق النزاع ، فانها كانت

---

(١)انظر ص ٣٣ من هذا الكتاب .

(٢) Rep. ٨٤/١٨٨٣ ص ٢٩ .

موجودة كذلك فى مجلس الشورى [١] • ومارست نفوذها على محمود ابن ناصر بشكل تام ، كما كانت تمارسه منذ حوالى ٣٠ عاما فى حالة بدر ابن سيف • وبايعاز منها بعث محمد بن ناصر ١٥٠٠ جنديا من سمائل الى مسقط ، وأخذ يحض القبائل المخلصة على احداث تحول بالهجوم على صحار من الشمال [٢] • وفى الوقت نفسه تلقى الانجليز استغاثة من النائب محمد ابن سالم • وتبعا لذلك أبحرت سفينتان من بومباى للطواف حول شاطىء الباطنة وإحباط أى محاولة حول مسقط • واحتفظ المقيم الانجليزى فى الخليج الفارسى بعدد من السفن فى حالة تأهب عند مسقط وأرسل العديد من الاحتجاجات الى حمود محذرا إياه من أن أى تقدم بعد ذلك سيعده الانجليز عملا معاديا [٣] • وهكذا أمكن منع وقوع الخطر • وفى تلك الأثناء عاد سعيد من زنجبار فى مايو ١٨٣٠ • ولم يلبث أن أخذ يقلل من شأن هذ هالفتنة السياسية وأعلن أنها أخذت شكلا مبالغا فيه وأشار الى استثناء خاص بالدور الذى لعبه الانجليز فى هذا الصدد • لذلك أمر بسحب الطراد (أو عدد من الطرادات اذ اختلفت التقديرات هل كان واحدا أو أكثر) المرسل من بومباى ، وادعى أنه قادر علىالتعامل مع هذا الحادث • ويمكننا أن نعزو حركته هذه الى الحسابات الفطنة لملك مستقل لم يكن راغبا فى رؤية بلاده تحت سيطرة أجنبية ، وكان لديه قدر كبير من الخبرة حول الثمن الذ ىيدفع مقابل المساعدة الأجنبية •

---

(١) ان تاريخ الجزيرة العربية قد عرف عددا كبيرا من النساء الشهيدات . وسوف نقدم مجموعة صغيرة منهن . ملكة سبأ « والنساء الأربعة الحكيمات فى الجزيرة العربية » . (Perron ص ١٠ ، ٤٠) وعائشة زوجة الرسول (Irving ص ١١٣) ، زبيدة زوجة هارون الرشيد (Zehme ص ٢٧) ، نايلا زوجة الخليفة عثمان (Cbrichton ص ٣٠٣) ، زنوبيا ملكة بالميرا (Openhein ص ٢٩٣) واختاها زابا ، رابحة (Price ص ١٢٤) ، وغالبا جان دارك الصحراء (Burckhardt ص ٣٧١) ، (Didier ص ١٩٦) ، Huart ص ٢٩٤ .

(٢) Badger ص ٨٤ .

(٣) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٩ .

وعلى أية حال فان النكبة كانت أكبر من أن يستطيع اصلاحها • وفى شهر فبراير ١٨٣١ قام بهجوم ضد صحار ، وكانت الاستعدادات لهـذه المهمة ذات إعداد طبيعى متقن • واستطاع التوصل الى ايجاد وحدة مع القواسم بعد أن منح سلطان بن صقر مبلغا من المال للارتباط به ، وطيب خاطر النجدين ببعض الهدايا [١] • بل لقد ادعى أنه استطاع استئجار عدد ضخم من البدو المرتزقة • ولكنه ما لبث أن تولاه الذعر من أعدادهم الكبيرة الى حد أنه دفع مبالغ طائلة حتى يضمن رحيلهم [٢] • وبالرغم من ذلك كان الهجوم على صحار فاشلا اذ أن حلفاء حمود فى الشمال منعوا سلطان من التعاون بتحديد نشاطه داخل أملاكه فقط وكانت صحار أقوى من محاولات سعيد التى لم تستند على أية مساعدة [٣] • وكان عليه أن يشعر بالرضا باعادة الاستيلاء على شناص وأن يستعيد هلال السويق • وبعد فترة قصيرة وقع حمود اتفاقية مع سعيد ، استعاد حمود بمقتضاها صحار والخابورة بينما وافق على الاعتراف برئاسة سعيد والموافقة التامة على عدم القيام بأى عمل عسكرى بدون موافقته [٤] • كذلك تعهد بدفع مساعدة سنوية للمدن مقدارها ٨٠٠٠ كراون ألمانى [٥] •

ومن الواضح أن الثمار التى نتجت عن حملة سعيد الأولى لشرق أفريقيا كانت ضئيلة سواء فى شرق أفريقيا أو فى الداخل • ولذا فان الأمر أصبح يدعو الى الدهشة عام ١٨٣٢ حيث قاسى من المخاطرة المزدوجة مرة أخـرى •

---

(١) Bamb. Sel. ص ٢٠٢ •

(٢) Bamb. Sel. ص ٢٠٢ •

(٣) Badgar ص ٣٥٢ •

(٤) Bamb. Sel. ص ٢٠١ •

(٥) Rep. ٨٤/١٨٨٣ ص ٢٩ ، Bamb. Sel. ص ٢٠٣ •

ولم تقل الاستعدادات لحملته الثانية ضد ممبسة اتساعا وضخامة عن الحملة الأولى . فقد احتشد ١٤٠٠ رجل مع السفينة ليفربول وأربع طرادات وست سفن أخرى [١] ، وهناك أكثر من تقدير يكشف عن ضرورة القيام بحملة للرد على الاجراء الذى قام به ناصر بن سلطان والى بمبا ، اذ أنه بعد رحيل سعيد بفترة قصيرة متجها الى زنجبار عام ١٨٢٨ ، ظهر هذا الرجل أمام ممبسة مدعيا أن سعيد قد عينه حاكما على المدينة ، واستطاع باستخدام هذه الادعاءات احتلال القلعة التى كانت قوات سعيد قد استولت عليها ناقضة بذلك الاجراء المعاهدة مع سالم . وعلى أية حال فانه وجد أن مناعة الموقع كانت ذات فائدة لعدوه وله فى الوقت نفسه . فمن ناحية كان من المستحيل مهاجمته ، ولكنه من ناحية أخرى كان لايستطيع الهروب . وعمل الجوع عمله شيئا فشيئا . وبعد حصار دام عدة شهور استسلم ناصر بن سليمان فى تعقل ، وخضع بعد قليل لحبس صارم [٢] . ويدعى البعض أن سعيد وجد من الضرورى الثأر للفشل الذى لحق بتابعه . ولكن بينما كان من الممكن لهذه الأحداث أن تعد عذرا ، فانه ليس من المحتمل أنها هى السبب الأوحد للعمليات الحاضرة ، وأن عزلة سعيد فى عمان قد تخفف من أغلال السيادة المطلقة ، وأن تمكن سالم من الاقدام مرة أخرى على عمل باعتباره ملكا مستقلا . وعلى أية حال فان المعاهدة كما هى كانت تمد سعيد بمركز يتفق مع وجهات نظره . فمدينة ممبسة فى هذه الأثناء كانت مفتاحا لجميع أجزاء شرق أفريقيا ، وكانت أقدم الموانى فى شرق أفريقيا وأكبرها من حيث الحجم . وفى الحقيقة فان سعيد كان قد بدأ يعد العدة لتأسيس مدينة منافسة لها فى بضع سنوات لتتقدم عليها . ولكن فى عام ١٨٣٢ استمرت ممبسة كميناء بينما كانت زنجبار أرضا طينية مسطحة . ويجب علينا أن نتأمل بالأحرى الأسباب الاستراتيجية

---

(١) Bamb. Sel Rep.

(٢) Krapf ص ٥٣٥ ، Guillain ص ٥٩١ .

العامة لهذه الحملة الثانية التى قام بهـــا سعيد بدلا من تلك الخلافات الطفيفـــة •

ونحن لا نعرف الشيء الكثير عن طبيعة الهجوم ، ولكن لحسن الحظ فان النتائج ، وهى ذات أهمية كبرى ، كانت أكثر وضوحا • وان جهلنا لا يستند الى التضاد النابع من مدرستين فى السلطة ، وقد رأينا أن ما يمكن تسميته بالتفسير البريطانى ينفى عن سعيد احتلال ممبسة بشكل قاطع فى عام ١٨٢٨ ويؤكد أن سعيد أبحر بعيدا بيد خاوية • وهذه المدرسة تحدد توقيع المعاهدة مع سالم فى عام ١٨٣٢ بينما يقرر جويلان ومن تبعه أنها وقعت فى عام ١٨٢٨ • وعلى أية حال فانه بقبول هذه النتيجة نجـــد أنفسنا مرغمين مرة أخرى الى اتباع رأى جويلان ونجد تشابها كبيرا بين الأعمال فى عام ١٨٣٢ وتلك التى تمت فى عام ١٨٢٨ • فهناك المقدمة الأولية عديمة الفائدة ثم الضرب بالمدافع غير المجدى ، وأخيرا هناك المفاوضات التى ربما تتم بروح أكثر عمليا وتقود الى نتيجة حاسمة • وقد وجد سعيد أنه لم يحصل على معونة من ممبسة أو ما يجاورها ، فانه لم يأمل فى جلب قوة بحرية كافية لاحتلال المدينة ، وكان عليه بذلك أن يتقبل مرة أخرى بسرور الوضع كما هو وأن يعاد النظر فى تشريع معاهدة ١٨٢٨ ، ولكن كان من الواضح أنه ليس هناك خاتمة غادرة [١] •

واستمرت اقامة سعيد فى زنجبار فى هذه الظروف ثلاثة شهور ، ولم يترك عمان فى وضع محفوف بالمخاطر بل انه اتخذ خطوات محسوبة للإثارة أكثر منها تخفيف العواطف التى كانت بالكاد مختفية • وعند عودته من ممبسة عين هلال بن محمد واليا مطلق السلطة ، ولكنه أمره باتباع نصائح محمد بن سالم • واذ لم يحس سعيد بالاطمئنان من التقسيم الخطر للسلطة

---

(١) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٩ ، Guillain ص ٥٨٨ ، Krapf ص ٥٣٤ •

فانه سلم بركاء سريعا لسعود بن على وهو ابن حفيد أحمد بن سعيد فهو من ثم قريب له • وكان الأمر يتطلب رجالا ذوى لباقة لا بأس بها مع روح حزبى للعمل برقة فى طاقم ثلاثى [١] • ولكنه عندما تبين له أنه الى جانب دقة الظروف فان هؤلاء الثلاثة كانوا لفترة سابقة فى حالة خصام وخلاف فسوف تتحقق خطورة الأعمال التى قام بها سعيد •

وحدثت الحركة الأولى فى بركاء من جانب سعود الذى أحس بالضيق تجاه هلال ومحمد ليس لأسباب شخصية فحسب بل كذلك لأنهما دبرا الأمر للحصول على نفوذ ضخم بين الأهالى عن طريق اقامة علاقات شخصية متينة مع سعيد ، وكذلك بالاعتماد على مركزهما فى مسقط [٢] فهاجمهما بينما كانا فى طريقهما لاستعادة الرستاق ، وهكذا أصبحت البلاد فى حالة حرب ، واستطاع سعود بنفسه حصار المصنعة بينما كان سلطان بن صقر والقواسم يفضلون تفضيلا طبيعيا خور فاكان ودبى ، وصمم حمود بن عزان على اضافة الرستاق لأملاكه حول صحار • وكما كان يحدث عادة فان الهدوء النسبى كان يغلف مسقط بينما كان الشمال يمر بحالة من التشوش التام • وكما سبق فان بيبى موزه ومحمد بن ناصر كانا هما الوحيدين الهادئين فى البلاد ، واستطاع هذان الاثنان حماية مسقط بالاستعانة بـ ١٥٠٠ رجل من بنى غافر [٣] ، وأرسلا تعزيزات عسكرية الى الرستاق ، ولذلك لم يستطع حمود بن عزان الاستيلاء على فريسته [٤] ، واستمال بنى نعيم للقيام بتحويل الأنظار نحو صحار • وبالرغم من ذلك فهناك شك فى أن الاجراء الذى اتخذاه كان فى امكانه انقاذ الموقف دون تدخل قوى من بومباى • وقد أرسل المقيم فى بوشير تحذيرا كتابيا للمتمردين يعرض

---

(١) Badger ص ٣٥ •
(٢) Bomb.Sel. ص ٢٠٤ •
(٣) Rep. ص ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٩ •
(٤) Bamb. Sel ص ٢٠٤ •

عليهم وجهة نظر الانجليز تجاه الأعمال التى يقدمون عليها ، وفى نفس الوقت أرسل قوة بحرية للطواف حول الشاطىء [1] ، كذلك اتخذت احدى السفن الحربية موقعها عند مسقط للحفاظ على الحالة الى أن يصل سعيد قادما من زنجبار . وفى الواقع يبدو أن الحالة كانت لا بأس بها وأمكن السيطرة على الأمور لدرجة انتفى معها ضرورة وجود السفينة ، لذلك فانها انسحبت قبل وصول سعيد يوم ١٠ سبتمبر ١٨٣٢ . وهنا تدل الحقيقة على أن سعيد استمر يمتلك شيئا انما كان ذلك بفضل شهامة بيبى موزه التى قامت بنفسها بالاشراف على الدفاع عن الموقع (مسقط) ووجهت خطابات الى السلطات الانجليزية فى بومباى وبوشير [2] .

وفى تلك الأثناء رأى سعود أنه ليس فى استطاعته مقاومة الاتحاد القوى ضده ، ومن ثم فقد أطلق سراح أسيريه مقابل فدية مقدارها ٨٠٠٠ دولار ، ونشر شائعة حول الاجراء الذى اتخذه بأنه كان دفاعا عن النفس [3] . وبالرغم من أن سعود لم يشعر بميل للاحتفاظ بموقفه العنيد ، فان سعيد بدوره شعر بعدم الأمان حتى يأخذ ثأره منه . وكانت النتيجة احدى المساومات أبدى فيها سعيد مقدرة بارزة ، وكانت بركاء ذات أهمية قصوى له باعتبارها ميناء ، وهى فى نفس الوقت أقل أهمية بالنسبة لسعود اذ أنها كانت تشكل قدرا ضئيلا جدا فى الدفاع عنه . واستطاعت المساعى الحميدة التى قام بها محمود بن ناصر [4] التوصل الى تنازل سعود عن بركاء على أن يستولى على الرستاق فى مقابل ذلك التنازل .

على أية حال كان هذا هو المدى الذى وصل اليه نجاح سعيد ، وعندما

---

(١) Rep. ٨٤/١٨٨٣ ص ٢٩ .
(٢) Low جـ ٢ ص ٣٣٠ .
(٣) Rep. ٨٤/١٨٨٣ ص ٣٠ .
(٤) Badger ص ٨٦ .

طلب من الانجليز مده بالمساعدة لاسترجاع خور فاكان ودبى فقد أتاه الرد سلبيا وأنه لن يتلقى أية مساعدة وأنه من أجل مصلحته وأن من الأفضل لمستقبله أن يتقبل النصيحة بالاستقرار فى بلده وأن يرعى شئون أملاكه العربية [١] . وعلى الرغم من ذلك كان فى استطاعته المغامرة بالقيام بعملية مستقلة لولا الحقيقة الواقعة بأن أمير نجد الجديد تركى بن سعود كان قد استعاد نجد وبدأ يفرض على الآخرين وجوب الاعتراف بحقوقه مرة ثانية فى المناطق المحيطة به . وأعاد مرة أخرى المناداة بالادعاءات التقليدية وأعاد العمل بنوع من التحالف مع بعض المتفقين معه فى مذهبه الدينى فى المناطق الشمالية من عمان . وتحت ضغط التهديدات المعتادة فان سعيد بما قدمه اليه الانجليز من نصائح ، قدم هبة لنجد [٢] مقدارها ٥٠٠٠ دولار سنويا كما يقرر ذلك فى خطاب كتبه بنفسه للمقيم فى الخليج الفارسى بتاريخ ٢٣ مايو ١٨٣٣ . وقد تسلم ردا يؤكد الحماية التامة لملكته كاملة . وشمل الاتفاق كذلك فقرة أخرى تنص على تقديم المعونة المتبادلة فى حالة حدوث ثورات فى عمان أو نجد . ولكن هذه الفقرة أسقطت لأن الانجليز خشوا حدوث اشتباكات مع محمد على فازداد ضغطهم على سعيد واستمالوه لحذفها [٣] .

---

(١) Rep. ٨٤/١٨٨٣ ص ٣٠ « بدأت مع سعيد معاهدة مشتركة بتحالف متبادل دفاعية وهجومية ، ومبقتضاها اشترط أحد نصوصها على أن أعداءهم هم أعداؤنا وان أصدقاءهم هم أصدقاؤنا . واننا بما يساورنا من شعور حتى وقت قريب جدا قمنا بالعمل المطلوب ، ولكن عندما يلتمس ذلك الأمير احتمال تدخلنا لتأييده من قبل حكومة الهند فان المعاهدة التى تمت تعد من ناحيتهم فحسب وبخصوص معروفة يعطى للشرق ، فانه لن تقدم اى مساعدة له وان حكومة بومباى لا تملك السلطة لارسال سفينة واحدة لمساعدة لأحد حلفائها القدامى شديد الاخلاص لها . (جـ ١ ص ٤٠٢ Wellster) .

(٢) Badger ص ٨٦ ، Bamb. Sel ص ٢٠٦ ، Rep. ٨٤/١٨٨٣ ص ٣٠ .

(٣) Bamb. Sel. ص ٢٠٦ .

ولم يكن استمرار ممبسة مستقلة أمرا يتفق بتاتا مع الوضع الذى استطاع سعيد الوصول اليه فى شرق أفريقيا • وبناء على ذلك فقد اغتنم فرصة هبوب الرياح الموسمية الشمالية الشرقية فى نوفمبر ١٨٣٣ [١] فجهز حملة كبيرة واتخذ من فشله السابق درسا ، لذلك فانه أضاف الى السفينة الرحمانى السفينة ليفربول وسفينتين حربيتين أخريين و ٤٠٠٠ جنديا [٢] وعددا من السفن الصغيرة التى تصلح للمناورات فى الأماكن الخالية الضيقة حول ممبسة • وكانت الخطوة الأولى الضرب المزدوج بالمدافع وانزال كتيبة على الجهة الشمالية من ممبسة ، وهكذا كانت المدينة هدفا للنيران المتصلة من جهتى البحر والبر ولمدة ثمانية أيام [٣] • ولكن الضرب بالمدافع لم يكن ذا تأثير كبير ، وكان من المستطاع اصابة سعيد بالاحباط الشديد لو لم يكن أهالى ممبسة قد ثبط عزمهم الى درجة كبيرة وبخاصة عندما فشلوا فى القيام بهجوم ليلى ضد مدفعية البر • وجرت المفاوضات فيما بعد كالمعتاد ، وكان من نتائجها اعادة العمل بالمعاهدة الأصلية، ولم يكن سالم ميالا لمعاناة أخرى من الخيانة وهكذا اشترط ألا تحتل قلعته وفى مقابل هذا التنازل أسلم اثنين من أقربائه ليكونا فى صحبة سعيد حتى زنجبار باعتبارهما رهينة وضمانا للسلوك الطيب [٤] •

وعلى أية حال ، فان سعيد كان يمكن أن ينجح فى الاقلال من الصدمات التى تلقاها أمام ممبسة مما جعله عاجزا عن اظهار الفشل الذريع الذى لحق بحملته وما لابس هذا الفشل من خسائر فادحة • وكانت الحملة

---

(١) Guillain جـ ١ ص ٥٩٩ ويحدد شهرى فبراير ومارس ١٨٨٣ ولكن فصل السنة شاهد كاف ضد هذا التحديد التاريخى • وقد اثبت Robert ان سعيد كان فى مسقط خلال شهر اكتوبر ١٨٣٣ •

(٢) Roberts وكان فى مسقط فى اثناء الاعداد للحملة ويقرر ان حوالى ٢٠٠٠ بدوى ركبو السفن فى طريقهم الى شرق أفريقيا ص ٣٥٧ •

(٣) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٣١ •

(٤) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٣١ ، Guillais جـ ١ ص ٥٩٧ •

قد أقلعت تحت إمرة حامد (ابن عمه أحمد) فى عام ١٨٣٤ لاستعادة سيو وبات . وكانت هاتان المدينتان تثوران كلما سنحت لهما الفرصة . وفى هذه المناسبة فقد حصلتا على المساندة من المزاريع وبالرغم من ظهور سعيد شخصيا قبالة سيو فلم يقدر قوة المعارضة حق قدرها ، وهكذا تلقى هزيمة أخرى . ولم يحاول معاقبة سالم لما حدث من وجود ثغرة واضحة جدا فى العمل المنوط به والذى تكرر عدة مرات وكل ما كان يستطيع عمله أن يترك خلفه قوة صغيرة تكمن لسالم وهو فى طريق عودته الى ممبسة ولكنه استطاع الهروب من هذا الكمين ولم يحدث أى شىء [1] .

وبالكاد انتهت هذه العمليات غير الناجحة حتى اندلع شغب جديد فى عمان مما استلزم زيارة أخرى . وفى محاولة لوضع حد لهذا النزاع العادى الذى بدأ عندما غادر سعيد البلاد تاركا الأمور فى يد بعض الأشخاص فقد عين ثوينى ثالث أبنائه نائبا عنه . ولكن هذا التجديد لم يكن ناجحا . ذلك أن مصرع سعود بن على والى بركاء على يد ابن عمه سلطان بن أحمد كان ذلك اشارة لبداية الشغب ، وانتهز حمود بن عزان هذه الفرصة الناشئة عن الاضطراب العام واستطاع اضافة الرستاق الى صحار ، بل لقد استعد لمهاجمة سمائل ، ولكن خوفا من أن يضعه ذلك العمل فى مركز يرهب مسقط فان الحكومة الانجليزية تدخلت . وفى شهر يوليو ١٨٣٤ تحرك المقيم الانجليزى فى الخليج الفارسى وعبر من بوشير وحذر حمود أن أى اصرار على الثورة سيجلب عليه غيظ وحنق البريطانيين ، ولكن هذه الشهور القليلة التى كانت بمثابة فترة راحة والتى صانها ذلك التحذير خرقت عندما احتل حمود السواق . حقا انه طرد منها بسرعة على يد قوة عسكرية أرسلت من

---

(١) Guillain جـ ١ ص ٥٩٩ ، Badger ص ٧٥٥ وقامت حملتان أخريتان ضد سيو وبات بقيادة سعيد عامى ١٨٤٤ ، ١٨٤٥ بدون نجاح . وقتل حامد بن احمد فى اثناء ذلك . Guillain حـ ٣ ص ١٠١ ، Bamb. Sel. ص ٢١٧ ، Rep. ٨٤/١٨٨٣ ص ٣٣ .

مسقط ، ولكن ثوينى ارتكب خطأ تكتيكيا بالغا بطلب المساعدة من القواسم مما ألحق العار على نفسه وفى نفس الوقت ضاعف من محبـــة الأهالى لحمود [١] • كان على سعيد أن يسرع فى العودة الى مسقط لمواجهة هذه الظروف •

كان التصرف الأول القيام بهجوم ضد صحار ، وبالرغم من عـــدم نجاحه فان هيبته كانت كافيه للقضاء على نشاط حمود ، بل وأكثر من ذلك فان سعيد كان يريد العودة الى زنجبار وكان أمرا مستحيلا طالمـــا أنه لم يخضع حمود • وهكذا فانه وصل الى اتفاق مع النجدين • وفى عام ١٨٣٦ فان قوة نجدية بقيادة سعد بن مطلق استطاعت ضرب حصار حول القلعة من جهة البر ، بينما كان سعيد يحاصرها من جهة البحر [٢] • ومع ذلك لم يتم التوصل الى نتيجة محددة اذ أن حمود استطاع بالخداع التقليدى أن يقنع سعيد بأن للنجدين أطماعا فى عمان ، وهكذا تبعثرت الحمـــلة المشتركة وترك سعيد مسقط مرة أخرى فى نوفمبر ١٨٣٦ ووصل الى ممبسة فى أواخر ذلك العام [٣] •

أصبح الوضع العام على طول الساحل الغربى للخليج الفارسى غير آمن تماما • ولم يكن أحد يساوره الانزعاج كما حدث للانجليز ، فقد كان باستطاعة سعيد عقد اتفاقيات وقتية بين الحين والحين ، ولكنهم استمروا رغم ذلك أعداءه التقليديين • وكان واضحا أن الشكوك المتبادلة التى قد تثور للفشل كما حدث قبالة صحار فانها لن تعجز عن زيادة العداء الطبيعى بين هذين الفريقين العربيين ، والذى لم يغب أبدا عن الفكر • بل وأكثر

---

(١) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٣١ •
(٢) Bomb. Sel ص ٢٠٨ •
(٣) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٣٢ •

من ذلك فان الفشل أضعف لدرجة كبيرة من سيطرة سعيد على عمان مما دفع الانجليز للتأمل فى أنه اذا لم تتخذ خطوات سريعة لإعادة هيبة سعيد ومقامه ، فلن يكون هناك من يعتمد عليه لاقرار الوضع الراهن فى الخليج • ولم يكن فى استطاعة حكومة بومباى أن تتصور امكانية اقامة علاقات مشابهة مع النجديين أو مع القبائل فى شمال عمان • وكل ما كانوا يطلبونه ايجاد قوة ذات ثقل ومنحها احساس بالمسئولية وتتماشى سياستها مع سياستهم ، وأن تكون اهتماماتها مطابقة لاهتماماتهم وعلى اخلاصها يستطيعون الاعتماد • ومن ثم فانهم صمموا على اتباع أسلوب خاص لتوجيه تدخلهم ، ولكى يشجعوا على عقد صلح بين سعيد وحمود فقد أرسلوا مبعوثا الى صحار قبل أن يبحر سعيد الى زنجبار ، كذلك اصطحب المبعوث حمود الى مسقط حيث استطاعوا استمالته ، وتحت ضغط الانجليز اتفق على التعهد كتابيا بعدم القيام بأى عمل ثورى ضد سعيد وألا يهاجم هلال بن محمد فى السواق [1] •

وقد لاحظ حمود أن هذه الوعود نشأت نتيجة الضرورة أكثر منها نتيجة الاختيار ، لذا فانه بعد فترة قصيرة من وقوع الأحداث السابقة وعندما رأى الفرصة أمامه بموت محمد بن ناصر ، فذهب الى بومباى وطلب إعفاءه من التعاقد •

وكان محمد بن ناصر والى سمائل لعدة سنوات يعد حصنا منيعا للحفاظ على ممتلكات البوسعيد وبخاصة فى أوقات الأزمات الشديدة وبالنسبة لشخص طموح مثل حمود ، وكانت وفاته اشارة الى بدء محاولات جديدة لاستعراض القوة •

---

(1) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٣١ ، Badger ص ٣٦٠ ، Low حـ ٢ ص ٧٣١ . ونص معاهدة السلام الموقعة بين سعيد وحمود تاريخها ٢٣ ديسمبر ١٨٣٩ . انظر Treaties ص ٢٤٢ .

وكان من الطبيعى الى حد كبير أن تصمم حكومة بومباى على العكس من ذلك • فقد طالبوه بالالتزام بما جاء فى خطاب تعاقده ، واذ رأى حمود أنه لا يوجد له مكان فى عمان لمارسة خططه السياسية فقد صمم على الانغماس بدرجة كبيرة فى الزهد الدينى ومنح ابنه سيف حكم صحار [١] • واستطاع هذا الاجراء تهدئة أخطار حدوث ثورة فى عمان ، اذ أن سيف لم يكن غير معاد للبيت الحاكم فحسب ، بل كان فعلا صديقا شخصيا لثوينى ابن سعيد • وظهرت حصافة بيبى موزه مرة أخرى وتدخلها ، واستطاعت اقناع حمود بالتحول عن استخدام القوة [٢] •

وكان من حسن الطالع أن سعيد وجد نفسه وقد تخفف من بعض الأعباء لكى يوجه اهتمامه مرة أخرى نحو شرق أفريقيا • اذ بينما كان مشغولا فى عمان توفى سالم فى ممبسه فى مارس ١٨٣٥ ، وما لبثت النتائج أن ظهرت بطبيعة الحال بعد ذلك • فقد بدأ أخواه خميس وناصر يظهران فى الميدان لضمان الخلافة لهما ، ولكن محاولاتهما احبطت على يد ابنه راشد ، وكان الفريقان يقفان على قدم المساواة سواء فى الادعاءات أو فى القوة •

وبدأت طلبات التدخل تصل سريعا الى سعيد وهو فى زنجبار • وقد لبث ساكنا حتى ميعاد الرياح الموسمية لشتاء عام ١٨٣٦ والتى كفلت له فرصة ملائمة لإنزال جنوده ، فأبحر مصطحبا معه قوته المعتادة ليجد راشد وقد تحصن فى موقع حصين وأن باستطاعته تحمل التدخل الخارجى هذا الى جانب أن خميس وناصر لم يرغبا فى اتخاذ أى اجراء ضده •

وأنزل سعيد مدافعه على اليابس فى الجانب الشمالى من القلعة وابتدأ

---

(١) Huart جـ ٢ ص ٢٧٧ ، Badger ص ٣٦١ •
(٢) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٣٣ •

الضرب المعتاد بالمدافع ، واذ كان يضع أمام ناظريه ما حدث سالفا من المحاولات الفاشلة ، لذلك انتهز الميزة التى ظهرت بوقوع الشقاق بين الفريقين المولعين بالحرب وبذل جهدا هائلا فى سبيل استمالة الجـانب الأضعف لضمه الى صفه •

ويبدو أن الشقاق الداخلى ــ أكثر من عمليات سعيد الحربية ــ هو الذى أرغم راشد فى شهر فبراير ١٨٣٧ على التوقيع على معاهدة أقـل فى الميزات من تلك التى كان أبوه قد وافق عليها • وأعطيت القلعة الى على بن منصور ومعه ٥٠٠ جندى من رجال سعيد ، بينما أرغم راشد على الاعتكاف فى المدينـة (١) •

ولم تكن التسوية نهائية ودائمة ، لذا فلا ندهش اذ نجد راشد بعد فترة قصيرة يزور زنجبار على أمل الحصول على شروط أفضل (٢) • وكان العرض الأوحد الذى قدم له هو أن يتنازل عن ممبسه بأسرها وأن يعتكف بمعاش طيب باعتباره واليا على بمبا ، وكان عرضا لا يستطيع قبوله وهو سـاخط •

واذ وجد سعيد أن الرعب قد بلغ أقصى مداه عند عدوه ، وأنه بالتأكيد أحس بالمرارة وأنه ليس خاضعا تماما ، لذا فان سعيد صمم على أن يبعد المزاريع عن مسرح الأحداث • وفى فترة شهرين أرسل ابنه الثانى خالد محملا بتعليمات سرية يمكن التعرف على فحواها من خلال عواقبها •

عندما وصل خالد الى ممبسه اتخذ لنفسه مظهر الشخص الشـديد الهدوء وأقام حفلا من حفلات الدربار على بوابات المدينة واستقبل المزاريع

---

(١) Rep. ٨٤/١٨٨٣ ص ٣١ •
(٢) Guillain ج ١ ص ٦٠٥ •

استقبالا حسنا ووجهت اليهم الدعوة لدخول القلعة لمناقشة الأمــور الجارية • وهناك ألقى القبض على خميس وناصر وراشد وحوالى ٣٠ من الشخصيات المرموقة ، ورحلوا الى زنجبار على ظهر سفينة ، ومن هناك أرسلوا للمنفى فى بندر عباس ، ولم يعرف هل ألقى بهم فى البحر أثناء رحلتهم أو أنهم ماتوا جوعا عند وصولهم ، على أية حال فانهم توقفوا عن إثارة أى شغب لسعيد وللتاريخ [١] •

وهكذا سقطت المدينة بالمؤامرة بعد أن فشل سعيد أربع مرات ولمدة عشر سنوات فى الاستيلاء عليها بالهجوم المباشر • وهناك مجال واســع مفتوح لنقد سلوك سعيد وتصرفاته بإزاء المزاريع ، فقد خرق المعاهدة الأولى التى وقعها مع سالم فى عام ١٨٢٨ بأن أدخل عددا يساوى أربع مرات العدد المتفق عليه من الجنود للدخول الى القلعة ومحاولة الاستيلاء عليها بهذه الوسيلة • وبالكاد يمكن الشك فى أنه هو الذى حرّض على القيام بالهجوم الغادر لناصر بن سليمان الذى استلزم حملة ١٨٣٢ وأن آخر انقلاب عام ١٨٣٧ انما هو ملائم للأحداث السالفة •

على أية حال يتبقى قول للدفاع عن سعيد ، فهو لم يكن جنرالا أو قائدا لشعب عسكرى النزعة ، بل كانت اهتماماته تقوم على أساس التنمية التجارية • واذا أثير تساؤل عما اذا كانت الاطاحة بالمزاريع ذات فائدة فى النهاية لممبسه ، فليس هناك سوى اجابة واحدة ، انهم بموقعهم الذى كانوا يحتلونه أصبحوا بمثابة تهديد أمام تنمية البلاد من حولهم ، فهم مولعون بالحرب ، ويعوقون الانفتاح على المنطقة السهلية الغنية •

وان الحكم على أهالى ممبسه بوجه عام يمكن قياسه بسهولة عندما

---

(١) Rep. ٨٤/١٨٨٣ ص ٣٢ •

نتبين أنه منذ اللحظة التى سقط فيها المزاريع فان سعيد لم يواجه أى اضطراب مع المدينة ولم يكن ذلك لأنه أخضع المدينة بالحديد والنار أو الضبط والربط العسكريين ، ولكن لأنه منحها الفرصة لنشاط تجارى غير محدد ويلائمها • ونحن يمكننا أن ننقد الوسائل ولكننا لا نستطيع ذلك بالنسبة للنهايات القدرية •

الفصل الرابع

زنجبـار

بعد سقوط ممبسه لم يحدث أى تغيير فى تصميم سعيد على أن يعد زنجبار مقرا لحكومته ، ذلك أنها أصبحت دون شك امبراطورية مترامية الأطراف ارتبطت بقوة عن طريق الاختلاط التجارى الذى كان يحلم به فى ذلك الوقت وتكرر مرارا عندما كانت أفكاره تتطلب منه أن يستقر فى عمان ، وعندما تندلع الدسائس التى يقوم بها صغار المدعين مما يبعث على القلق لدى صغار الرؤساء ، هذا الى جانب تهديدات النجدين والقواسم •

وكان غياب سعيد يساعد على ازدياد الخطر على البلاد • وكان يمضى فترات طويلة المدى فى تعمير المنطقة حول مقاطعة زنجبـار التى كانت كالتفاحة فى نظره ، وكان مستعدا للمخاطرة فى سبيلها • وبعد نزوله الأول عام ١٨٢٨ [1] أسرع الى تشييد قصره الشهير خارج ما يسمى الآن زنجبار ، وشيد فى بيت المتونى لأفراد أسرته بناء ضخما متنافر الطراز • وليس هناك داع للتفكير فى التأثير الناتج عن هذا البنـاء غير المتناسق ، ولكن التقارير العامة بأن العين تتمتع بالبهجة الناتجة عن موقعه الممتاز بدرجة أكبر من شكله •

أما بيرتون (ص ٣١) وهو بين الفينة والفينة يطلق وصفا لاذعا فيصفه بأنه خلق لأميرة تيوتونيه • أما جويلان (ص ٣١) يضيف الى ما سبق أن القصر عبارة عن عش أخضر يستر نفسه ويخفى وراءه شكلا

---

(١) Krmpf ص ٥٣٥ وقد تم تشييد القصر عندما زار Ruschenberger (ص ٣٦) زنجبار عام ١٨٣٥ .

بسيطا • ولكن بالرغم من هؤلاء الذين يتحدثون بخفة عن فنية المعمار فانهم يتفقون قلبيا حول جمال موقعه ، هذا الجمال الذى تشوه فى السنوات الأخيرة نتيجة لتعدى البحر الذى أغرق الحدائق الغناء المتسعة بطبقة رقيقة من الرمال [1] • وشيد سعيد قصرا آخر داخل المدينة ذاتها ، ولكن أفراد الأسرة وقد بلغوا زهاء ١٠٠٠ نسمة كانوا فى أغلب الأحيان يقيمون فى بيت المتونى •

وان ذوق سعيد المعمارى قد لا يرضى النماذج الأوربية (سـواء أكان يشيد دارا أو يؤسس امبراطورية) • ولكنه كان مدركا للهدف الذى يسعى الى تحقيقه ، وكان يملك حاسة ثاقبة عن أفضل الوسائل للتوسع فى مشاريعه ، ولم يكن يتردد فى التنفيذ ، وكانت عينه نافذة تغوص فى سطح الأضرار وتنفذ بعمق حتى تصل الى الحقيقة ، وقد مكنته من التأكد بلمحة واحدة أن يتعرف على مميزات الموقع الذى يرغب فى اتخاذه لتأسيس امبراطوريته •

وليس من باب المبالغة أن نعرف أنه يدرك الموقف من نظرة سريعة • وفى المناسبة الأولى من طرده من ممبسه عاد الى زنجبار ولم يتركها ، ومنها نشر فى طول الجزر وعرضها وفى كل أنحـاء القـارة الأفريقية وكلاءه التجاريين وتجارته التى اعتمدت عليها جميعا شبكة من النشاط التجارى التى أصبحت الآن تغطى كل الساحل الشرقى لأفريقيا •

ولم يكن ما تم نهاية حـدود انجازاته ، انه هو نفسـه وشخصيا المسئول عما أصبح الآن أهم انتاج فى الجزيرة وهو نبات القرنفل • وقد جُلب هذا النبات بحرص وحذر شديد وأدخل الى موريشيوس عن طريق

---

(١) Pearse ص ١٢١

فرنســا عام ١٧٧٠ على يد أحد الفرنسيين ويدعى م • سوس ، وهو أجنبى الأصل ولد فى أفريقيا من بوربون أو جزيرة فرانسه [١] •

وهذا النبات شاذ متقلب الأهواء يتطلب تربة صلصالية غنية ، وبالرغم من ذلك فانه يرفض أن ينبت فى مناطق معينة لها نفس المواصفات المطلوبة وذلك لأسباب لا يمكن التثبت منها • وحتى الآن فانه يزدهر بشكل هائل فى بعض مناطق زنجبار ويرفض تماما أن يزدهر فى مناطق بعينها بل يرفض الانبات فى مناطق مشابهة تماما فى تربتها •

ولهذه الأسباب فانه فى السنة الأولى من ادخال هــذا النبــات الى جزيرة موريشيوس كان ذلك بمثابة انقراض للنبات • وكانت جزر الهند الهولندية تحتكر التجارة فى هذه المنطقــة ، ورغب الفرنسيون فى القضاء على هذا الاحتكار فوزعوا بذرة هذا النبات على جميع مــلاك الأراضى فى الجزيرة • وفى ختام السنة الأولى ضاع التوزيع ، أما البذور التى وجدت لها جذورا فهى تلك التى احتفظت بها محطة البحوث العلمية الفرنســية •

ومن هذه البداية انتشرت زراعته بخطى واسعة ، ولم يكد ســعيد يهبط فى زنجبار حتى أدرك امكانية زراعة نبات القرنفل فى الجزيرة [٢] • وهنا أيضا نجد شاهدا صريحا يدل على مبادرته وصلاته • وكانت التقاليد لا تسمح لأحد الأهالى العرب — وهو مالك لمقاطعة تسمى كيسمبانى كان سعيد قد نفاه بشأن تجارة الرقيق بأن يعود مرة ثانية الى البلاد ، واستطاع

---

(١) Guillain ص ٤٩

(٢) Pearce ص ٢٩ ، ûuillain ص ٤٩ ، ١٤٥ ، Ruschen Berger ص ٧٢ ، Lyse ص ٤٥ ، Bouman ص ٢٧ ، Zanzibar ص ٥٣٠ ، Burton ص ٣٦٠ •

هذا الشخص العودة الى مكانته الأولى وأن ينال الحظوة لدى البيت الحاكم اذ أنه عاد ومعه بعض حبوب القرنفل مما أدخل السرور لدى سعيد ومنحـــه عفـــوه .

ومهما كان من شأن هذا الأمر فمن المؤكد أن سعيد كان يقوم منذ عام ١٨٢٨ باجراء تجارب على أرضه لاستنبات القرنفل . واذ وجد أنها صالحة للانبات فى التربة المحلية فقد شجع على زراعة هذا النبات بكل نشاط . ومن الطبيعى أن تكون هناك روايات أخرى خاصة بادخال زراعة هذا النبات . ويقرر بيرثون — وأثبت روشنبرجر ذلك وهو شخص محايد — أن محاولة كانت قد جرت لنقل القرنفل من موريشيوس فى وقت مبكر عام ١٨١٨ ، وأن الشخص الذى قام بذلك المشروع تحول الى متسول بعد دعوته .

ولكن سعيد كان أكثر حظا ، وبدأ يمارس اصدار لوائح عقابية وحدد لأصحاب الأراضى ضرورة زراعة نسبة معينة من أرضهم بنبات القرنفل . وقد أثبتت الأيام صواب وجهة نظره . ولكن التجديد كان على أية حال بعيدا جدا عن أن يرسخ فورا وبنجاح أو أن يوصى به بسرعة على المزارعين ، ان الأمر كان يقتضى اصرارا الى جانب حكمة سعيد حتى يمكن وضـــع الصناعة على قدم ثابتة مثمرة تعود بالفائدة .

أما بيرتون (ص ٣٦٢) فكان على العكس من ذلك الرأى ، اذ رأى أن ادخال تلك الزراعة خطأ ، وأوصى بزراعة قصب السكر بدلا منه . وفى الواقع كان سعيد يقوم بتجارب حول زراعة قصب السكر ، وقد حصل فى بعض الفترات على مســاعدة من جانب اثنين من الخبراء لاقامـــة مصـــنع [١] .

---

(١) Guillain ص ٩٣

وبعد ذلك عندما نتج عن المنافسة القاسية انهيار تام فى أسعار القرنفل ، فانه غير اهتمامه واتجه الى صناعة مادة النيلة للصباغة ، ولم يكن ذلك بالشىء الجديد ، فمنذ قرن قبل هذه الأحداث كان من المألوف فى عمان أن سعيد بن أحمد حاول الحصول على عائد عن طريق اقامة نظام احتكارى خاصا بذلك النبات [1] •

وفى زنجبار كان سعيد أقل حظا ونجاحا فقد وقع فى يد مهندس مناجم فرنسى ، ويمدنا مواطن له هو جويلان (ص ١٤٨) بتأملات كئيبة عن كيفية استطاعة رجل واحد أن يلطخ سمعة شعب بأسره • ويبدو أن هذا الشخص كان يعرف قدرا ضئيلا جدا من الهندسة وقليلا جدا من المعلومات عن النيلة • ومن المتوقع أن بعض المناطق وهى تسعى للتنمية السريعة ألا يخلو الأمر فيها من وجود مغامرين محتاجين •

واذا كان الكابتن الانجليزى روبرت كوجان ، الذى أرسل الى زنجبار عام ١٨٣٩ لكى يثير النخوة لتوقيع اتفاقية تجارية مع زنجبار [2] قد وفق بعد ختام المفاوضات فى تحقيق ذلك الهدف مع بعثته ، وأن يحصل على امتياز يختص ببقايا الطيور [3] على جزيرة لاثام (زنجبار) فان تفسير ذلك يكمن فى احتمال أن هذا الشخص كان شريكا فى شركة اخوان كوجان فى زنجبار [4] • وعلى أية حال فلا يبدو أن سعيد كان يعانى بدرجة كبيرة من مثل هذه المعاملات اذ أنه كان يتمتع بقدر من الفطنة الشاملة التى قد تحميه •

---

(١) Badger ص ١٨٩ ، Guillain جـ ٢ ص ١٤٦ ، Wellsted جـ ١ ص ٢٢٤

(٢) .Rep ١٨٨٣/٨٤ ص ٣٢ — النص الكامل للمعاهدة وقد صدق عليه فى مسقط فى ٢٢ يوليو ١٨٤٠ — فى .Bomb. Sel ص ٢٥٠ .

(٣) Burton جـ ١ ص ١٤٤ ، Guillain جـ ٢ ص ٤ .

(٤) Lyne ص ٣٤ .

وبوجه عام فان سعيد كان يسعى جاهدا الى طلب الشهرة والصيت الحسن فى التنمية التجارية ، ولم يكن الأمر مصادفة أن يختار زنجبار عاصمة لامبراطوريته ، فهناك كان باستطاعته الاعتماد على التربة والمناخ حتى يتم العمل فى توافق •

وبمرور الزمن أصبح سعيد من كبار المزارعين يستورد ويصدر هنا وهناك ، وبدأ فى ارسال ملحقين تجاريين بدلا من الأسلوب الدبلوماسى : فأرسل عملاءه الى كلكتا وبومباى وجزر الهند الهولندية وفارس والصين • وفى عام ١٨٥٦ كان يفكر فى اقامة علاقات تجارية مباشرة مع فرنسا ، ولكن وفاته وضعت حدا لذلك المشروع • وكان له فى وسط أفريقيا تجار مستقرون ، وقد قابلهم الرحالة لفنجستون فى رحلاته عند البحيرات الكبرى • وهكذا كان تجاره موزعين على طول حدود العالم المعروف آنذاك ؛ وكان عملاؤه التجاريون هم سفراءه فى زمن السلم ، وكان السفراء هم رسله فى أوقات الأزمات [1] •

وفى عام ١٨٣٩ استدعته عمان وهو فى زنجبار ، لمواجهة ما يقوم به محمد على من أوجه النشاط ، وكان هدف محمد على ضم الجزيرة العربية وسوريا الى ممتلكاته ، وكانت التقديرات متعارضة عن ردود الفعل بين محمد على وسعيد ، وقد يرجع ذلك فى الغالب الأعم الى خطأ هؤلاء الذين يسجلون الأحداث وفقا لاجراءات ملتوية مع من يرتبطون به • وعلى سبيل المثال كان يوجد أكثر من الشك بأن سعيد كان يدرس مع محمد على طريقة لاحتلال البحرين •

ومن المؤكد — على سبيل المثال — أن محمد على كان يتآمر مع

---

(١) Gobineau ص ٩١ .

النجدين ، وأنه قد أقنع زعيمهم خالد بن سعود لاقامة ائتلاف مع القواسم وتهديد البريمى ، حيث أنه تبعا لأوامر القائد المصرى خورشيد باشا فان قوة لا بأس بها ومعها مدفعان تحت إمرة سعد بن مطلق وصلت فى ديسمبر ١٨٣٩ • وكان من حسن طالع سعيد بن سلطان أن هذا الحلف الثلاثى : المصريين والنجدين والقواسم قد تمزق بسبب النزاعات الداخلية ، وكان عليه أن يسعى بكل جهده لتحذير الزعماء المحليين بالابقاء على حصــون البريمى بعيدا عن متناول الأعداء [١] •

ومن ناحية أخرى فقد سمع الانجليز شائعات بأن سعيد يدبر بعض خططه للتقارب مع المصريين للقيام بعمل مشترك ضد البحرين ، لذلك ظهرت دلالا تـفى مسقط بأن السياسة الانجليزية تراقب بحذر ما يحـــدث من تقارب مع المصريين • وأضيف ثقل جديد الى الاحتجاج على وصول خطاب بعد فترة قصيرة من محمد على يطلب فيه بخشونة من سعيد ضرورة ارسال مساعدة عسكرية والا اعتبر عدوا [٢] • ولكن سعيد تجاهل هذا الطلب واستدار ناحية الانجليز ، واقترح عليهم بما أنهم لم يعارضوا استيلاءه على البحرين ولكنهم عارضوا نوعية المساندة التى يقدمها ، فانهم يستطيعون الاستيلاء على الجزيرة وأن يسمحوا له بادارتها بطريقة تشبه ما كان مقترحا على محمد على [٣] •

ولكن هذه الفكرة لم تتماشى مع السياسة الانجليزية التى فضلت أن

---

(١) Bomb. Sel. ص ٢٠٩ .

(٢) Bomb. Sel. ص ٢٠٨ ، Burkhardt ص ٢٦٦ ويشير الى أنه فى أثناء وجـــوده فى جدة تسلم محمد على جملين سريعين يمكن استخدامهما فى الركوب كان سعيد قد اهداهما اليه عن طريق البحر . كذلك يقول (ص ٣٦١) ان محمد على اتفق مع سعيد لاستئجار ٢٠ سفينة فى خلال ذلك العام .

(٣) Bomb Sel. ص ٥٩ .

تتجنب المخاطر عن طريق استخدام الدبلوماسية بدلا من التحــدى فى الميدان • ومن المعروف أنه قد حدثت معركة دبلوماسية فى باريس والقاهرة كما كان يحدث على مسرح العمليات ذاتها • وكانت برقية بالمرستون للسفير الانجليزى فى باريس هى التى أصـــابت ادعاءات محمــد على بالضربة القاضية •

على أية حال ، كان هذا خاتمة سلسلة طويلة من المناورات البالغة الصعوبة ، ومن خلالها ظهرت حركات عدم الوفاء بالعهد لا يمكن تجاهلها • ففى احدى المناسبات كانت الاستعدادات قد تمت لضرب حصار حــول أجزاء من شاطىء الخليج الفارسى وكانت فى يد المصريين ، ولم يضيع سعيد وقتا بل وضع اسطوله بأكمله تحت تصرف الانجليز •

وكان من الأمور الواضحة أن سعيد كان يحس بسعادة باللعب بالنار ، ولكنه كان مذنبا لعدم نقضه تعهده بالثقة تجاه الانجليز ذلك لأن الانجليز كانوا هم خط الدفاع الوحيد ضد ما كان ينشب حوله من محاولات لضم دولته • وفى ابريل ١٨٤٠ أعلن محمد على بصراحة فى محادثة مع كولونيل هودجز القنصل الانجليزى العام فى القاهرة ، أنه كان ينوى احتلال عمان ، واذ صرح القنصل بذلك بعد عدة محاولات للمراوغة وباستخدام اللغــة الدبلوماسية ، فقد تلقى تحذيرا يتميز بالخشونة التى يبدو أنها قد انتشرت من بالمرستون الى جميع العاملين تحت إمرته ، وأوضح التحذير النتائج السيئة التى تحدث عن مثل هذه المحاولات • ولكن سرعان ما انتهت العاصفة ، وفى نوفمبر ١٨٤٠ عرض محمد على استسلامه للباب العالى [١] •

---

(١) Rep. ٨٤/١٨٨٣ ص ٣٢ يقول Didier ان سعيد تمتع بعلاقات صداقة مع حكام مصر (ص ١٣٨) وقد ارسل سعيد عددا كبيرا من الخيول هدية لحفيد محمد على وهو عباس باشا والذى بدوره أرسل جاريتين ولكن البحرية الفرنسية او الانجليزية اسرتهما عند بوغاز باب المندب .

وان تفاعل الدسائس الملتوية أقنع حكومة الهند بضرورة العمل على زيادة الارتباط الوثيق بين عمان وبومباى ، ولم يكن سعيد على أية حال نافرا ، بل كانت المسألة فى الواقع أمرا يسعى على الدوام لتحقيقه ، ولم يتردد فى التأكيد للحكومة الانجليزية انه لضمان الحصول على وحدة الهدف فان كل اسطوله أو جزء منه سيوضع تحت إمرتهم فى أى وقت يطلبونه • ولذلك فانه رحب بعرضهم ارسال مندوب مهم شاعرا أن ذلك يزيد من أمنه واطمئنانه دون أن ينتقص شيئا من سيادته •

وتبعا لذلك عين كابتن هامرتون قنصلا لانجلترا عام ١٨٤٠ ، وبما أن زنجبار أصبحت الآن مقر كرسى الحكم فقد توجه القنصل الى هذه المدينة [١] وهناك كان يلاحظ أن سعيد كان يراقب التعديات الفرنسية فى مدغشقر وعلى الساحل الأفريقى عامة بعين غيورة متنبهة • وقد خالجت سعيد بعض المخاوف بأن غرضهم المحدد غير الظاهر هو التخلص منه واخراجه بعيدا عن ممتلكاته فى شاطىء أفريقيا • ولكنه اذ اقتنع تدريجيا أن العلاقات معهم أمر ممكن على أساس أكثر هدوءا ، فانه وقع معهم عام ١٨٤٤ معاهدة تجارية سيأتى ذكرها تفصيلا فيما بعد •

وفى سبتمبر ١٨٤٥ بدأت أعمال الشغب والتى استمرت فترة طويلة مع ابنه الأكبر هلال ، وقد نوقشت معاملة سعيد له باعتبارها غير عادلة ، وبما أنه أصبح من المؤكد أن سعيد عمل كل ما فى استطاعته لحرمان هلال من تولى الحكم بعده ، فان من الضرورى امعان النظر فى سبب هذا العداء المستحكم فى الأسرة • ويجب أن نتذكر دائما أنه فى الجزيرة العربية وبشكل عادى أكثر مما يحدث فى أوربا فان أكبر الأبناء هم فى العادة المرشحون لتولى أريكة الحكم بعد وفاة الآباء فهم بحكم الطبيعة الرؤوس الكامنة أو المختفية للقيام بمعارضة غير رسمية •

---

(1) Bomb. Sel. ص ٢١١

أما فى حالات وجود ملكية مستقرة فلم تكن هذه هى القاعدة ، اذ أن الأب ينظر الى ابنه ، وبخاصة اذا كان هذا الابن يملك سجية قوية وحب للحرب ، بأنه سيكون خليفته قبل نضجه • وفى الحالة التى نحن بصددها خاصة ، سنجد العديد من الأسباب الذاتية أو الخاصة ، ولاشك أن الارث أو الخلافة كانت مدار قدر كبير من الدسائس ومكائد الحريم • وكانت والدة خالد ، وهو الأخ الأصغر لهلال ، محبوبة بشكل خاص لدى سعيد ، ولاشك فى أنها مارست كل نفوذ تمتلكه لكى تدفع بابنها الى الأمام •

ولكن من جهة أخرى كان خالد غير محبوب بتاتا من الشعب عامة ، اذ كان مهتما فقط بالتجارة وقد حصل من ورائها على ثروة طائلة بينما كان أخوه قد ولد مقاتلا ، ومن ثم لاقى الاعجاب بدرجة أكبر لدى الرأى العام •

ولم يكن سعيد على الدوام حسن الطالع فى حروبه وكان اهتمامه الرئيسى ورغبته فى الشهرة تقوم على أساس تنمية التجارة ، وبذلك فانه كان يميل أكثر نحو الابن الأصغر بدرجة تفوق ميله نحو الابن الأكبر ، وهكذا فانه كان يدفع هلال الى اتخاذ موقف المعارض • وقد قررت أخت هلال زيادة على ذلك أنه ليس رزينا أو معتدلا ، وقد اقتبس هذه الصفة من القنصل الفرنسى فى زنجبار [1] •

ويبدو أن القنصل وجد فى هلال أداة ذات فائدة كبرى لتحقيق أغراض الفرنسيين الخاصة ، وكان سعيد على وعى وادراك تام بهذا الارتباط فازدادت خشيته من ابنه الأكبر بعد أن أدرك اتجاه الفرنسيين

---

(1) Ruete ص ١٣٨

نحـــوه . وفى عام ١٨٤٠ كتب من زنجبار الى لورد بالمرستون معبراً عن مخاوفه بازاء المخططات الفرنسية ومشـــيرا الى أن الســـفينة الشراعية دى ميساجير قد أرسلت اليه ثلاث مرات خلال عام واحد لطلب عقـــد اتفاقيات تجارية [١] . وفى مثل هذه الظروف فلن يضيف الى تأثره تجاه هلال وعلاقاته بالفرنسيين .

وفى عام ١٨٤٤ صمم على اتخاذ خطوة حاسمة وكتب الى لورد ابردين معبرا عن رغبته فى أن يرثه ابنه ثوينى على عمان وابنه خالد على الشاطىء الشرقى لأفريقيا ، واستفسر عما اذا كان حرمانه هلال من الوراثة سيجد سندا لديهم . وعبرت الحكومة الانجليزية عن رأيها بأن هذا الموضوع ليس فيه مجال للتدخل فى شئون سعيد الخاصة ، ومن ثم فانهم لم يتخذوا خطا محددا [٢] ، وضغطوا عليه للقيام باجراء تسوية ملائمة .

ولكن هذا الاجراء كان أمرا مستحيلا بناء على الواقعة الخاصة بقيام هلال بزيارة سرية الى لندن فى سبتمبر ١٨٤٥ بدون اعلام أبيه عما ينوى عمله . وكان هذا العمل مشئوما الى أقصى درجة . وبما أن الزيارة تمت بدون علم سعيد فان هلال لم يستقبل استقبالا رسميا فى لندن ، وعندما وصلت الأخبار الى سعيد كان طبيعيا أن يستشيط غضبا [٣] ، وعمل على تثبيت تعيين ثوينى نائبا عنه على مسقط وخالد على زنجبار .

وعاد هلال الى زنجبار على ظهر باخرة انجليزية فى فبراير ١٨٤٦ وما لبث أن نفى من زنجبار عـــام ١٨٤٩ واتخذ له مقرا فى لامو ، وأخيرا

---

(١) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٣٣

(٢) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٣٤ ، Lyne ص ٤٩

(٣) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٣٤ ، Guillain جـ ٢ ص ٢٢٦

فى أثناء رحلته لأداء فريضة الحج الى مكة توفى فى عدن فى ٢٨ سبتمبر ١٨٥١ [١] ، وتقرر أختـــه [٢] أنه بالرغم من كل ما حدث فان حزن سعيد على ابنه لا يمكن وصفه ، فقد اعتاد الاختلاء بنفسه فى حجرته وعندما يترك المكان الذى يصلى فيه تشاهد آثار الدموع على وجهه • ولم يحدث هذا الأمر من قبل مطلقا • وقد سمح سعيد لحزنه أن يجد متنفسا فى بعض الكلمات مثل « كم يأسى كبير وحزنى شديد عنك • أواه هلال » وخلف هلال ثلاثة أبناء تبنت أصغرهم ، محمد ، عزة بنت سيف الزوجة الشرعية لسعيد •

وان من المحال تجنب شعور معين بالشفقة على هلال ولكن على المرء أن يتحقق بالمثل تلك الدوافع التى حركت سعيد •

لم تكن اقامة سعيد الطويلة فى شرق أفريقيا باعثة على الســـلام والهدوء فى عمان • ففى عام ١٨٤٥ بدأ النجديون الفصل الأول مرة أخرى فانهم بعد هزيمتهم الساحقة عى يد محمد على وابراهيم باشا فى الأعوام من ١٨١٥ ـــ ١٨١٨ ، استطاعوا استرجاع قوتهم السابقة بما يملكونه من تأثير معتاد وكنتيجة للمكائد التى أحاطت بمحاولات محمد على لاحتـــلال سوريا ونجـــد •

ولذلك قامت فجأة فى عام ١٨٤٥ قوة كبيرة من النجدين تحت قيادة سعيد بن مطلق وانقضت على البريمى واحتلت المدينة وطلبت فدية مقدارها ٢٥٫٠٠٠ دولار من ثوينى نائب الحاكم على مسقط • وسرعان ما طلب ثوينى النصيحة من المقيم الانجليزى فى بوشير الذى أشار عليه باقامـــة علاقات صداقة كلما استطاع ذلك مع النجدين وأن يقدم على أى شىء ملائم لكرامة سعيد •

---

(١) Miles ص ٣٤٦ ، Lyne ص ٤٩ ، Guillain حـ ٣ ص ٤٥
(٢) Ruete ص ١٤٠

وعلى أية حال فان كل ما استطاع ثوينى عمـله هو محـاولة اطالة الفترة ، ومن أجل ذلك طلب عقد هدنة الى أن يستطيع الحصول على تعليمات من سعيد فى زنجبار • وقد منحه سعيد بن مطلق الفرصة ولكنه ما لبث أن نقض وعده بدون تنبيه أو اشارة وتقدم فى باطنه مع القيام بعمليات سلب ونهب والاستيلاء على طول الطريق •

وقد تكون هذه الخطوة اجراء أرغم على تنفيذه طبقا للظروف ولكنه كان محبوبا منذ فترة لدى القبائل الشمالية فى عمان والتى كانت دائما على استعداد دائم لابداء الاستحسان للتحرر من السيطرة التى اضطروا الى قبولها • ولكنه سرعان ما ضحى بهذا الحب لـما صدر عنه من سـلوك متعجرف وتبعا لذلك نبتت فكرة الاقدام على اجراء أى عمل [١] •

وعلى نفس القدر من الأهمية كان التحرك عملا أساسيا لدى ثوينى الذى كان يسنده قلبيا حمود بن عزان ، ولم يكن فى امكانه الوقوف ساكنا يشاهد تهديد صحار دون أن يحرك أصـبعا واحدا • وأحس الانجليز أيضـا بالخطر ، لذلك فانه الى جانب التحذيرات الشخصية المعتادة من المقيم فقد أرسلت قوة بحرية للقيام بمظاهرة بحرية على ساحل الباطنه • وفى مواجهة منظر مشترك متعاون غير معتاد بين الانجليز والعمانيين فان سعيد بن مطلق خفف من غلواء مطالبه الى حد كبير واكتفى بمبلغ ٥٠٠ دولار تدفع سنويا ووافق سعيد على ذلك [٢] •

وبعد أربع سنوات أى فى عام ١٨٤٩ اندلعت نيران الشقاق مرة أخرى حول صحار • وكان سيف قد استطاع الاستيلاء على القلعة عندما اعتزل والده حمود وترك أمور الدنيا ، فانتهز فرصة غياب سعيد فى زنجبار لكى

---

(١) Rep. ٨٤/١٨٨٣ ص ٣٣ •
(٢) Bomb. Sel. ص ٤٥٦ •

يؤسس لنفسه مقاما وعد نفسه مستقلا عن حمود وعن سعيد ، وهو بذلك أثار بطريقة عرضية غضب رفقائه من رجال القبائل بما اقترفه من أعمال الطغيان والاستبداد ، ومن ثم واجه تحالفا عدائيا من قبائل الباطنة الذين تغلبوا عليه ووضعوه فى السجن مع عمه قيس •

ولم يلبث بعد فترة أن نجـح فى الهروب واستطاع استعادة مركزه السابق • ولكن الاضطرابات التى واجهته لم تنته اذ أنه جلب على نفسه غضب والده على أساس أنه لم يكن مساعدا له فى وجهات نظره الشديدة التقشف ، وكذلك لأنه كان صديقا حميما لعدوه ثوينى [١] • وتبعا لذلك دبر حمود مصرع [٢] ابنه واستولى على أعنة الحكم لنفسه مرة أخرى •

ورأى ثوينى أن تلك الظروف تدفعه بالضرورة الى عمل شىء ولكنه لم يكن راغبا فى تحمل الأعباء بنفسه ، فاستصرخ الانجليز مرة أخرى ولكنه صادف الرفض ، فالعلاقات التى كانت بين حمود والانجليز عام ١٨٣٩ قامت على أساس عدم اقدامه على أى عمل أو أن يؤيد عصيانا ضد سعيد • ومن ثم فان ثوينى استنجد بأبيه الذى طلب منه أن يحكم القبض على حمود [٣]• وفى هذه الظروف اضطر ثوينى لاتخاذ بعض الاجراءات وكانت النتيجة نموذجية ، فقد أقلع من الباطنة فى الفرقاطة فايز علوم واستطاع بالخداع اغراء حمود للتوجه الى شناص على أساس الادعاء باجراء محادثات ،

---

(١) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٣٥ ، Badger ص ٣٦٢

(٢) Bomb. Sel. ص ٢٢٨

(٣) عندما نما الى مسامع سعيد اخبار سـلوك حمود وكان من نتائجها انتهاك بنود المعاهدة والتى وقعت معه عن طريق الانجليز ، لذلك فانه رفع الأمر لسلطات بومباى التى افادت بقولها « انه ليس لديه الحق الآن فى مطالبتنا ذلك لاننا مقتنعون بأنه خرق اتفاقاته . ولك كل الحرية فى أن تصنع معه ما تشـاء. Badger ص ٣٦٢ ، Huart ص ٢١٧

ثم قبض عليه وأرسله الى مسقط حيث توفى فى ٢٣ ابريل ١٨٥٠ ومن المحتمل أن تكون وفاته بسبب السجن [١] •

أما قيس ، ولم يكن لديه سبب خاص لكى يقف الى جانب أخيه حمود فقد عين نفسه رئيسا لشعبه ورفع من حدة الثورة واحتل صحار ، واذ وجد ثوينى نفسه مشتبكا فى تجريدته العنيفة ، اضطر الى جمع جيش وانطلق شمالا صوب صحار ، ولكنه لم يكن بالشخص الكفء لمنازلة قيس الذى رأى فى خلال بضعة شهور أن يستدعى القواسم ، وصد ثوينى وقتل شيخا كان قد اشترك فى أسر حمود ، واستولى على خور فاكان وشناص •

ويبدو أن القواسم بتصميمهم المعتاد حول الموانى القديمة فقد سلبوا هاتين المدينتين كثمن لمساعدتهم وكانت الحاجة ماسة الى عودة سعيد • أما النجديون فكانوا يشعرون بقوتهم وأخذوا يحلقون فى انتظار مناسبة ، واستعاد القواسم الأراضى التى طالما كانوا يفقدونها •

وكان شمال عمان يعانى من انتفاضات دورية ، وكانت الحكومة البريطانية تدير وجهها بعيدا عن مجريات الأمور ، ولم توافق بومباى موافقة تامة على تواجد سعيد الطويل فى زنجبار • وقد حذرته حكومة الهند فى مناسبتين ، بأن واجبه يحتم عليه تكريس اهتمام أكبر بأملاكه العربية وأن مجرد وجوده هناك قد يكون كفيلا بالأمان لها • من ثم فانه فى هذه الظروف كان من الأمور العاجلة أن يعود وفعلا هبط من السفينة فى مسقط فى ١٦ مايو ١٨٥١ [٢] •

---

(١) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٣٥ ، Badger ص ٣٦٢ ، Bomb. Sel. ص ٢٢٨ ، Low جـ ٢ ص ٣٣١ •

(٢) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٣٥ ، Bomb. Sel. ص ٢٣٠

وكانت اقامته قصيرة ، ومهما كانت بسالة سعيد العسكرية فى مستهل حياته ، فانه استطاع الوصول الى هذه المكانة فى أواســط سنى عمره . وكانت الحملات العسكرية فى عمان قد أصبحت قليلة الأهمية بالنسبة له ، وعندما وجد أن مجرد تواجده فشل فى قهر العدو ، فان سياسته غيرت طبيعتها بدون قتال . وفى هذه المناسبة فانه اعتمد على صديقه القديم سلطان بن صقر فقط لتأمين انسحاب القواسم . وكانت خابوره قد سقطت ، وكذلك خور فاكان دون أى مقاومة .

وبعد فترة وفى نفس العام تم الاستيلاء على شناص وأرغم قيس على الاستسلام . واذ عادت الحالة الى مثل ما كانت عليه من الهدوء ، فلم يكن هناك من عمل سوى تخزين بعض المؤن استعدادا لتأمين المستقبل . وتبعا لذلك نفى قيس الى الرستاق مع منحة مقدارها ٢٠٠ دولار شهريا وإذ أصبحت صحار خاضعة لسيطرة سعيد فانه منحها للابن الثالث تركى [١] .

وكانت السرعة التى أنجز بها هذه العمليات التى كللت بالنجاح تشكل تضادا لافتا للأنظار للعجز والجهود الضعيفة التى مرت على هذه الأماكن خلال الثلاثين عاما السالفة . استطاع سعيد تعويض ما كان يشوبه من قصور كقائد عن طريق قوة شخصيته ودهاء سياسته وهيبته التى تأكدت عن طريق التوسع التجارى مع شرق أفريقيا [٢] . وكان ذلك الأمر ذا قيمة أكبر لديه وتفضل عدة كتائب عسكرية ، ولاشك أنها كانت أقل نفقات ، وهذه نقطة يميل الى اعتناقها الكتاب العسكريون .

وعند حلول شهر نوفمبر ١٨٥٢ أبحر سعيد الى زنجبار مرة أخرى ،

---

(١) Rep. ١٨٨٢/٨٤ ص ٣٥ ، Badger ص ٣٦٥ ، Bomb. Sel. ص ٢٣١ .
(٢) Gobineau ص ٩٢ .

ولكن هذه الاقامة على أى حال لم يقدر لها أن تكون طويلة المدى • اذ أنه فى أثناء اتخاذ بعض الاجراءات للحفاظ على أمن وسلامة عمان ، بدأ يلاحظ احتمال تدخل النجدين •

وفى بداية ١٨٥٤ استولت قوة عسكرية بقيادة عبد الله بن فيصل على البريمى وجمعت شمل الساخطين الشماليين معا • وكانت مطالبهم أكبر من أن تتحقق الى حد دفع ثوينى للقيام ببعض الاشارات التى تدل على اندلاع القتال • وتدخل المقيم الانجليزى أيضا ، وكانت النتيجة تماثل ما حدث من قبل أى خفض شروط النجدين الجوهرية ، ورأوا الاكتفاء فى هـذه الظروف بمبلغ ١٢٫٠٠٠ دولار سنويا [1] •

ولكن على الرغم من انتهاء هذا المأزق ، فان تهديد الفرس لبندر عباس أرغم سعيد — الذى كان قد ترك عمان عـام ١٨٥٢ — للعبـور ثانية من زنجبار • ووجد أن الوقت غير ملائم بتاتا لمثل هذه الرحلة ، وكان على يقين من الخطط الفرنسية التى كانت على الدوام تطالب بامتيازات ، وبسط الفرنسيون نفوذهم على مدغشقر وأخذوا يتطلعون الى بعض الموانى الملائمة لتركيز سفنهم فيها •

وتحت ضغط الظروف أقلع مرة أخرى عام ١٨٥٤ وترك ابنه خالد تحت الرعاية الخاصة للقنصل البريطانى كولونيل هامرتون الذى أشار عليه بضرورة التنبه التام لمواجهة خطط الفرنسيين اذ أن أى تزايد فى نفوذهم فى زنجبار سيجعل استمرارية تواجد العرب أمرا مستحيلا [2] •

---

(١) Rep. ٨٤/١٨٨٣ ص ٣٥ ، Badger ص ٣٦٨ ، Bomb. Sel. ص ٢٣٢ •

(٢) Rep. ٨٣/١٨٨٢ ص ٢٧ ، Rep. ٨٤/١٨٨٣ ص ٣٦

وعندما وصل سعيد الى عمان وجد الأمور هناك فى حالة شـــديدة الحرج • كانت بندر عباس قد سقطت ، وكانت قبل ذلك قد اقتطعت من فارس عام ١٧٩٨ مقابل ايجار سنوى مقداره ٦٠٠ طومان • وقد اعتـــاد المستأجرون على الاتجار مع هذا الميناء مما زاد من تطوره الى حد أنهم أخذوا يفكرون تدريجيا فى أنهم لم يعودوا بعد مستأجرين بل على اعتبار أنهم ملاك • وهذا أمر لا تعرفه الدول الغربية بشكل واضح •

وسوف يذكر أنهم منحوا بعض الحقوق الداخلية للانجليز فى المدينة ومنحوهم كذلك سلطة الاحتفاظ بمصنع هناك وقوة عسكرية لحمايته • ومن ناحية أخرى فان الفرس كان لديهم من الأسباب ما يجعلهم لا ينسون الوضع الحقيقى وتبعا لذلك قاموا بأول اجراء فى وقت كانت العلاقات مع بريطانيا العظمى قد وصلت الى مرحلة التوتر بل أصبح الأمر على وشك قطع العلاقات الودية ، وكان أول عمل طرد ممثل سعيد وجنوده من بندر عباس وهدم المصـــنع •

وأسرع سعيد بالرد بتدفق جنوده نحو المدينة تحت إمرة ثوينى بينما أغلق سعيد بنفسه اتصال المدينة بالبحر • ومرة أخرى فشلت عملياته العسكرية اذ استطاع الفرس طرد ثوينى من المدينة على يد قوة فارسية من شيراز وتحطم الحصار البحرى وأصبح الاستنجاد ببريطانيا العظمى هبـــاء[1] •

وفى الحقيقة فان العلاقات بين فارس وبريطانيا العظمى استمرت فترة على شفا جرف هاو الى حد أن الحكومة البريطانية منعت الرؤساء الصغار من القيام بعمليات حربية فى صف سعيد الذى فقد بدوره كشم ، هرمز

---

(١) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٣٦ ، Gobineau ص ٩٣ .

لصالح الفرس • وتحت هذه الظروف وبالرغم من أن سعيد كان يدرك أن الفرس يحتلون موقعا أفضل وأنهم يستطيعون القيام بمساومة مهينة له ، فإنه وصل الى استنتاج أن فوائد التجارة انما هى نتيجة لاحتلال بندر عباس وهى أرجح من فقدان المكانة التى تستلزمها شروط استعادة المدينة •

وكانت الأحوال فى الواقع على درجة كبيرة من الاذلال والمهانة ، فقد تجدد الاستئجار لمدة عشرين عاما ، وارتفعت قيمة الايجار الى ١٦٫٠٠٠ طومان ، وأن يردم الخندق حول المدينة ، وأن يعين سعيد الوالى على المدينة من أتباع الفرس يغيرونه كما يشاؤون ، وأن يلتزم بتقديم المؤن لبعثات الحكام فى فارس وكرمان ، وأن يتولى حماية الساحل الفارسى ضد أى غزو بحرى •

واذا كانت هذه هى الشروط كما جاء فى التعهد الذى وقع فى ابريل ١٨٥٦ فان سعيد اعتقد أنه من المستحسن اعادة تعيين الوالى وضابط الجمارك مما يعطى فكرة عن حجم التجارة التى كان عليها أن تمر خلال هذا الميناء ما بين عمان وفارس [1] •

وأطال سعيد أمد المفاوضات بكل ما فى وسعه من عزم اذ كان مشتاقا للعودة مرة أخرى الى زنجبار • وفى ١٥ سبتمبر ١٨٥٦ أبحر على ظهر الفرقاطة فيكتوريا •

ويبدو أنه كان يحس احساسا داخليا بقرب نهايته ، اذ أنه بينما كان يتلقى الموافقة الودودة من والدته الطاعنة فى السن غانى صرّح لها بأنه قد لا يراها ثانية • وأمر باحضار بضعة ألواح من الخشب المتين ليصنع

---

(1) Rep. ٨٤/١٨٨٣ ص ٣٦ ، Huart ص ٢٧٨ . النص الكامل للمعاهدة فى كتاب Badger ص ١٩ .

منه تابوت خشبة النعش فى حالة الضرورة ، وأخذها معه على ظهر السفينة فيكتوريا وتحت إمرة هلال بن عبد الله ، وكان حكم القدر قاب قوسين أو أدنى . اذ أنه بعد وصوله الى صور لانجاز بعض الأعمال ، واصل سعيد رحلته ، ولكن فى ١٨ سبتمبر هاجمه مرض مع انتفاخ فى الرجلين . وأخذت حالته فى التدهور حتى يوم ١٣ أكتوبر عندما وقع صريع السحار .

وكان قلقه شديدا وهو على فراش الموت خشية ألا يصل الى زنجبار وهو لايزال حيا ، بل انه وهو فى حالة شبه اغمـاء كان دائمـا يستدعى الكولونيل هامرتون القنصل البريطانى فى زنجبار والذى كان على مودة معه لعدة سنوات ويظن أنه كان يريد اطلاعه على مخبأ كنوزه الخفية ، والتى بالرغم من البحث الدقيق جدا لم يوجد لها أثر .

وفى ١٩ أكتوبر ١٨٥٦ (١٥ صفر ١٢٧٣) ، وفى الساعة الثامنة والنصف صباحا ، مضى فى هدوء وكانت السفينة تجتاز جزيرة كوكتيفى Coctivi فى بحر سيشل [١] ، وكان بصحبته على السفينة ابنه برغش [٢] الذى لم يمتثل للتقاليد الاسلامية ، التى تفترض القاء جثث من ينتهى أجلهم وهم فى البحر الى القاع ، فانه حافظ على جثمان أبيه ووضعه فى أحد القوارب المعلقة على ذراع حمل قوارب النجاة . ووصلت السفينة فيكتوريا بعد سبعة أيام الى جزيرة تشومبى فى ميناء زنجبار ، وعند منتصف الليل أنزل القارب الذى كان يحمل جثمان العاهل المتوفى ، واتجه القارب يصحبه قاربان آخران نحو المدينة وأنزل الجسد ودفن بالقرب من القصر فى مدفن صغير يعرف باسم بندر عباس [٣] .

---

(١) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٣٦ ، Miles ص ٣٥٢ ، Krapf ص ٥٣٩ ، Burton ص ٤٧ ، Lyne ص ٣١٥ .

(٢) عندما مات برغش فى زنجبار فى ٢٧ مارس ١٨٨٨ ، فقد كان عائدا من مسقط قبل مرضه الشديد بست ساعات .

(٣) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٣٦ ، Lyne ص ٤٧ .

وقد أثبتت الحداد العام لوفاة سعيد كم كان محبوبا حقا من الجميع ، وتدلت الأعلام السوداء فى كل مكان فى كل بيت فى زنجبار بل ان الأكواخ الصغيرة كانت تعلق قطعة من القماش الأسود • وعندما وصلت تلك الأخبار السيئة الى مسقط فانها تسببت فى نواح شديد فى جميع أنحاء المدينة الى حد أن الجبال اهتزت من أثرها [١] •

وقد يكون من غير اللائق أن نعطى بعض التفاصيل القليلة عن حياة سعيد الشخصية ، ويقرر منصور (ص ١١١) وكان مقيما فى مسقط فى أوائل القرن ١٩ أن سعيد كانت لديه زوجتان ويقرر بوشنبر (ص ١٤٠) نفس العدد عندما كان فى عمان خريف عام ١٨٣٥ • ويمكننا التثبت من هذا الرقم ، ذلك أنه تزوج ثلاث مرات ، زوجته الأولى عزة بنت سيف [٢] حفيدة مؤسس الأسرة الحاكمة وهى بذلك تعد ابنة عم له • وكانت أسرة زوجها الكبيرة العدد تخشاها أكثر من حبها لها ، وعاشت بعد وفاته [٣] ويبدو أنها هى التى استقبلت مسز مينان التى وصلت الى مسقط عام ١٨٢٥ ، وكذلك فراو دكتور هلفر التى وصلت عام ١٨٣٦ [٤] •

أما الزوجتان الأخريتان فكانتا فارسيتين ، تزوج احداهما فى يوليو

---

(١) Ruete ص ١٠٧ ، Badger ص ٩٧ ، Lyse ص ٤٨ •

(٢) .Rep ٨٤/١٨٨٣ ص ٣٣ ؛ Ingrams Chro ص ٥ يقول ان والدها كان من قبيلة بوخاريبان Hand book ص ٥٨٢ ، Guillain ص ٢٢٤ ويقرر ان امها موزا Mouza ابنة احمد أول امام فى اسرة بوسعيد •

(٣) Ruete ص ٨ •

(٤) ملحق (أ) كشىء نابع من الفضول اكثر منه تاريخيا ، فقد أشير الى ان هناك رسما للسلطانة على شكل غلاف للجزء الثانى من كتاب Migran •

١٨٢٧ وهى أخت رضا كولى ميزا حفيدة فتح على شاه [١] ، وقد غادرت مسقط الى شيراز فى عام ١٨٣٧ ولم تعد بتاتا [٢] . أما الثانية فكانت ابنة اريش ميزا الابن غير الحقيقى لمحمد شاه . وقد تزوجها سعيد عام ١٨٤٧ [٣] ، وكانت سيدة مسرفة مندفعة مما أثار عليها عدم الرضا الى درجة أن سعيد طلقها بعد فترة قصيرة وعادت الى وطنها [٤] .

ويجب أن نشير الى أنه فى عام ١٨٣٣ فان سعيد أرسل مبعوثا على ظهر الباخرة « بيامونتيز » الى ملكة مدغشقر الأرملة رانا فولانا مانجاكا عارضا عليها الزواج وأن تساعده فى حملته ضد ممبسة بحوالى ٢٠٠٠ محارب . وعند عودة المبعوث فى ديسمبر من البلاط الملكى فى أنتاناناريفو فقد حمل معه الرفض لسيده الذى كان اذ ذاك فى لامو [٥] .

أما أبناء سعيد فان الشواهد غير المتحيزة تتفق على أنه أنجب ٣٦ ابنا جميعهم من المخطيات ، من بينهم ٢٤ ابنا ونصف العدد من الاناث . ويؤكد انجرامز عدد الأولاد الأربعة والعشرين فى شجرة العائلة التى أعدها . وقد أنجبت زوجته الأولى عزة بنت سيف طفلا واحدا توفى صغيرا ، ويقرر كورزون (جـ ٢ ص ٣٤٦) أن سعيد ترك خلفه ٣٤ وتضيف المعلومات انه ترك لكل بنت ٢٩٫٠٠٠ كراون ، أما أنجاله الذين عاشوا بعد وفاته فيتفق لو (جـ ٢ ص ٣٣٢) وبادجر على أنهم كانوا ١٥ ابنا .

---

(١) Miles ص ٣٢٨ .

(٢) Guillain جـ ٢ ص ١٩٥ ، Burton ص ٣٠٠

(٣) Guillain جـ ٣ ص ٩٧ ، Burton جـ ١ ص ٣٠٢ ويقول انها ١٨٤٩ .

(٤) Ruete ص ٤٦ ، Burton جـ ١ ص ٣٠٣ .

(٥) Miles ص ٣٣٧ ، Lyne ص ٢٩ ، Guillian جـ ٢ ص ٣٦ ، Burton جـ ١ ص ٣٠١ ، Bomb. Sel. ص ٢٧٧ .

الفصل الخامس

العلاقات مع الدول الأجنبية

١ — فرنســـا

ان تعقب أصل العلاقة بين الفرنسيين وعمان قد يبدو أمرا صعبا ، لذلك ربما نكتفى باعطاء فكرة موجزة عن طبيعة تعاملهم مع أســلاف البوسعيد .

ان أساس هذا التعامل كان قائما بطبيعة الحال على التجــارة مع جزيرة موريشيوس ، وقد تبين لأحمد بن سعيد أول حاكم من البوسعيد أن صداقة الفرنسيين ذات نفع هائل له عندما أهدى مسيو لاتريك حاكم موريشيوس بعض المدافع وكمية من البارود كهدية متبادلة [١] .

ولكن العلاقات اضطربت بشدة فى عهد سعيد بن أحمد ، عندما قامت سفينة تجارية فرنسية تابعة للأسطول الحربى [٢] فى ١٥ يونيو ١٧٨١ عند صحار بأسر فرقاطة عمانية تسمى صالح تحمل ٥٠ مدفعا وعليها سلع من

---

(١) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٤ ، Miles ص ١٧٠ .

(٢) Miles (ص ٢٦٨) يشير فى فبراير ١٨٤٩ ان ثلاث سفن حربية فرنسية من موريشيوس — كانت أكبرها السفينة كوند — دخلت ميناء مسقط بقصد قطع الطريق على السفن التجارية الانجليزية بالرغم من انه كان معروفا أن فرنسا وانجلترا كانتا فى ذلك الوقت على وفاق . انظر ايضا Gaillain حـ ٢ ص ٢٠٢ . ويشير Miles (ص ٢٦٩) الى ان حملة من السفن الحربية من بورث لويس الى مسقط مع بولوج فى عام ١٧٦١ . انظر ايضا Guillain حـ ٢ ص ٢٠٤ ويشير الى قطع الطريق للمرة الثالثة فى مايو ١٧٧٨ . انظر Miles. ص ٢٧٤ ، Guillain حـ ٢ ص ٢٠٤ .

الهند الانجليزية الى البصرة [١] • وتدخل مسيو روسو ، القنصل الفرنسى الشهير فى بغـداد للمصالحة بين الطرفين واستمال الحكومة الفرنسية للاعتراف بأن أسر السفينة صالح كان خطأ • وفى النهاية أرسلت فرنسا سفينة أخرى الى سعيد عوضا عن السفينة التى فقدت ، ولكن وصولها استغرق سنوات طوالا ، وتعد بعض المراسلات المتبادلة ذات أهمية كبرى ، كما أنها تلقى ضوءا على وجهة نظر العرب •

وكتب سعيد بن أحمد الى مسيو روسو :

« لقد فهمنا تماما كل ما ذكرناه نحن وبخاصة تقريركم الذى قدمتموه لنا عما حدث حين كنتم لدى صاحب الجلالة الامبراطور العظيم وبلاطه ، وأن الخبر المتعلق بمعاملة عمارتنا البحرية قد وصلنا وهو أمر لم يوافق عليه ابدأ هذا الأمير ، ونحن مقتنعون أنه لا يستطيع الموافقة أو السماح بحدوث أمور تناقض العدالة •

« وان شاء الله حين تلقى عمارات بلاطكم بمراسيها فى مينائنا فسوف نأمر كتخدانا خلفان بن محمد بأن يزودها بكل ما تحتاج اليه مهما بلغت قيمتـه » [٢] •

وقد ازداد وضوح هذه المسألة عندما سمع خلفان حاكم مسقط من مسيو روسو انكار وقوع أسر للسفينة ، فكتب يقول : « تقوم بيننا وبين الفرنسيين علاقات أوثق مما بيننا وبين أية أمة أخرى ، ان أملاكنا وأملاكهم واحدة ، وموانينا مشتركة • ونحن نتقاسم كل الخسائر وكل الميزات ،

---

(١) Rep. ١٨٨٧/٨٨ ص ٢٤ ، Miles ص ٢٧٧ ، Guillain جـ ٢ ص ٢٠٥ .

(٢) Sacy جـ ٣ ص ٢٩٠ ، Guillain جـ ٢ ص ٢٠٦

ولا حاجة فى أن ندخل فى أى تفصيل يتعلق بهذا الأمر بما أن قلوبنا هى الضامنة » [١] • وان صفاء النية فى هذه العلاقات تجمعت فى الاقتراح الخاص باقامة مبعوث فرنسى فى مسقط وقد وعد سعيد بالنيابة عنه بأنه « سوف يعامل بكل مظاهر الاحترام وبالتقدير الفائق ؛ وسوف يكون له مسكن مريح ، وسوف يتمتع بكامل الحرية » [٢] •

وعندما وصلت السفينة الموعودة ، عبر الامام عن رأيه فى الهدية بقوله « كان لكلماتكم تأثيرها ، وان هبة أريحتكم وصلتنا ، وعلى الرغم من أن السفينة التى أرسلت الينا صغيرة جدا ولا تساوى ربع تلك التى فقدناها ، فهى فى نظرنا أكبر بكثير وأكثر قبولا وان امتلاكنا لها يزيد من سرورنا : لأن كل شىء مشترك بيننا ، الأمر الذى لا يقلل من استخدامنا لها حتى اذا لم نتلقى هذه الهدية ، فان الأمر لدينا سيان » [٣] •

ويبدو أن اقتراح ارسال ممثل فرنسى الى مسقط لم ير النور • وهذا امر يثير الدهشة ، لأنه من المؤكد أن سلطان بن أحمد كان تحت تأثيرات فرنسية عديدة ، بل لقد قيل ان لديه طبيبا فرنسيا يقدم له النصائح ويرشده فى علاقاته الدبلوماسية [٤] •

ولاشك أن الثورة الفرنسية كان من آثارها الطبيعية الانخفاض الواضح فى النفوذ الفرنسى فى الشرق الأوسط ، وليست هناك ضرورة للتوسع فى تتبع أسباب هذا التدهور • ولعل السبب الواضح هو الحاجة

---

(١) Sacy حـ ٣ ص ٢٩٣
(٢) Sacy حـ ٣ ص ٣٠١
(٣) Sacy حـ ٣ ص ٣٠٤
(٤) .Rep ١٨٨٧/٨٨ ص ٢٤

الى حكومة مستقرة فى الوطن فرنسا ،والى سبب آخر أقل أهمية الى حد ما وهو سحب الفرنسيين المطلوبين لحماية فرنسا ضد أى عدو على حدودها •

وفى نفس الوقت كانت هناك الأطماع التى راودت الانجليز فى الهند • وحاول الفرنسيون استخدام كل امكانياتهم لمقاومة انتشار النفوذ الانجليزى ، ولكن ضاعت تلك المجهودات سدى •

ولم يكن متوقعا أن تستمر عمان حرة بعيدا عن تيار الأحداث • وكما سبق أن أوضحنا ، فان الأمور بلغت غاية فى الأهمية ، ليس فقط فيما يختص بالسفن التى تمخر عباب الخليج الفارسى بل كذلك للسفن بين الهند وأوربا •

واذا نحن أزحنا جانبا المميزات التجارية ، فان عمان تشتمل على ميناء متميز جدا كان يستخدم كثيرا فى هذا الوقت لمد السفن بالماء النقى والمؤن • ولكن الانجليز لم ينظروا اليها بمثل هذه النظرة المشرقة فان الخوف من أعمال فرنسا ونفوذها فى الخليج تسبب فى دفع الماركيز أوف ولسلى عام ١٧٩٨ الى ارسال المقيم فى بوشير (وهو ميرزا مهدى على خان) الى مسقط لعقد معاهدة تنظم طرد الفرنسيين وحماية المصالح الانجليزية فى الخليج [1] • واشترطت نصوص المعاهدة عدم السماح للفرنسيين بالدخول الى عمان وألا تصل سفنهم الى مرفأ مسقط ، ثم ضمان أن يصبح للانجليز قوة لتشييد مصنع فى بندر عباس ، وتعيين حامية دفاعية من ٧٠٠ جندى الى ٨٠٠ جندى •

---

(١) Rep. ١٨٨٧/٨٨ ص ٢٥ ، Curzon حـ ٢ ص ٤٣٥ ، German ص ٣٦١ ، Bruret Milon ص ١٩ ، Arie Française ص ٤١٧

وهكذا فان فحوى المعاهدة كان يتجه فى أغلبه الى اضعاف شـــأن النفوذ الفرنسى[١] ، وحماية انزال قوة انجليزية فى أعالى الخليج أكثر من أن نجد مدخلا للتوسع الانجليزى السياسى والاقتصادى فى عمان ذاتها • وفى الحقيقة فان سلطان هو الذى اقترح ذلك ، اذ أنه لم يجد مساعدة من الخارج أو نصيحة ، ولذا فان الانجليز سيكون لهم قنصل معتمد فى مسقط • وعلى أية حال فان الأمر استغرق أربعين عاما حتى تم تنفيذ هذا الاجراء وكان مقر الحكومة قد انتقل الى زنجبار • ولعل هذه المعاهدة مع انجلترا والتى سبق نشرها كانت ستصيب الفرنسيين بالاحباط ولكنهم لم يفقدوا الأمـــل •

وقد أثبتت أحداث عام ١٧٩٩ ذلك بصراحة ، ويجب ألا يغيب عن البال أنه فى تلك السنة كان « نابليون » قد دخل مصر ووضع الخطة البديلة : اما التقدم فى سوريا حتى القسطنطينية ثم يخرب النمســا من الشرق ، أو أن يتتبع خطى الاسكندر ويحول الحلم الى حقيقة ، ذلك الحلم الذى كان سببا فى سقوط أكثر من شخص أصيب بجنون العظمة العسكرية •

وحتى عندما غادر نابليون القاهرة لم يكن معروفا أى خطـــة كان سينفذها • وقبل غزو سوريا باثنى عشر يوما أرسل خطابا الى سلطان وبداخله خطاب آخر لتوصيله الى تبو صاحب الذى كان يرجو أن يجـــد عنده المساعدة فى الميدان • ولكن لسوء حظه اعترض طريق هذه المراسلات

---

(١) Miles (ص ٢٨٢) يذكر أنه فى أول سبتمبر ١٧٨٥ وصلت ثلاث سفن حربية الى مسقط قادمة من موريشيوس وكانت أكبر القطع السفينة فينوس . وكان القائد الكونت دى روسليو قد انيطت به بعثة الحصـــول على تصديق لبناء مصنع فى مسقط بواسطة شركة الهند الشرقية الفرنسية . وقـــد قوبل الاقتراح بلطف مع رفض قاطع Ferouz ص ٧٥ وله رواية أخرى .

الكابتن س • ولسون المعتمد الانجليزى فى مخا وأرسلها الى الهند [١] • وعلى أية حال كان قد تم القضاء على تبو ، ولم يكن هناك داع لتقديم الخطاب المرفق • وكان نص خطاب نابليون الى سلطان كالآتى :

القاهرة

٢٥ يناير ١٧٩٩

الى إمام مسقط •

أكتب اليك هذا الخطاب لأعلمك بوصول الجيش الفرنسى الى مصر • وبما أنك صديق على الدوام ، فانك يجب أن تقتنع بأن هدفنا هو حماية كل السفن التجارية التى قد ترسلها الى السويس ، وانني أرجوك أن تقدم الخطاب المرفق الى تبو صاحب فى أول فرصة •

بونابرت [٢]

وأصبح سلطان حينئذ فى موقف صعب جدا ، اذ أنه ربط نفسه بمعاهدة تمنعه من الاقدام على أى عمل مع الفرنسيين ، ليس هذا فحسب بل وأن يطردهم من بلاده وموانيها • وفى الوقت نفسه من المحتمل أنه اعتقد بضرورة خوض غمار مغامرات خطيرة اذا هو رفض العروض التى ترد اليـه •

---

(١) Miles ص ٢٩٠

(٢) .Rep ١٨٨٧/٨٨ ص ٢٥ . ونص الخطاب الذى كان موجها لتبو صاحب هو : انك تعلم عن وصولى الى شواطىء البحر الأحمر بجيش وافر لا يقهر نشيط بقصد تخليصكم من عبودية انجلترا الحديدية . وانني أسرع فى افادتكم برغبتى فى تسلم أخبار بخصوص الوضع السياسى الذى تجد نفسك فيه . واننى ارغب فى أن ترسل الى السويس شخصا كفئا يحظى بثقتك ، لكى أستطيع التفاهم معه .

انظر Miles ص ٢٩٠ .

وفى الحقيقة ، ســواء أكان الأمــر صحيحا أم خاطئا فان الانجليز استطاعوا الوصول الى نتيجة هى أن سلطان كان يتآمر مع الفرنسيين ، وأنه لهذا السبب بينما كان كابتن مالكولم (أصبح سير جون) بعد عامين فى طريقه الى فارس فانه عرّج على مسقط وتحمل كثيرا من الآلام ليشرح لسلطان العواقب التى تترتب على سياسته بازاء الفرنسيين • وأوضح له أن مجرد الشك فى حدوث تحالف مع فرنسا فان ذلك معناه أن تغلق فى وجهه جميع موانى الهند الواقعة تحت السيطرة الانجليزية (١) •

وكان هذا كافيا لسلطان اذ كان يعرف جيدا النتيجة السياسية التى تترتب على اغلاق واحد من أهم طرق نشاطه التجارى • وتبعا لذلك فان معاهدة ١٧٩٨ أصبحت ضمن تشريع لمعاهدة جديدة وقعت فى ١٨ يناير ١٨٠٠ ، وبمقتضاها اتفق على اقتراح سلطان بانشاء مقر رسمى انجليزى فى مسقط • وبالرغم من ذلك فان هذا التخطيط لم يوضع موضــع التنفيذ فترة طويلة وكانت العلاقات مع الانجليز ولمدة عشر سنوات قادمة سطحية للغـــاية •

وفى تلك الأثناء ، وبالرغم من أن مشروعات نابليون فى مصر قد لقيت مصيرا سيئا ، فان الاهتمامات الفرنسية فى بلاد العرب وحولها ازدهرت ثانية لدرجة عدم القدرة على القضـــاء عليها الا بكفاح مرير • ولم تكن الأحداث غير مرتبطة بالخطة العامة للغزو الذى يضم منطقة متسعة تمتد من مصر حتى الهند • وكانت الخطة الأساسية بالتأكيد قيام حملة مشتركة من الروس والفرنسيين للاستيلاء على الهند من الشمال • واذا لم يكن الامبراطور بول الأول قد انسحب من التعاون مع الفرنسيين فان وضع هذه الحملة موضع التنفيذ كان أمرا محتملا • واذ لم تنجح هذه الخطــة فكان لزاما اجراء محاولة للتعرف مبدئيا على طبيعة أرض الميدان •

---

(١) Rep. ٨٨/١٨٨٧ ص ٢٦ ، Miles ص ٢٩٢

ولهذا الغرض أرسلت قوة الى مصر تحت إمرة جنرال سباستياف ، وفى نفس الوقت فى عام ١٨٠٣ أرسل الجنرال ديكان لمثل هذه المهمة فى الشرق الأوسط ، وبعـد وصوله الى بوند شيرى وقضائه فترة مليئة بالمغامرات بين الممتلكات التى لاتزال فى يد فرنسا من أراضى الهند ، اخيرا انتهى الى تأسيس مركز القيادة فى موريشيوس وكشف الستار عن الهـدف من الفصل الأخير من التعليمات الضخمة التى أعطاها له نابليون ويقـول فيها « ان بعثة كابتن جنرال انما هى فى المقام الأول بعثة استطلاع سياسى وعسكرى •• ولكن القنصل الأول بعد أن وصـلته المعلومات التامة من الكابتن جنرال والذى يعتمد عليه فى التنفيذ الفورى لهذه التعليمات قـد يضمها الى قوته للحصول على هالة كبرى تطيل من أمد التذكر لرجل الى ما بعد انتهاء العمر »[1] •

ولم يمر وقت طويل قبل أن يصمم نابليون على تعيين معتمد وقنصل لفرنسا فى مسقط • ولهذا الغرض أرسل مسيو دى كافاناك فى الفرطاقة اتلنتا ، وعند وصوله فى أكتوبر ١٨٠٣ وجد دى كافاناك أن سلطان كان بعيدا يحارب النجدين بينما المقيم الانجليزى فى الخليج كابتن ستون Seton كان بدوره مشغولا بالمنطقة الشمالية • لذلك سنحت الفرصة المناسبة أمام دى كافاناك ووجد آذانا صاغية غير رسمية للاحتجاج ، فقد وجد فى المدينة حزبا قويا يؤيد فرنسا يتكون من التجار أصحاب المصالح يعتمدون بشكل أساسى على الجزر التابعة لفرنسا • وقد ضلل الحزبان كل منهما الآخـر بأمنيات مزيفة •

ولمـا عاد سلطان تمسك بكلمته ورفض مقابلة القنصل الفرنسى ووافق فقط على السماح للسفن الفرنسية بالدخول الى الموانى مع ضرورة الاسراع

---

(1) Rep. ٨٨/١٨٨٧ ص ٢٨

بخروجها كالضيف غير المرغوب فيه ، ويرجح أن هذا التقيد التام للتفكير قد تأثر بالنجاح الكاسح للجنرال ليك فى الهند [١] •

وبالرغم من أن السياسة الفرنسية واجهت انقلابا قاسيا فى هذا المجال ، الا أن الجزر الفرنسية لم تبرهن فقط على ازدهارها غير العادى تحت حكم جنرال ديكان ، بل انها شكلت قاعدة ممتازة تستطيع السفن منها سلب التجارة الانجليزية [٢] • وكان الانجليز كذلك مشغولين تماما فى صراعهم الداخلى وفى سبيل تأسيس ادارة فى الهند ، لدرجة أنه لم يعد لديهم سوى نشاط ضئيل يمكن توجيهه الى نواح أخرى •

وكانت النتيجة وصول الفرنسيين الى مسقط واتخذوها « قاعدة وملتقى لعملياتهم » وفى ظرف عشر سنوات تسببوا فى خسارة بلغت قيمتها ما يربو على ثلاثة ملايين جنيها استرلينيا [٣] • ومن ناحية أخرى فقد شجعوا تجارتهم مع العرب وبخاصة مع عمان بجد ومثابرة ، ووجدوا أنهم مشترون على أتم الاستعداد للحصول على أية غنيمة انجليزية تعرض للبيع [٤] •

واذا كان الانجليز قد استمروا فى اعتكافهم بينما الفرنسيون يهيئون لأنفسهم فرصا طيبة للتجارة ، فليس عجيبا اذن أن أحد الأعمال الأولية التى قام بها سعيد أن يرسل مندوبا هو ماجد بن خلفان الى موريشيوس للتفاوض حول عقد معاهدة تجارية مع الجنرال ديكان ، معاهدة

---

(١) Rep. ١٨٨٧/٨٨ ص ٢٩ Miles ص ٢٩٩ ، Guillain حـ ٢ ص ٢٠٩ Bruset - Milon ص ٧٠ •

(٢) Guillain حـ ٢ ص ٢١٠

(٣) Rep. ١٨٨٧/٨٨ ص ٢٩ •

(٤) Guillain حـ ٢ ص ٢١٠ •

ســـلام دائم لا ينقض ، وقـــد وقعت المعاهـــدة توقيعا أوليا فى ١٥ يونيه ١٨٠٧ [١] .

وتنص مواد المعاهدة على أن تقف السفن العربية موقف الحياد فى حالة اشتباك انجليزى — فرنسى . وأعطت المعاهدة للعرب سلطة دخـــول موانى العدو دون تعرضهم للقبض عليهم ، كذلك نص على تعيين معتمد فرنسى فى مسقط . ومتابعة لهذا الأخير أرسل مسيودالون الى مسقط [٢] . ثم تجدد النظر فى المعاهدة بقصد استبعاد المواد التى لا يمكن تنفيذها ، وكذلك لتلطيف نغمة بعض المواد التى كانت بومباى قد قدمتهـــا وأعيـــد امضـــاء المعاهدة فى ١٧ يونيو ١٨٠٨ .

ومن المحتمل أن سعيد كان أكثر تحمســـا لربط نفســـه بالفرنسيين بمعاهدة نظرا الى حقيقة أن موريشيوس كانت فى هـــذا الوقت عشا حقيقيا للقراصنة . وأكثر من ذلك ففى يوليو ١٨٠٦ فان فرقاطة انجليزية هى كونكورد Concord أسرت فرقاطة فرنسية هى فيجيلانت Vigilant فى ميناء مسقط ، وربما داخل سعيد خوف من استئناف الانجليز لاقدامهم أو جرأتهم فانه بذلك يضع نفســـه فى موقف لانتقـــام عنيف دون أدنى حمـــاية .

ومما هـــو جدير بالملاحظة مناسبة استعداد سعيد لمواجهة مطالب الفرنسيين حتى مع شىء من التضحيات الضرورية ، فان ذلك قد تأكـــد بموافقته على أن يثبت سعرا محددا للتعامل مع سعر الفرنك الفرنسى . وكان فرق القيمـــة السائد حتى الآن فى صالح ريال ماريا تيريزا والدولار

---

(١) Ferouz ص ٢٨٦ Brunet - willan ص ٧١ ويحدد التاريخ بأنه ١٦ يونيو .

(٢) Guillain جـ ٢ ص ٢١١ .

الأسبانى وهما العملتان المستخدمتان فى ممتلكاته فانهما بذلك سيخفضان بدرجة كبيرة [١] .

وكانت هزيمـــة الفرنسيين فى موقعة الطرف الأخر سببا فى الانهيار السريع لهذا البناء الذى أحسنت اقامته واستسلمت بوربون فى يوم ٩ يوليو واستسلمت موريشيوس فى ٣ ديسمبر عام ١٨١٠ . ومنذ ذلك الحين وحتى عام ١٨١٥ أغلق المحيط الهندى فى وجـــه الفرنسيين ، وحتى عندما استعادوا بوربون والجزر الصغيرة فى نهاية الحرب فانهم وجـــدوا أنفسهم فى موقف مغاير تماما للموقف الذى كانوا عليه عند احتلال هـــذه المناطق من قبل ، وأن نفوذهم انتهى فى الفترة القصيرة ، ٥ سنوات تماما ، وكل المحاولات لاستعادته كان من الواجب أن تتم بشكل خفى ومخفف حتى لا يصاب الانجليز بالريبة . وكان كل ما يستطيع الفرنسيون عمله فىالواقع انما هـــو الانتظار على أمل تلقى عروض من الزعماء الوطنيين [٢] .

وازدادت حدة هـــذه الصعاب بحقيقة أن الانجليز قد اهتموا بتبيت أنفسهم فى مواقع استراتيجية هامة . وان نظرة على الخريطة تظهر تلك المواقع فى الهند وفى الخليج الفارسى ورأس الرجاء الصالح وفى الجزر مثل جزر سيشيل وسيلان . وأدى ذلك الى ترك مجال ضيق لاعادة تأسيس أى عمل . حقا ان التغلغل فى مدغشقر قد نتج عنه كسب منذ ١٨٢٠ فصاعدا ، وان التحالف مع محمد على ومساعدته فاقت تلك المجهودات الجريئة التى أقدم عليها المسئولون الفرنسيون فى الميدان ذاته [٣] . وان الانهيار غـــير العادى الذىأصاب قوة الفرنسيين يمكن ملاحظته على نطاق واســـع . فقد

---

(١) Guillain جـ ٢ ص ٢١ ، ٤٣ ، جـ ٣ ص ٩٤ ، Burton
(٢) Guillain جـ ٢ ص ٢١٢ ، Ferouz ص ٨٧ .
(٣) Bwnet Melan ص ٧٥ .

عرف ديكان أهمية موقع مسقط فيما يختص بغزو الهند والرغبة فى التنازل عن الميزات بقصـــد الحصول على اكتساب حلفاء لتحقيق هذه الغاية .

وكان هناك شيء آخر فى ذلك ألا وهو الشهاب الذى بزغ والشخصية القوية النابليونية التى كان لها جاذبية كبرى على عقلية العرب . وقد بلغ اعجاب سعيد به حدا كبيرا ، وقال فى أول رسالة الى ديكان « نحن مشتاقون لاعادة أواصر الصداقة القديمة التى طالمـا كانت قائمـة دائما بين آبائنا وبين الشعب الفرنسى ، واننا نأمل من سعادتكم أن تتفهموا أن بلادنا تعتبر نفسها تحت امرته وأنها دائمـا مستعدة لطاعته طالمـا أنه يعمـل على تشريفنا بأوامره » [1] .

ولعله من العدالة القـول عن هـذه المناسـبة ـ أن الفرنسيين لم يستخدموا موقعهم للحصول على ميزات طيبة ويعتمد التفسير على أن باريس لم تفهم ولم تسـاند سياسة الرجال الموجودين فى الميدان . وفى الواقع نجد نقصـا فى التعاون والتنسيق بين الرئاسات والقواعد الأمامية . وليس أدل على ذلك وبوضوح أكثر من الحقيقة بأن معاهدة١٨٠٧ لم تصدق عليها باريس بتاتا [2] .

ولمتجـد أمـور أخرى حتى شهر سبتمبر ١٨١٧ إذ استطاع حاكم بوربون الاتصـال بعمان مرة أخرى ، واستغرق الأمر خمس سنوات قبل أن توقع معاهدة تجارية بنـاء على اقتراحه ، وأن صلاحية المعاهدة تستمر من ٣٠ مارس ١٨٢٢ حتى ١٨٤٤ [3] . ومنذ هـذه اللحظة فان العلاقات

---

(١) Brunct - Millan ص ٧١ .

(٢) Ferouz ص ٨٧ .

(٣) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٥ ، Miles ص ٣٢٣ ، Guillain ج ٢ ص ٢١٢ .

بين البلدين أخذت فى التوطد باستمرار وبسرعة تتناسب مع ازدياد حجم التجارة •

ولم يكن أمام الانجليز سوى توجيه اللوم لأنفسهم ، ذلك أنهم من جهة كانوا منشغلين جدا بأمورهم الخاصـــة فى الهند الى جانب الحذر من روسيا ومحمد على •ومن جهة أخرى فان الحق فى البحث الذى ادعوه لأنفسهم بغـير وجــه حق باتفاقية الرقيق والتى وقعت مــع سعيد فى عــام ١٨٢٢ [١] دفعت الجزء الأكبر من المراكب الشراعية الى الابحار تحت العلم الفرنسى • وفى الحقيقة فان المعاهدة كانت ذات تأثير لا مناص عنه فى مــد الفرنسيين بزمرة من الحلفاء على أتم الاستعداد [٢] • ولعــل الفرنسيين من أجل ما حــدث كانوا شاكرين للانجليز •

ومن الأمور الغريبة اكتشاف أحــد الكتاب يميل الى العدالة مثــل مسيو جويلان الذى عبر عن وجهة نظره بأن « علاقاتنا مع هــذا الأمـير أمكن الحفاظ عليها بسهولة تامة وصداقة لأنهم ما برحوا مؤيدين لنا ويتخذون جانبنا على الدوام وليس لهم مصالح من وجهة النظر السياسية [٣] •

وعندما منح الفرنسيون مساندتهم لمحمــد على وخططه التى اعترف بها بخصــوص ضم عمان ، اذا تذكرنا كل هذه الأمور فان طبيعة الصفاء التى تحرك دوافع السياسة الفرنسية تبدو أكثر وضوحا • ولعل سيو جويلان كان يقصد ـــ ولو أنه لم يهتم بالحديث عنه ـــ أنه بحكومة مركزية على هذه الدرجــة من الضعف بالاضافة الى عدم استقرارها كما هــو الحال

---

(١) النص الكامل للمعاهدة يوجد فى Treaties ص ٢٠٩ •

(٢) Ferouz ص ٩٧ •

(٣) Guillain جـ ٢ ص ٢١٢ •

فى فرنســا آنذاك ، فان الدوافع السياسية لم يكن أمامها ســوى فرصة ضئيلة للاثمار ولذلك كان التستر عليها سهلا •

وعلى أية حال ، يجب القول انه بالرغم من أن فريقا معينا من العمانيين كانوا تحت قبضة الفرنسيين ، فان سعيد — كما يبدو — قد غير وجهــة نظره تماما • ذلك أنه كان يدين بقدر كبير للمساعدة العسكرية الانجليزية — كما رأينا من قبل — وكان من السهل ادراك ذلك بالوضع الانجليزى القائم والراسخ فى الهند ، وهكذا فليس ثمــة مجال للتساؤل عن أى جانب يميل ميزان الاهتمام • ومن ثم يبدو أنه تتبع السياسة القائمــة على الحصول على أى قدر من الفرنسيين بينما لا يقدم لهم ســوى النذر اليســير ، وفى نفس الوقت لا يفقد الاتصال بالانجليز (١) •

وهناك مثال نموذجى لذلك الوضع • ففى عام ١٨٣٩ عندما كان من المفترض اقامة قنصلية فرنسية فى زنجبار ، وكان القنصل سيصل فى السنة التالية ١٨٤٠ ، فان سعيد رفض اعطاءه حق الدخــول الا فى عام ١٨٤٤ • وكان السبب فى ذلك الاجراء يكمن الى حد ما فى الحقيقة بأنه سيحــدث قريبا تمزق فى العلاقات الفرنسية الانجليزية بخصوص المســألة المصرية ومحمد على ، وكذلك من ناحية أخرى فان سعيد كان قد صمم على أن تتخذ علاقاته مع فرنســا شكلا رسميا وتنظمها معاهدة كما هــو الحــال مع الانجليز والأمريكيين (٢) •

كذلك هناك نموذج آخر حدث فى ١٨٤٠ عندما أصيب سعيد برعب

---

(١) كان ســعيد يراقب الوضع الســياسى فى أوربا بشغف بالغ . انظر Stocqueler (جـ ٢ ص ٤) وكان قد استمع الى حدوث الثورة الفرنســية عام ١٨٣٠ وكان متلهفا لمعرفة اذا كان ملك انجلترا قد وافق على الاعتراف بالملك ليوس فيليب وعما اذا كانت الثورة استطاعت الانتشار فى الدول من حولها .

(٢) Guillain جـ ٢ ص ٢١٣ ، Miles ص ٣٤١ .

شـــديد بازاء النشـــاط الفرنسى فى شرق أفريقيا ، وقد أرسل خطابا بذلك الوضع من زنجبار الى لورد بالمرستون [١] • وكانت هناك ثلاث محاولات من جانب فرنسا فى عام واحـــد للتقارب معه ومطالبته ببعض الامتيازات ، وفى نفس الوقت كان التغلغل الفرنسى فى مدغشقر يتزامن بشكل ما مع طموحات سعيد لاقامة امبراطورية فى شرق افريقيا •

وعندما احتل الفرنسيون نوس بى فان سعيد رفع صوت المعارضـــة وأن الملكة سكالافا وضعت نفسها تحت حمايته • ولكن الحقيقة الكامنة خلف الاجراء الذى قام به كان قد وضعه للاستيلاء على الجزيرة [٢] • وان امعان الفكر فى التباعد بين مصـــالح العمانيين والفرنسيين حـــول شرق أفريقيا يظهر بجلاء الحاجة المـــاسة لعقد معاهدة تعد جسرا يقضى على الفجـــوة التى أخذت تتسع باستمرار •

وجرت محاولة لتوضيح مدى الحاجة الى عقد معاهدة جديدة مـــع الفرنسيين ، ولم تكن هذه الحاجـــة تكمن فى أى خلافات نامية مع الشعب ولكنها فى اعتقاد سعيد المتزايد أن الانجليز يملكون رجحان كفة من ناحية القوة ويستطيعون بذلك تقديم ميزات أكثر • هـــذا الى جانب أن هوية ميولهم تتجه نحـــو التعاون العسكرى ضـــد القواسم وقبائل القراصنة الآخرين ، مما أثار شعورا بالعرفان والحب عند سعيد جعلـــه يميل الى الانجليز أكثر من ميله للفرنسيين •

وقد واجه هـــذا التفكير ، بالتأكيد ، معارضـــة تامة فى المناقشـــات التى حدثت بين الكتاب الفرنسيين • وقد ذهب بعضهم لتأكيد أن ما حـــدث انما كان يهدف الى التهرب من السيطرة الانجليزية على عمان لذلك فان سعيد

---

(١) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٣٣ •

(٢) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٣٣ •

لم يذهب الى زنجبار • ولســوء الحظ فان عمومية تقاريرهم التى يصعب تنفيذها يمكن كشف الستار عنها بالتدقيق فى تواريخها • فكل من برونيت ميلون (ص ٧٧) وفيروز (ص ٩٧) يقرر أن سعيد ذهب الى زنجبـــار بصورة دائمـــة بناء على نصائح عملاء فرنسيين لكى يهرب من تجاوزات الانجليز فى عام ١٨٤٠ • وكان من الصعوبة دحض مثل هــذا التقرير لولا وجـــود التاريخ •

لقد بدأ سعيد فى بناء بلاده وزنجبار كمدينة للاقامة • ومن المؤكــد أن ذلك حدث قبل عام ١٨٣٢ بل ويحتمل قبل عام ١٨٢٨ • والأكثر من ذلك فان استيلاءه على الأملاك بغرض اجراء تجارب لزراعة القرنفل قد بدأ فور وضع قدمه على الجزيرة ، وأخيرا ما بين ١٨٣٨ ، ١٨٤٠ أنفق معظم وقته فى زنجبار أكثر مما كان يقضيه فى عمان • ولم تكن هناك شواهد اطلاقا بأنه سيجعل زنجبار مركزا فيما بعد ١٨٤٠ أو بناء على نصائح فرنسية • ومن ناحية أخرى فان الشاهد الاستنتاجى كما هــو موجــود بوضوح يبين أن ذلك القرار قد اتخذ من قبل ، ومن المحتمل أن سعيد لم يتخذ هذا القرار الا بتشجيع من الفرنسيين •

ويعد عام ١٨٤٠ عاما سيء الحظ بالنسبة للفرنسيين وارتباطهم مع سعيد • ذلك أن هــذا العام كان بداية تأكــد الفرنسيين من أنهم كانوا يعملون على التقدم معه تقدما كبيرا • بينما من ناحية أخرى ، كان سعيد يعبر فى هــذا العام عن خوفه الشــديد من خططهم •

وعندما يضيف برونيت ميلون أن سعيد « استمر مخلصا لفرنسا على الرغم من فشلها » [١] ، فلا يستطيع المرء الاتفاق معه دون تحفظ • وان

---

(١) Brunet - Millon ص ٧٤ .

من الممكن فقط أن يقال ان سعيد أظهر اخلاصـــه بشكل متردد ، وبطريقة مريبة وتقصير لا يتفق على أية حال معه •

وقد وقعت اتفاقية [1] فى ١٧ نوفمبر ١٨٤٤ وأمنت للفرنسيين الشروط التاليـــة :

١ ـــ حرية تامة للتجارة تسمح للفرنسيين بالتحرك جيئة وذهابا دون عائق أو عرقلة على طول أملاك سعيد •

٢ ـــ يؤمن كلجانب للجانب الآخر المعاملة الأفضل بين الأمم •

٣ ـــ عدم انتهاك جميع الأملاك الفرنسية فى دائرة نفوذ سعيد وحريتها من أن يتملكها الوطنيون •

٤ ـــ للفرنسيين الحق فى تشييد مخازن للتجارة بأى نوع كان وفى أى جزء من أملاك سعيد كما يرغبون •

٥ ـــ عدم القبض على الفرنسيين ومن يخدمونهم أو محاكمتهم أمام المحاكم على الرغم من أنهم خاضعون لقضاء سعيد •

ويصف فيروز هذه المعاهدة [2] بأنها تشكل « نجاحا حقيقيا للسياسة الفرنسية » وفى الواقع فان هـــذا التقرير ليس مزيفا ولا مبالغا فيه • ومثل هذه العبارات التى تداولوها عن عدم تعرض السلع الفرنسية للنهب ،

---

(١) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٣٤ ، Miles ص ٣٤٥ ، Guillain جـ ٢ ص ٢١٣ ، Bomb. Sel. ص ٢١٥ ، Burton جـ ١ ص ٢٩٥ .

(٢) النص الكامل للمعاهدة انظر Treaties ، Bomb. Sel. ص ٢٦٦ ، Guillain جـ ٣ ص ٤٥٢ ، Ferouz ص ٩٨ .

والحق فى تشييد مصانع فى أى مكان من أملاك سعيد ، انما هى فى الواقع منح امتيازات كبرى لا مثيل لها بين شعبين • وان العبارة التى تتناول اقامة قضاء خاص للفرنسيين ومن يخدمهم انمـــا هى مســألة تثير الدهشـــة الى حـــد بعيد ، انها واحـــدة من النماذج المــاضية لاقامة نظام الامتيازات الذى تقبلته دول غرب أوربا • وكان من الطبيعى بعد ذلك أن أصبح الكتاب الفرنسيون يتيهون بها عجبا وبالنتائج التى ترتبت عليها •

وكان أكبر موضوع يشغل السياسة الانجليزية فى ذلك الوقت هـــو القضاء على تجارة الرقيق ، وبعد ذلك تهريب السلاح • وبنص المعاهدة أمن الفرنسيون بأن جميع التجار الوطنيين أصبحت لديهم مناعة برفـــع العلم الفرنسى وأن يقدموا أنفسهم باعتبارهم تابعين لفرنسا • ومن المحتمل أن الفرنسيين توقعوا ــ وهم فى الواقع عانوا ــ معاناة شديدة من الانزعاج مع الانجليز فيما يختص بهـــذا الأمر ، ولكنهم اكتسبوا ميزة التجـــارة المربحـــة ، وقد أفادتهم فائدة مالية كبيرة كما يبدو منذ ذلك الوقت وحتى وقت قريب نسبيا •

ولم يكن هـــذا الأمر على أية حال السبب الذى جعـــل الفرنسيين يتفاخرون بصفة خاصـــة بالمعاهدة ، فان جميع الكتاب الفرنسيين ابتداء من جويلان حتى برونت ــ ميلون قد أكدوا على أن هـــذه أول معاهـــدة من نوعها وأنها أثارت قدرا كبيرا من الكدر والانزعاج لدى الرأى العام الانجليزى •

وكان جويلان شخصيا على مقربة تامة بالأحداث المعاصرة فكان مبالغا فى كتاباته • ولكن الذين جاءوا بعده لم يغالوا كثيرا فى كتاباتهم ، ولكنهم كانوا على قدر وافر من الحماس مما جعلهم يرددون القـــول ان انجلترا استيقظت ذات صباح لتجد نفسها وقد خدعت •

ولكن الحقائق كانت على عكس ذلك تماما • وتقول التدوينات المعاصرة فى سجل حكومة بومباى ما يلى « انه (ســعيد) كان قــد اتصل بالوزارة الانجليزية لكى يحصل على رأيها بصدد الاجراء الذى عرضــه ، وأنه قد وصلت له بعض الاشارات أو التلميحات عن طريق كابتن هامرتون بأنه لا توجــد اعتراضات على بدء دخوله فى علاقات مــع الفرنسيين ، وان المعاهدة مع ذلك الشعب قد انتهت [1] • وبناء على ذلك فمن العدل والانصاف أن نقول ان حسابات الفرنسيين الأخيرة وهى تضيف الى بلادهم العظمة والمكانة الرفيعة ، فانها فى نفس الوقت انتقصت من قدر سعيد فى هــذا الصدد • وكان الانجليز على اتصال دائم بالموقف من أوله الى نهاينه ، وكانت حصيلة الفرنسيين من المعلومات تتوقف على مدى سماح الانجليز قلة أو كثرة •

وفى الوقت نفســه فان الحط من قدر الانجازات لم يكن وراءه هدف مفيد ، وقد عمل الفرنسيون على تنظيم موقفهم وبدأوا يتطلعون ويمدون نظرتهم نحــو الأرض والبحث عما اذا كانت هناك قواعــد بحرية منسبة • ولهذا الهدف أرسل جويلان عام ١٨٤٦ ، وقد حققت بعثته هدفا مفيدا جدا ، وأنجزت المسح العلمى الأولى لزنجبار وما حولها من مناطق ريفية •

ولكن من ناحية أخرى كان هناك رأى بأنه من المناسب القيام بمحاولة ربط العمل الاستكشافى بالسياســة ، الا أن سعيدا تنبه بسرعة اذ وجــد جويلان يتفاوض مع الزعماء المحليين لشراء لامو Lamu وبراوا Brawa لمنافسة عدن [1] • وتقدم سعيد فورا وأبطل عملية البيع •

---

(١) .Rep ١٨٨٣/٨٤ ص ٣٤ ، Miles ص ٣٤٥ •
(٢) .Rep ١٨٨٣/٨٤ ص ٣٤ ، Miles ص ٣٤٥ •

ويقول جويلان ان « ذلك هـو الاخلاص للفرنسيين على الرغم من فشلهم » • وهكذا وضع جويلان اصبعه على الموضع تماما عند ما يتحدث عن النقص الفاحش فى التعاون ، وأن باريس لا تعرف عن زنجبار الا الاسم فقط • وكان هـذا أمرا متوقعا عندما تعانى احـدى الدول قدرا كبيرا من عدم استقرار الحكومة وعدم كفاءتها كما هـو الحال بالنسبة لفرنسا الحزينة فى ذلك الوقت •

ولكن التناقض بين الحقيقة والأحلام لدى أصحاب المذاهب الحديثة هـو من الوضوح بحيث لا يمكن التغاضى عنه • ويكتب جويلان « ان ما سطرته ، كما أرجـو ، يكفى لتبديد الجهل المطبق السائد فى فرنسا عن أى شىء يتصل به (سعيد) » [1] •

ولكى يبرهن جويلان على هذا التصريح فانه يستشهد بما حـدث عـام ١٨٤٩ عندما أرسل سعيد مبعوثا ومعه هدية هى ستة خيول عربيـة الى رئيس الجمهـورية الفرنسية • وبهـذه المناسبة فان المجلس الوطنى الفرنسى فى اجتماعه يوم ٣٠ أغسطس ١٨٤٩ بدأ بنبذة خاصة مع ملاحظة أن مبعوث الامام كان قد غادر باريس بعد أن استقبلته الحكومة استقبالا عاديا • ويبدو وكأنها لا تعرف من هـو امام مسقط [2] • ومن ثم فنحن نستطيع التغاضى عن أنشطة السياسـة الفرنسية فى هـذا المجال مـع حكم ختامى بأن الصعاب تكاثرت وأن كثيرا من الأمـور قد نفذت حقيقة ، وأنه بحكومة مركزية أقوى وتعاون فعال جـدا ، فان النتائج تصبح أقرب كثيرا مما كان يطوف بخيال برونت ـــ ميلون •

---

(١) Guillain جـ ٢ ص ٢٥٢ •
(٢) Guillain جـ ٢ ص ٢٥٣ •

بريطانيـا العظمى

ان تناول موضوع العلاقات بين سعيد والانجليز باسهاب أمر غـير ضرورى مـن ناحيـة لأنه يمكن تجميع المعلومات الخاصـة بالعلاقات فى الصفحات السابقة (فى هـذا الكتاب) ، لذلك فليست هناك سوى تفصيلات قليلة وتفسـير أقل • ويجب أن يكون مفهوما أن الأصل فى التعامل بين سعيد والانجليز ظهر نتيجـة لاحتلال الهند ، وقد سبق شرح المعاهدات الأصلية عام ١٧٩٨ [١] وفى عام ١٨٠٠ [٢] بقصـد انهاك قوة فرنسـا وتنظيم مصالح انجلترا فى بلاد الفرس أكثر من أن تقيم علاقات ودية مع عمان ذاتها •

وفى الحقيقة فان من العدالة تقديم رأى بأن بحثا انتقاديا للعلاقات

---

(١) كان سلطان بن احمد ، عن طريق هذه المعاهدة ، أول أمير فى بلاد العرب يدخل فى علاقة سياسية مع انجلترا Miles (ص ٢٩) . وللحصول على النص الكامل للمعاهدة ، انظر Bomb. Sel (ص ٢٤٨) وقد رفض أحمـد ابن سعيد والد سلطان الدخول فى مفاوضات مع انجلترا . وقد أعلن بعد توليه مباشرة الامامة (١٧٤١) عن نواياه باتباعه سياسة من سبقوه فى رفض السماح لانجلترا ببناء مصنع فى مسقط . وكانت المحادثات تدور بالتناوب لمدة قرن تقريبا بين الانجليز فى غرب الهند والأئمـة بدون هدف لأن العرب كانوا حاسمين فى هذا الأمر Miles ص ٢٦١ . وحدث فى عهد أحمد بن سعيد أن أول سفينة حربية انجليزية وصلت الى مسقط (فى يوليو ١٧٧٥) وهى من سفن جلالة الملك واسمها Seahorse .. ومن الأمور المسلية ملاحظة أن هوراشيونلسون كان ضابط صف بحرى على السفينة Miles ص ٢٧٤ ، Wilson ص ١٨٥ وأن رابع حفيد (سلسلة الاحفاد) لأحمد بن سعيد « تيمور بن فيصل » سلطان مسقط وعمان بينما ضيف الشرف يزور السفينة Victory سفينة قيادة نلسـون فى بور تقسماوث فى سبتمبر ١٩٢٨ •

(٢) Miles ص ٢٩٢ . ولمراجعة النص الكامل للمعاهدة انظر Bomb. Sel ص ٢٢٩ ، Badger . وحول هذه الفترة فان سعيد سلطان منح الانجليز الحق فى تشييد محطة بحرية انجليزية عند باسيدو Basidu على جزيرة الكشم والتى استمرت هناك وقد صدق عليها حكام عمان منذ ذلك الوقت .

بين الانجليز وعمان حتى ١٨١٦ سوف يكشف عن تهيب واضح من ناحية تدخل انجلترا ، ويحتمل أنه ناشىء عن كراهية الانجليز للتدخل بالمعنى الحرفى ، أو بالأخرى لأنهم لم يتبينوا أى مآرب سريعة لنشاطهم أو ميزات تكتسب •

ويجب أن نبدأ بحقيقة أنه على طول التاريخ الانجليزى ، وهو أمر قلما يدركه الأجانب ، فانه لم ينظر الى سعيد بحب عندما اعتلى كرسى الحكم ، ومن الضرورى أن نقدر الحقيقة الأخرى بأن الانجليز كانوا فى البداية راغبين فى مساندته ضد التجدين والقراصنة لأن ممتلكاتهم فى الهند كانت غير آمنة الى حد أنهم لم يرغبوا فى خوض غمار حرب كانوا مدركين لعواقبها ومتاعبها •

وللمرة الثانية تبدو الدهشة لأن مثل هذا الضعف قد وضح من معالجة المسألة الخاصة بالقواسم وأتباعهم وان القوانين المؤثرة فى تصرفات هؤلاء الناس كانت بالقطع عديمة التأثير سواء فى مضمونها أو فى نتائجها ، وكان محظورا على أية سفينة انجليزية أن تطلق النار عليهم أولا • وكانت نتيجة هذا الأمر استيلاء القراصنة على عدد كبير من السفن الممتازة ذات الحمولات الضخمة بوساطة احدى الحيل اذ أنهم بنوا سفنا ذات سطح مرتفع كى تساعد على سهولة العمليات العسكرية • ومن المستحيل تقدير خسائر التجارة الانجليزية على يدهم • وكانت ذروة هذه العمليات حين قبض على عدد من القراصنة وأرسلوا الى زنجبار مقيدين بسلاسل ، ولكنهم لم يلبثوا بضعة شهور حتى اعيدوا ثانية الى رفاقهم دون أن يتكبدوا أى متاعب أكثر من تحذير رسمى عنيف •

ولا شك أن نتيجة هذه السياسة هى أن العمل بنشاط أكبر أصبح أمرا ضروريا ، وأرغمت الظروف القاسية الانجليز على مساعدة سعيد • والواقع أنهم انتظروا حتى استطاع محمد على الانتهاء من مشكلة النجدين

لصالحهم (الانجليز) • ولكن بمجرد أن رأوا طريقهم واضحا فانهم كانوا راغبين فى ترك أسلوبهم الخلقى السابق غير المربح • وكان الهجوم الحاسم على خور فاكان على سبيل المثال خال من أى نتيجة نظرا لأن قائد القوة الانجليزية فسر الأوامر الصادرة لـــه حرفيا ولم يدرك أنه اذا استطاع طرد القراصنة فان من واجباته منعهم من العودة •

ولم تكن النتيجـــة ضربة مستديمة للسلاح الانجليزى ، فان الأمر لا يتعدى مجرد ارسال حملة شاملة وحينذ تزداد الاهتمامات الانجليزية أكثر مما كان متوقعا لها ، ذلك أن الفشل الذى منى به الهجوم الأول على بنى بوعلى انما يعود الى النقص فى الاعداد التمهيدى وقد أمكن اصـــلاح ما أصاب الهيبة الانجليزية ، وللمرة الثانيـــة تقدم الانجليز خطوة أبعد مما كانوا يرغبون •

وهكذا يستطيع المرء وبعدالة أن يقول انهم أخذوا المسائل بدون اعداد كاف ، كذلك كان ينقصهم بعـــد النظر الذى كلفهم الكثير • واذا حـــدث واندمجوا فى تلك الأمور فلن يجدوا أمالهم سبيلا الى الأنسحاب ، وفى الواقع فانهم لم يظهروا أى اشارة تدل على رغبتهم ومحاولتهم الانسحاب •

وان المساعدة التى قدمت لسعيد حوالى عام ١٨٣٩ ضد محمد على قد تبدو غير وافية بالفرض ، ، ولكنه كان واحدا فقط قليل الشأن فى اللعبة • ومن خلف المناظر كان سلام أوربا بأسره فى خطر ، وان الأشخاص الذين عاشوا على مقربة من أحداث العهد النابليونى كانوا يفكرون فى تأمل فى انفجار لهيب الحرب دون تأنيب الضمير •

ومن المحتمل أن سعيدا ، ولمرة أخرى ، فكر أنه بالنظر الى احساسه الدافىء نحـــو انجلترا فانه لم يتلق سوى مساعدة طفيفة بالنسبة لمطالبته بالبحرين • ولكن لعبت بعض الاعتبارات المتشابهة دورا هنا أيضا • فقد

وقع على عاتق الانجليز مهمة المحافظة الدائمـــة لتأمين الحدود الشمالية من الهند ، وقد اكتشفوا أن بلاد فارس كانت تشكل أرضا مشتركة بينهم وبين روسيا ، وعلى طول امتداد هذه الفترة الزمنية فانهم كانوا متنبهين للضرورة التى تحتم عليهم اقامة علاقات ودية مع الفرس الى حـــد أنه عندما تمكنت هذه الدولة من احتلال بندر عباس فى عام ١٨٥٤ فانهم لم يتقدموا بأى احتجاج فعال ٠

بل انه فى موضوع احدى الجزر التى كان الفرس قد تقدموا بشأنها بادعاءات قوية ، فانهم لم يكن لديهم أقل ميل للتدخل ٠ ولكن فيما يخص العلاقات العسكرية لم يكن أمام سعيد ما يشكو منه كثيرا ٠ وهو فى الواقع تلقى مساعدة من انجلترا لتأسيس امبراطوريته فى شرق أفريقيا ٠ وحدث فى ثلاث مناسبات أن سعيدا كان يعود الى بلادة ليجد مسقط وقد أوشكت على السقوط فى يد الاعداء ما لم يتخذ المقيم الانجلزى فى بوشير الاجراء السريع بمعاونة الاسطول الانجليزى من بومباى ٠

وانه لأمر طبيعى أن نتوقع حدوث نوع من التعويض عن هذه الأمور ٠ ويرجع الفضـــل الى انجلترا فى أن أول امتياز لم يكن لمصلحـــة الانجليز الشخصية ، ولكن لخير البشرية عامة بما جاء فى نصوص معاهدة الرقيق عام ١٨٢٢ ٠ وأشرنا اليها فى فصل سابق ، ولكن الأمر الذى يجب الاعتراف به ، ولم يجد تأكيدا كافيا حتى الآن ، هـــو أنه بالرغم من أن الانجليز لم تكن تدفعهم الأنانية ، فان موقف سعيد يجب أن ينظر اليه من زاوية أخرى ، اذ كانت التجارة منبعا وافر للدخل لدى سعيد ٠ ويقول كيرزون ان دخله بلغ حوالى ٨٠ر٠٠٠ جنيه انجليزى سنويا ، وربع هذا الدخل من تجارة الرقيق قبل أن تلغى هذه التجارة بالاتفاق مع انجلترا [١] ٠

---

(١) Curzon جـ ٢ ص ٤٣٧ ٠

ولكن الأمر لم ينته بمجرد فقدان نقص فى الدخل اذ أنه لم يكن قد تم حينما حذف سعيد ربع دخله ، وقد وافق عند توقيعه على المعاهدة فى ١٨٢٢ على فقد مقدار أكبر مقابل عدم فقد قدر هام من الرضا الذى تمتع به بين الغالبية العظمى من أهالى عمان التجار الذين كانت تجارة الرقيق هى السلعة الوحيدة لتجارتهم ة وان من المستحيل أن نؤكد بدرجة كبيرة لم كانت هذه التجارة منتشرة ومربحة [١] .

ففى عام ١٨١١ بعثت شركة الهند بالكابتن توماس سمى Thomas Smee فى رحلة للاستكشاف ، وقد قرر أنه فى تلك الفترة ، فان تصدير الرقيق السنوى من زنجبار الى مسقط والهند وموريشيوس تراوح ما بين ٦ آلاف الى ١٠ آلاف من الرقيق . وقد حسب عدد الرجال الأحرار فوجد أنهم يكونون حوالى ربع عدد السكان ، وأنه لم يكن مما يثير الدهشة أن يمتلك الشخص الثرى عددا يتراوح بين ثمانمائة وتسعمائة من الرقيق [٢].

وكان من الطبيعى أن ينزعج الى حد كبير الأهالى التجار من هذا التغيير المتطرف العنيف الذى أصاب أسلوبهم فى الحياة . وعندما يستيقظ الناس فجأة ليجدوا أنفسهم وقد انتزعت منهم الوسيلة الأكثر ربحا ودخلا ، فلا يمكننا أن ندهش اذا هم اتهموا حاكمهم بالتضحية بمصالح شعبه فى مقابل الشكوك الدينية وبعض المطالب الأنانية من شعب أجنبى صاحب وجهات نظر لا يستطيعون تقديرها [٣] . وكان الموقف بطبيعة الحال أكثر تعقيدا ، اذ أن المتعصبين الدينيين فى عمان يعتبرون الغاء الرقيق عقوقا حقيقيا . فان الرق من الأمور التى أقرها القرآن فى صراحة ، كذلك كان فى الميدان سياسيون أعلنوا بصراحة أن هذا الأمر سينتهى بثورة وخراب

---

(١) Bomb Sel ص ٦٣٥ — ٨٧ (تجارة الرقيق) .

(٢) Guillain جـ ٢ ص ٥١ .

(٣) Guillain جـ ٢ ص ٢٥٥ .

لسعيد يتعذر علاجه • ولكن لم تتحقق تكهناتهم ويعود الفضل فى ذلك الى الحقيقة بأن التجارة لم تستأصل تماما عن طريق المعاهدة ، ويعود كذلك الى مكانة الحاكم وقبول الجمهور لـــه [١] •

ولا يمكن الشك فى أن التجـــارة استمرت ، ويستطيع المرء القـــول باطمئنان ان القانون الذى يحتاج الى اعادة المصادقة عليه انما هـــو قانون جامد يمكن التهرب منه • وقد أعيد التصديق على هذه المعاهدة الخاصـــة بالرقيق وتشريعها بشكل أو بآخر فى أعوام ١٨٣٩ ، ١٨٤٤ ، ١٨٧٣ • وان معاهدة ١٨٣٩ لم يكن لها دخل بالموضوع ولا بذلك السؤال •

وعندما توجت الملكة فيكتوريا أرسل سعيد الى لندن بعثة للتهنئة حملت معها هدايا ذات قيمة عالية [٢] • وأصبحت عودة البعثة مناسبة ذات أثر عملى فقد أشيع أن الكابتن كوجان سيرسل للتفاوض حول معاهدة تجارية ، وقد وقعت فى ٣١ مايو ١٨٣٩ وصدق عليها فى ٢٠ يوليو من العام التالى [٣] • وأعادت المـــادة ١٥ من المعاهدة تشريع معاهدة الرق عام ١٨٢٢ ، ولم تقل المواد الأخرى عن تلك المـــادة فى الأهميـــة اذ أنها تبيح معاملة خاصـــة لهم • وبين مواد المعاهدة ما يلى :

١ — ان التجار الانجليز والعرب فى الدولتين المتعاقدتين لهم الحق فى التمتع بأقصى درجات المعاملة المفضلة •

---

(١) Guillain ج ٢ ص ٢٥٥ •

(٢) فيما يتعلق بالهدايا التى تلقتها الملكة عام ١٨٤٢ انظر Queen Victorie ج ١ ص ٤٠٦ • وفى المقابل فان لورد ابردين عبر لسعيد عن الرغبة الشديدة لحكومة جلالة الملكة بالا يؤخذ اى رقيق من افريقيا الى بلاد العـــرب أو الى البحر الأحمر • انظر Lyne ص ٤٠ •

(٣) Rep. حـ ٢ ص ٢٠١ • لمراجعة نص Guillain ٨٤/١٨٨٣ ص ٣٢ ، ص ٢١٣ ، Treaties المعاهدة انظر Bomb Sel ص ٢٥٠ •

٢ — فتح الباب أمام كل من الجانبين لتعيين قناصل . (وتحت هذا البند أرسل كابتن هامرتون الى زنجبار عام ١٨٤١ ، وأصبح — كما رأينا من قبل — المستشار الخاص المقرب لسعيد) .

٣ — للرعايا الانجليز الحق فى الاحتفاظ بالأرض والمساكن فى ممتلكات سعيد وأن هذه المنازل ومنازل من يخدمونهم لا تتعرض للتفتيش إلا بعد الحصول على إذن من القنصل .

٤ — ان خدم الرعايا البريطانيين فى ممتلكات سعيد لهم الحق فى أن يتمتعوا بالحصانة ضد القبض عليهم مع سادتهم . ولكنهم اذا عدوا أنفسهم عرضة للقانون العربى فان سادتهم يعزلونهم ثم يحاكمون أمام محكمة عربية .

٥ — ان مكوس السلع المستوردة الى أملاك سعيد يجب ألا تزيد عن ٥٪ مع وضع نص خاص بالسلع الواردة ويعاد تصديرها أو تعود بدون بيع .

٦ — فى حالة حدوث نزاع تجارى بين الانجليز والعمانيين ، فان القضية تنظر أمام محاكم سعيد اذا كان الشاكى انجليزيا ، وأمام المحاكم الانجليزية اذا كان الشاكى عربيا .

٧ — فى حالة وفاة أحد الرعايا الانجليز فى أملاك سعيد فان ممتلكات المتوفى الخاصة تسلم للقنصل الانجليزى .

٨ — ممتلكات أحد الرعايا الانجليز المفلسين تقسم بين الدائنين عن طريق القنصل الانجليزى .

٩ — حينما يكون أحد الرعايا الانجليز مدينا أو دائنا ، فان سعيد أو القنصل البريطانى يقدمان كل التسهيلات فى سبيل استعادة الديون •

وقد رؤى أنه من المناسب وضع المواد الخاصة بهذه المعاهدة فى شكل تفصيلى لكى يظهر بوضوح الى أى حد وصلت العلاقات التجارية من حيث الوجود ، وكيف تبدو هذه العلاقات بين الشعبين • وان مجرد تنصيب قنصل أمر كان لتنشيط التجارة الرائجة ، وقد أمنت حالة التجار فى البلاد الأجنبية وسهلت عليهم الحصول على العدالة ؛ ومن ثم تدفق الهنود على زنجبار و « حيثما يذهب الهنود تتبعهم التجارة » [١] •

وبعد ست سنوات وقعت اتفاقية أخرى ضد الرق ، وهى علامة على وصول رجاحة عقل سعيد الى ذروتها مع التضحية بالذات • وكانت معاهدة ١٨٢٢ قد أثارت قدرا كبيرا من الضيق ، ولكن بالمقارنة نجد أن خسائرها المالية ضئيلة ، بالاشارة الى ما سيأتى من بعد • فقد تركت شرق أفريقيا دون أن يأتى ذكره ، وكانت هذه المنطقة هى المركز الأكبر للتجارة •

وعملت معاهدة ١٨٣٩ على زيادة طفيفة لإحكام التجارة ، وأكملت معاهدة ١٨٤٥ العملية بأسرها ، وكان الهدف منها العمل على القضاء على تلك التجارة تماما [٢] ، ولاشك فى أنها كانت تتخذ طابع الضرورة السياسية • ولم يلبث الفرنسيون عن طريق معاهدتهم عام ١٨٤٤ وبوساطة ستار من المناعة السياسية أن تغطى هذه المعاهدة خدمهم مثلهم كمثل الفرنسيين أنفسهم ، وهكذا تحولت تلك التجارة الى احتكار فرنسى سواء برضائهم أو بدونه ، وليس صحيحا القول بأنه تحت كل علم فرنسى يكمن أحد تجار

---

(١) Lyne ص ٣٤ •

(٢) Guillain جـ ٢ ص ٥٤ •

الرقيق ، ولكن كان من بين الامتيازات أن كل تاجر رقيق يعد أحمقا اذا لم يتستر تحت العلم الفرنسى ، وهكذا ازدهرت التجارة .

ولم يكن تضييق معاهدة ١٨٤٥ كاف بكبح جماح تلك التجارة . وبهذه المعاهدة ربط سعيد نفسه بأقسى الشروط الجزائية حتى يمنع تصدير الرقيق من أملاكه الأفريقية . وقد أخذ على عاتقه كذلك العمل على منع توريد الرقيق الافريقى الأصل الى ممتلكاته الآسيوية ، وأن يستخدم نفوذه بين كل رؤساء بلاد العرب حتى يقتدوا به . وقد اتفق على منح السفن الحربية الانجليزية حق تفتيش ومصادرة كل السفن سواء أكانت من ممتلكات (سعيد) أو من ممتلكات أحد رعاياه ، التى تستخدم فى تجارة الرقيق مع استثناء واحد يتعلق بهؤلاء الملتزمين بنقل الرقيق بين ممتلكاته الافريقية أى بين خطى عرض ٥٧َر١° ، ٢ًر٩° .

وقد وقعت هذه المعاهدة فى ٢ أكتوبر ١٨٤٥ وأصبحت نافذة المفعول من أول يناير ١٨٤٧ (١) . وعلى أية حال فانها لا تمثل نهاية القصة . اذ أن قانونا انجليزيا صدر فى ١٨ أغسطس ١٨٤٨ (٢) حاملا معه النتائج التالية :

١ — جميع السفن التى تؤسر تباع ويعطى دخلها للذين أسروها ، وتقوم الحكومة الانجليزية بدفع ٥ جنيهات استرلينية مقابل انعتاق أى من الأرقاء ، وتدفع ٣٠ بنسا عن كل طن من المسلع المحطمة .

٢ — اذا قبض على سفينة وليس على ظهرها رقيق ولكنها كانت مدانة أمام محكمة فان الحكومة الانجليزية تدفع ٤ جنيهات عن كل طن .

---

(١) انظر النص الكامل للمعاهدة ص ١٠٨ Treaties ، ص ٢٢١ Ferouz ، Bomb Sel ص ٦٦٠ .

(٢) Ferouz ص ١٠٩ .

٣ — على الناحية الأخرى اذا قبض على سفينة ليس عليها رقيق وكانت المحكمة قد برأتها ، فان الحكومة الانجليزية تدفع تعويضا يتفق عليه مع صاحبها وأن تحتفظ لنفسها بحق مقاضاة الضباط الانجليز إيفاء للتعويض •

ولا توجد ضرورة للمعالجة التفصيلية المفرطة لتأثير كل من المعاهدة والقانون • وليس هناك سوى الاعجاب بشعب مخلص قلبيا فى شكوكه الدينية وكيف أنه يرغب فى الدفاع عنها وهم ذوو اتزان فى حماسهم مع الاحتفاظ لأنفسهم بحق معاقبة الحماس المفرط لدى خدمهم • أما بخصوص سعيد الذى « دفع لصاحب المزمار ولم يهتم بالنغم » ، فانه بعد أن ضحى بدخل سنوى يقدر بآلاف الجنيهات وتنازل عن تعويض زهيد يبلغ ٢٠٠٠ جنيها استرلينيا فى العام ولمدة ثلاثة أعوام [١] طبقا لمعاهدة ١٨٢٢ ، فان كل ما يمكن قوله هو أنه شارك فى الفضل مع دافع الضريب الانجليزى ، اذ أن الطرف الأول قدر قيمة الموقف كلية وخاطر وحافظ على كلمته ، بينما الطرف الثانى لم يكن لديه سوى ادراك بسيط عن المسألة بصفة عامة ولكنه كان يتفهم الوضع الانسانى وفق ما تحتويه جيوبهم من تمويل لتدبير لا يعود عليهم بأى عائد مادى وعائد ضئيل من الافتخار •

ويمكن اعتبار سعيد صديقا حميما وفيا للانجليز ، وهذا أمر أصبح واضحا وضوحا تاما • وكان ذلك فى الواقع أمرا يتباهى به بحرية وبدرجة كبيرة ، ولم يحدث لمسافر انجليزى مهما بلغ شأنه من الصغر أن يمر فى أملاك سعيد دون أن يتلقى قدرا من الشعور الطيب تجاه الانجليز [٢] •

---

(١) Bwton حـ ٢ ص ٢٩٣ .
(٢) الملاحق . ملحق ١ .

وقد وفد الكابتن هارت الذى أرسل الى سعيد فى وقت كان يتفاوض فيه مع الأمريكيين مما دعا الى الاعتقاد بامكانية عقد تحالف معهم • فيقول هارت « انه كان دائما يعد الانجليز أفضل أصدقائه وأنه كان يسر حينما يراهم فى أى وقت ومع كل قدراته فى التعبير عن كل عناية ممكنة » [١] • كذلك كتب كيبل فى وقت مبكر عام ١٨٢٧ يقول « انه كان يكرر عدة مرات أنه والانجليز شيء واحد وأن بيته وسفنه وكل ما يملك لنا » [٢] •

وعمل سعيد على اثبات كرمه البالغ فى كثير من الحالات ، ففى عام ١٨٣٣ قدم سفينته ليفربول وبها ٧٤ مدفعا هدية منه الى الحكومة الانجليزية وقرر أنها فى حالة طيبة ولكنها أكبر حجما من أن تخدم فى مسقط [٣] • وفى عام ١٨٣٥ أبحر بها كابتن كوجان باعتبارها هدية شخصية للملك وليم الرابع وكان معها كذلك عدد من الخيول من أنقى الفصائل العربية [٤] • وتغير اسم السفينة فى انجلترا الى « امام » تحية للواهب [٥] •

وفى مقابل السفينة أرسل له اليخت برنس ريجنت هدية اعتبرهـا بيرتون أقل قيمة من ليفربول بالرغم من الحقيقة بأنه يعد من أفضل قطع الأسطول البحرى الملكى • ويحتمل فى هذا المجال أن سعيد لم يعامل معاملة سيئة ، ولكن بوجه عام يمكن القول انه أخذ بشكل ما أكثر مما أعطى • ومن المحال الابتعاد عن النتيجة التى وصل اليها بيرتون من أن « صداقته

---

(١) Bomb. Sel ص ٢٧٥ .
(٢) Keppel ص ١٣ .
(٣) Bomb Sel ص ٢٧٦ .
(٤) Low جـ ٢ ص ١٥ .
(٥) Buscheuberger جـ ١ ص ١٤ ، Bomb. Sel ص ٢٧٦ .

معنا كلفته الشىء الكثير » [١] . وفى مجال توضيح هذا الأمر فمن الجدير بالملاحظة أنه عندما تقارب الانجليز مع سعيد فى عام ١٨٥٤ بقصد احتلال جزر كوريا موريا (أمام ساحل عمان الجنوبى) وعليها رواسب قيمة من سماد بقايا الطيور رفض سعيد أى فكرة عن الشراء وصمم على نقلها باعتبارها هدية [٢] .

الولايات المتحـــدة الأمريكية

كانت الزيارة الرسمية لمسقط التى قامت بها سفينة حربية صغيرة تدعى بيكوك خلال فصـــل الخريف من عام ١٨٣٣ حاملة مســـتر ادموند روبرتس مفوضا للتباحث حول العمل على زيادة التسهيلات للتجـــارة بين الولايات المتحدة وأملاك سعيد العربية وفى شرق أفريقيا ، كان هذا الحدث يستحق الذكر فى حياة سعيد ، اذ أنه أكد له الأهمية النامية لمسقط وزنجبار كمراكز للتجارة لا تستطيع الاستمرار فى الخفاء بالنسبة للعالم الجديد [٣] .

وكانت القاعدة السائدة أ نمخازن المكوس كانت فى أيدى الهنود ، ولم ينتج عن هذا الأمر أية شكوى ضد الانجليز ، فقد مال الى استخدام مواطنى شعوب أخرى فى الأعمال التافهة [٤] ، ووجد الأمريكيون أن سعيد

---

(١) Burton حـ ١ ص ٢٠٣ .

(٢) لمراجعة النص كاملا ، (٤ ايوليو ١٨٥٤) انظر Treaties ص ٢٢٤ ؛ Badger ص ١٦ . وكانت المفاوضات مع ســـعيد كانت بقيـــادة فريمانتل ومستر جون أورد من شركة أورد وهندسون وهايس فى ليفربول . وقدرت كمية سماد الطيور فىأ جزاء ما بين قد واحد الى ستة أقدام سمكا وقدرت الكمية كلها بـــ ٢٠٠ الف طن . ويحتوى سماد الطيور على ٧٠٪ من الفسفور وواحد من النوشادر وبعض المواد الأخرى . انظر Transactions Bomb. Sel. Geog. Soc ١٨٥٨ — ١٨٦٠ ص ١٣ .

(٣) Miles ص ٣٣٤ ، Guillain حـ ٢ ص ١٩٧ .

(٤) .Rep ١٨٨٣/٨٤ ص ٣٠ .

مستعد تماما للاتفاق مع رغباتهم • ولم يكن الأمـــر متعلقا بكبريائه التى خدشت بالاشارة الى أنه يدخل فى اتفاقيات مع شعوب متحضرة ، وكذلك فان خططه التجارية أيضا بدأت تؤتى أكلها بوضوح •

وقد وقعت فى مسقط اتفاقية صداقة وتجارة فى ٢١ سبتمبر ١٨٣٣ وصدق عليها رئيس الجمهورية ومجلس الشيوخ الأمريكى فى ٣٠ يونيه ١٨٣٤ وتبودلت وثائق الاتفاقية فى خلال بعثة أخرى قام بها مستر روبرتس فى أكتوبر ١٨٣٥ • وقد رسمت هذه الاتفاقية نموذجا للمعاهدات مع انجلترا وفرنسا اللتين كان عليهما أن ينسحبا من الآن » [١] •

ونصت البنود الأساسية على منح الأمريكيين الحرية فى البيع دون أى تدخل فيما يخص الأسعار ، وأن عليهم دفـــع ٥٪ على الشحنات التى تهبط الى البر ، ولا ينطبق ذلك على السلع التى لم تباع وأعيد تصديرها ، وأن السفن العمانيةالذاهبة الى موانى الولايات المتحدة تتلقى معاملة الشعب الأكثر حظوة ، وأن يصبح للولايات المتحدة القوة لتعيين القناصل فى شرق أفريقيـــا [٢] •

وأضيف بند آخر فى مسودة الاتفاقية ينص على اجراء خصم على تكاليف وقاية بحارة السفن الأمريكية واعادة حطامها الى أرض الوطن • وكانت النتيجة أن أصبح هذا البند غير ضرورى اذ أن سعيد سواء بدافع

---

(١) Ruschenberger جـ ١ ص ٨ ، ١٤٦ ، ١٥٥ .

(٢) النص الكامل للمعاهدة انظر Bomb. Sel - Treaties ص ٢٦٢ ، Ruschenbegr جـ ١ ص ١٥١ ، Journal A.O.S. ص ٣٥٣ .

الكرم الطبيعى أو رغبة منه فى التفاخر بموارده التى لا حد لها فانه صمم على تغيير البند الخامس وقد أوفى بنفسه كل تكلفة [١] .

وكانت هذه الاجراءات لمجرد الاحتفاظ بالأسلوب الذى اتبعه فى معاملة الزوار الأمريكيين . وهناك تقرير معاصر يمتدح كرمه بصوت مرتفع . فقد وجدت السفينة بيكوك صعوبة فى استخدام مسقط ميناء لها فاضطرت الى التخلص من قدر كبير من حمولتها وبعض مدافعها ، فأسرع سعيد بانقاذها من البحر واعادتها ، هذا الى جانب تخصيص منزل لاستقبال البعثة وقد قام بكل ما يستطيع لمحاولة التأثير عليهم بشعوره بالصداقة والأهمية [٢] .

بل لقد وصل به الأمر الى أن يقدم للأمريكيين موافقته لاقامة مصانع فى أى مكان يرغبونه شريطة أن يمدوه بمساعدة عسكرية فى شرق أفريقيا . ويبدو أن البعثة الأمريكية لم ترحب بذلك العرض ولكن مجرد صدور أى اشارة الى ذلك كان كافيا لتحذير بومباى ، وكان الكابتن هارت فى زمن مبكر أى عام ١٨٣٤ قد وصل الى زنجبار على السفينة الملكية ايموجين . وقد وفق المبعوث فى مهمته ، وذلك لأن آخر عروض سعيد للأمريكيين قد اسقطت وقبل التفاوض مع انجلترا لعقد معاهدة مماثلة [٣] .

ويبدو أن العلاقات بين الولايات المتحدة وشرق أفريقيا لم تبدأ قبل ١٨٣٠ [٤] ، ولكن احدى السفن التجارية الأمريكية وهى اسكس ، تحت إمرة كابتن اورم ظهرت فى البحر الأحمر تجاه جزيرة كرمان فى وقت مبكر

---

(١) Roberts ص ٣٦٠ .

(٢) Ruschenberger حـ ١ ص ٩٩ .

(٣) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٣٠ .

(٤) Grandidrier (ص ٣٣) يقرر أن أول سفينة من الولايات المتحدة وصلت الى زنجبار فى عام ١٨٣٠ .

أى عام ١٨٠٥ [١] . وقد وقعت هـذه السفينة فى الأسر على يـد زعيم القراصنة الشهير والتاجر الفاحش الثراء سيد محمد عقل من مخا . وقد ذبح جميع البحارة ماعدا صبيا فى العاشرة من عمره ، واستولى محمد عقل على مقاطعة ظفار عام ١٨٠٦ .

أما كروتندن ، الذى سافر الى المنطقة بعد حوالى ٣٠ عاما [٢] ، فانه يقول ان هذا الأمريكى اعتنق الدين الاسلامى وأقام مع زوجته وأسرته فى قرية صلالة .

وفى أثناء وصول كابتن هارت الى زنجبار فان الأمريكيين كانوا قد أقاموا نظاما احتكاريا عمليا ، وقد داخلتهم الغيرة الشديدة على مركزهم . ويقرر هارت انه بين يناير ١٨٣٣ ويناير ١٨٣٤ وصلت الى ميناء زنجبار ثلاث عشرة سفينة كان من بينها على الأقل تسع سفن أمريكية [٣] .

وظهر فى تلك الأثناء مركبان شراعيان لصيد الحيتان احداهما من أولد سالم والأخرى من نيويورك . وفى تلك الحقبة من الزمن كان صيد الحيتان تجارة مربحة بين زنجبار وبمبا ، وكانت زنجبار محطة مناسبة للحصول على مأكولات ومشروبات منعشة ، وكانت السلع الرئيسية المتبقية هى الصمغ البللورى والعاج .

ولكن يمكن استنتاج — دون تعد على الحقائق — أنه كانت هناك تجارة

---

(١) سفن القراصنة التى أعدت عند نيويورك ظهرت فى البحار الشرقية فى أثناء القرن الثامن عشر . راجع Wilson ص ١٩٤ .

(٢) Transactions of the Bombay Geozraphical Society from 1836-1838.

(٣) Bomb Sel. ص ٢٨٠ ، Ruschenberger حـ ١ ص ٦٦ الذى يؤكد انه بين ١٦ سبتمبر ١٨٣٢ حتى ٢١ مايو ١٨٣٤ قامت ٤١ سفينة أجنبية بزيارة لزنجبار من بينها ٣٢ سفينة أمريكية ، ويقدر سالم العدد بعشرين سفينة .

سوداء على درجة كبيرة من الجاذبية لدى أهالى قارة ذات جوع انسانى مثلما كان عليه الحال فى أمريكا حينذاك [١] .

وحتى فى أمريكا لم يكن يوجد سوى بيت أو بيتين للتجارة السرية مع شرق أفريقيا . وقد تجمعت غالبية (التجار) فى أولد سالم بولاية ماساشوستس . ومن الميزات التى تمت أنه عندما أرسل سعيد — عن طريق أحد قباطنة سفينة من سفن أولد سالم — دعوة عامة لجميع تجار أمريكا ، فان أصحاب تلك التجارة قاوموا ذلك وصرحوا بأنهم « اذا سمحنا بنشر ذلك الأمر علينا فان كل شخص سيعرف المكان وبذلك نفقد تجارتنا » [٢] .

وكانت هذه التجارة فى الواقع احتكارا خشى تجار أولد سـالم من فقدانها . وأصبح هناك على الأقل ست قنصليات أمريكية فى زنجبار جميعها من أولد سالم . وبدأت تجارة سالم مع زنجبار عام ١٨٢٦ وآخر شخص غادرها فى عام ١٨٩١ . وليس هناك ما يثير الدهشة اذا شاهدنا الصـورة الوحيدة لسعيد [٣] من بين مقتنيات متحف بيبودى فى سالم . ويبدو أن هذه الصورة تم عملها خفية لأن سعيد كان يتملكه كل الخوف الاسلامى من التصوير على أساس أن جزءا من جوهر الروح للشخص ينتقل الى الصورة طبق الأصل [٤] .

---

(١) Grandidier ص ٣٣ .

(٢) Bomb. Sel ص ٢٨١ ، Lyne ص ٣٣ .

(٣) الرسم الموجود فى صفحة الغلاف الداخلى لهذا الكتاب انما هو صورة طبق الأصل ويحتمل أنها تمت بين مايو ١٨٣٠ وبداية عام ١٨٣٢ عندما كان سعيد فى مقر اقامته فى عمان . والذى رسمها الضابط هنرى بلوس لينش وكان قد اشترك فى حملة الفرات وعين فى ديسمبر ١٨٢٩ مترجما للعربية والفارسية لقائد الفرقة فى الخليج الفارسى ، انظر Low حـ ٢ ص ٣٣ .

(٤) Guillain حـ ٣ ص ١٠٧ ، Burton حـ ١ ص ٣٠٦ ، Pearce ص ١٢٩ .

وفى مقابل العــاج والصــمغ والجلود التى كان يحملها التجــار الأمريكيون فانهم عملوا على نشر سلعهم القطنية على القارة كلها [١] ، وأسسوا من صناعة نسج القطن احتكارا فعالا • وكانت أنسجتهم تبدو أكثر متانة مع دوامها الزمنى فترة أطول ، وقد تحققوا وهم فى حالة غضب ظاهر أن الانجليز يحاولون سلب تجارتهم بتزوير الخاتم الأمريكى على بعض الســلع [٢] •

وان شهادة أحد المسافرين المعاصرين حول هذه المسألة تلقى ضــوءا فيقول « ان أعظم منافسينا الكبار هم الأمريكيون الذين أقحموا أنفسهم منذ وقت قريب فى هذه التجارة ، وهم الآن يقومون بتخزين سلعهم على الساحل الشرقى لافريقيا ، ومن هذه البقاع يجدون طريقهم الى مسقط وبلاد الفرس • وحتى الآن فانهم يرسلون السلع البيضاء وأذاعوا فكرة رددها أمامى تجار أمريكيون فى أصفهان بأن نسيجهم أفضل من نســيج الانجليز اذ أن القطن يزرع فى بلادهم ولا تحدث له أية تشوهات نتيجة ضغطه • وهناك رأى سائد بأنه « غسيل ولبس جيد » • بل ان هذا النوع من الأقمشة اذا استورد بثمن أعلى مما هو عليه ، فانه سيجد سوقا نافقة كما يؤكد بذلك التجار » •

وبينما كان بيرتون فى أحد أسفاره بين عامى ١٨٥٧ ، ١٨٥٩ فانه وجد سلعا من القطن الأمريكى مثل أغطية الأسرة من مصانع بالقرب من سالم (بأمريكا) منتشرة انتشارا واسعا فى وسط أفريقيا [٣] •

على أية حال ، يبدو أنه كانت هناك تجارة فى أنواع أخرى مرتبطة

---

(١) Burton حـ ١ ص ٢٥٩ •
(٢) Ruschenbeegen حـ ١ ص ٦٥ •
(٣) Barton ص ٤٢٢ •

بالعلاقات بين البلدين اذ أنه عندما زار الكولونيل مايلز البريمى عام ١٨٧٥ وجد القلعة وتحميها مدافع تشكل جزءا من الكمية التى اشتراها سعيد من الولايات المتحدة من أجل سفينته السلطان [١] .

* * *

بسم الله ، آمين [٢]

« الى رفيع الشأن العظيم اندرو جاكسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الذى يضىء اسمه فى جلال على جميع أرجاء العالم . فاننى أرجو بكل اخلاص أنه عندما يصل هذا الخطاب يجد صاحب الفخامة رئيس الولايات المتحدة فى صحة تامة ، وأن سعادته فى تقدم مستمر ، ففى يوم موفق ، وفى ساعة هنيئة تشرفت باستلام رسالة فخامتكم ، وكل كلمة منها واضحة جلية كما الشمس وقت الظهيرة ، وكل حرف يتألق فى بهاء كما النجوم فى السماوات . وان خطاب فخامتكم قد وصلنا عن طريق ممثلكم العالى الشرف والمخلص السفير ادموند روبرتس الذى جعلنى سعيدا للغاية بشرح الهدف من وراء بعثته ، وقد استجبت بكل احترام لرغبات سفيركم المحترم للبت فى شأن توقيع معاهدة صداقة وتجارة بين بلدينا والتى سوف أتولى رعايتها باخلاص وخلفائى من بعدى ما بقى العالم . ولتعتمد فخامتكم على أن جميع السفن الأمريكية التى تلجأ الى موانينا داخل ممتلكاتنا لن تجد أى اختلاف من جهة المعاملة الطيبة بين بلدنا وبلدكم الحسنة الحظ والسعيدة للغاية حيث يفيض الهناء .. واننى آمل وبحماس أن يعدنى صاحب الفخامة الرئيس صديقه الدائم الثابت الحقيقى ، واننى سأضع رئيس الولايات المتحدة على الدوام فى مكانة عزيزة بالقرب من

---

(١) Miles - Sohar ص ٥٥ .

(٢) هذه ترجمة خطاب مرسل من سلطان مسقط الى رئيس الولايات المتحدة الامريكية . انظر Roberts ص ٤٣٠ .

قلبى • وان صداقتى لن تعرف قط أى نقصان ، بل سوف تستمر وتزداد حتى نهاية العالم • واننى أعرض بكل اخلاص وصدق لفخامة الرئيس خدماتى الكاملة المخلصة لكى ننفذ أى رغبة للرئيس فى داخل ممتلكاتنا أو فى أى ميناء أو مكان حيثما يكون لى أقل نفوذ » •

من صديقكم العزيز

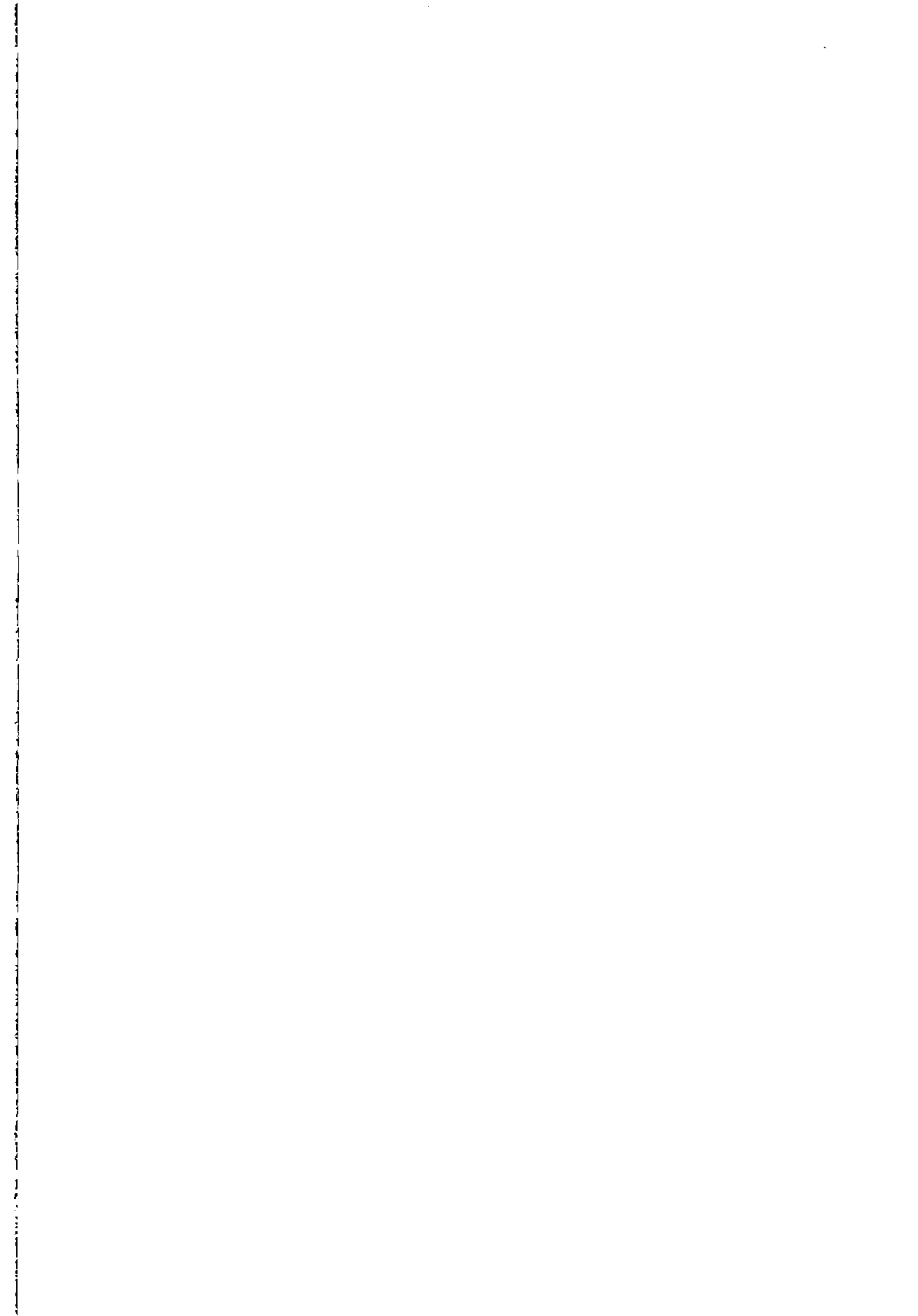
سعيد بن سلطان

كتب فى يوم ٢٢ جمادى الأول عام ١٢٤٩ هـ (الموافق ٧ أكتوبر عام ١٨٣٣ م) فى القصر الملكى بمدينة مسقط •

وكان على الخطاب أن يحمل عنوانا يدل على أنه قـدم الى صاحب الفخامة اندرو جاكسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الذى يتلألأ اسمه بهاء فى كل مكان (١) •

---

(١) كان سعيد متشوقا جدا بهذه المناسبة لارسال مجموعة من خيوله لرئيس الولايات المتحدة الامريكية ، ولكن لم تسمح الظروف اذ لم تكن السفينة بالحجم الذى يسمح بحمل الخيول . انظر Roberts ص ٣٥٩ .



الفصل السادس

شخصية ســعيد وخلقه

ان الصعوبة فى الحكم على جيل بمعايير جيل آخر ، أو الحكم على الشرق بمعايير الغرب ، انما هى معايير يمكن ادراكها مؤكدة الحاجة الى القيام بعملية تنقية اضافية • وعلى أية حال فانها تقدم خدمة صغيرة فى موضوعنا لكى نرى أنها ضرورية لتقديم العذر لسعيد فى تناول شخصيته أو حياته •

وان من الأمور المسلم بها بأنه بالنظر الى الحكم القائم على معايير أى شعب والعصر والدين ، فان حكم سعيد يقف شامخا ، لا باعتباره من طراز الفارس المغوار ، ولكنه على أى حال كان من طراز رجل المال [1] الذكى والسياسى الشريف المحب لوطنه • وقد يفكر البعض أن تحــديد سجاياه بالنسبة لهذه الخصائص انما معناه أننا نضع شيئا من الطعن فى خلقه ، ويذكر ضمنيا أنها تمثل حدوده ، فهذه كلها أمور ليست هى القضية الحقيقيــة •

ولا يستطيع أحد الآن انكار الرأى القائل بأنه لكى نتعرف على أخلاق شخص ما ، فعلينا أن نحلل الطبيعة والوراثة والظروف المحيطة به •

وهكذا نبدأ بنسب سعيد ، وقد سبق الحديث عن أن البوسعيد ظهروا فجأة فى عمان ، وان أى أسرة حاكمة عادية لا تأمن لنفسها بين العرب حيث

---

(1) Gobineau ص ٩١ •

أن القاعدة المتبعة فى تولى الرئاسة تعتمد عادة على اعتبار أن الشخص الذى يتولى انما هو أقدر الأشخاص على الحفاظ على مركزه [١] ، مع أنه يوجد عدد من الأسر لها ادعاءات مشابهة ومساوية للوصول الى السلطة ، كذلك هناك الأسرة الحاكمة السابقة والتى لاتزال تنمو طولا وعرضا فى البلاد • وحيث يستطيع الرئيس الجديد القضاء على ولاية أشخاص ضعفاء ، بل وكذلك على المنافسين الطموحين الذين يمتلكون امكانيات متساوية •

ويمكننا بوضـــوح ملاحظـــة أن القـــوة الكبيرة أو المتطرفين الذين لا يقيمون وزنا للمبادىء ، انما هذه كلها من مستلزمات الاحتفاظ بالاستقرار • حقا ان سعيد ينتمى الى سلالة ملكية ، ولكنها بسيطة المنبت احتفظ الأهالى بها فى ذاكرتهم • وان المؤسس لهذه السلالة ، فى الواقع ، أحمد بن سعيد كان شخصا ذا قوة أخلاقية غير عادية وعزيمة خارقة •

وبذلك تبدو الأمور واضحة فانه اذا لم يكن كذلك لمـــا أصبح هو المؤسس لهذه الأسرة • ولكنه كان سىء الحظ اذ ترك لخلافته ابنه الضعيف سعيد الذى كان يمتلك ظاهريا من القوة ما منحته إياه الامامية ، وابن آخر قوى الشكيمة ، يمتلك قوة حقيقية أينما يصل سيفه الى مبتغاه • ولم ينادى بسلطان بن أحمد اماما بتاتا • وعلى الرغم من أنه حافظ على وجوده بقوة يده ، فلا يوجد أقل شك أن مكانته قد تسببت فى هواجس كثيرة لدى الرعايا الذين يغلب عليهم التدين • وبالاضافة الى ذلك فانه استمر يحكم أربع سنوات دون أن يحدث نزاع على السلطة •• وترك خلفه ولدين فى ريعان الصبا وابن أخ جشع •

---

(١) Newman ص ٥٦ « قانون الحـــد الصارم » ، .Rep ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٠ ، « ان أطول السيوف يختار الأمير » ، Burton ص ٣١٠ : « ان فتح على شاه الفارسى عندما طلب منه وهـــو على فراش الموت ان يعين خليفة لـــه ، استل سيفا وأبدى كيفية قيام الملكيات وكيفية اختفائها » .

وليست هناك حاجة للدفاع عن الاجراء الذى اتخذه سعيد لازاحة بدر • فهو لم يفعل شيئا سوى أنه ضرب أولا ، ولم يكن هناك أدنى شك حول نوايا بدر ، ولكن سعيد وأخاه سالم اعترضا طريقه • وكان من المحتمل أن يبقى سالم حيا ، اذ أنه كان شخصا يسهل التعامل معه ، ولم يكن سببا فى احداث أى اضطراب ، بينما لم يخطر ببال أحد أية أوهام حول قوة العزيمة التى تتميز بها أخلاق سعيد حتى وهو فى مقتبل العمر • ولم يكن هناك مفر لأى غاصب أن يسمح بالحياة لمثل هذا المنافس • وقد قدم التاريخ فرصة لسعيد لاختيار أحد دورين هما : اما « القائل الأول » ، أو « الضحية الأولى » • وان من الصعوبة بمكان القاء اللوم عليه لاتخاذه قرارا لا يمكن تفاديه عمليا •

ولكن الاضطرابات التى واجهت سعيد لم تنته بتأمينه تولى الحكم لنفسه ، ولم يكن مصدرها القبائل المتمردة من أهالى الدولة فحسب — علما بأنها حال لم تكن ضئيلة — بل كان عليه فى نفس الوقت أن يعمل على مواجهة الغزوات التى يقوم بها المتعصبون الدينيون الأقوياء المثابرون والذين كان على العالم الاسلامى أن يتعامل معهم • وكذلك كان عليه أن يفصل بقع الوباء ، التى أقامها فى ممتلكاته ، القراصنة الذين كانوا ينهبون تجارته • وكان الفشل فى أى من هذين العملين يصيبه بضربة مميتة •

وعلى الرغم من ذلك كان من الصعب معرفة مقدار قوته وهل هى من الكفاية بحيث تستطيع مكافحتهم ، وكان رعاياه الذين يحكمهم رجال تجارة ، ولم يكونوا رجال حرب بتاتا ، بينما الأعداء الذين يتعامل معهم كانوا رجال حرب بحكم أصلهم وحرفتهم • وليس هناك أى مثال مثير للشفقة لصبى يمسك بيده سيفا من الرصاص وهو يحاول صد الغزو •

وتراكمت العراقيل لتحيط به من كل جانب ، وأصبح الأمر كله أشبه بدائرة شريرة ، ولا يستطيع الفرد محاربة الكتائب المنظمة بجيوش من

المرتزقة فحسب ، وفى الوقت نفسه فانك اذا لم تقدم على ذلك فانك تفقدهم أيضا • ووجد سعيد نفسه مدفوعا للقيام بمغامرة لتطهير الدولة من القواسم ، ومع ذلك فبالرغم من أنه ورجال قبيلته كانوا على قدر من الشجاعة ، فان السمعة العامة عن المحارب العمانى لم تكن موضع حسد •

ولكن ليس هناك أدنى شك فيما يختص بشجاعته الشخصية ، وحتى اذا لم تكن هناك شواهد أخرى على ذلك فان ما فعله لانقاذ أحد الجنود الانجليز [١] المصابين دون اهتمام أو التفات الى بنى بو على ، وكذلك الزيارة المثيرة للدهشة التى قام بها الى مطلق المطيرى [٢] دون أن يصحبه أحد فى بلاد يحدق بها النجديون ، لكى يتحادث مع عدو حقود لا يصفح ، ويحتمل أن يتمسك بوجهة نظره دون الوقوع فى مخاطرة كبيرة من التناقض بأن جميع تصرفاته السياسية تشهد بأنه صاحب قرار يعرف عقليته بنفسه ، وأنه على استعداد للقيام بالعديد من المخاطر لكى يحقق أهدافه التى كان يتخيلها •

وقد زعم البعض أن الظروف خدمت سعيد كثيرا ، وربما كان هذا أسلوبا آخر للقول بأنه نادرا ما كسب نصرا عسكريا كاملا • وقد يرى البعض أن الانتصارات العسكرية ليست هى النهاية ، بل هى وسيلة ، وأنه اذا وضع سعيد موضع المحاكمة ، على هذه القاعدة ، سنجده قد فشل فى حملات قليلة بينما كسب فى معارك قليلة وبدرجة أقل من أى حاكم كتب له سجل أعمال ، ولا يمكن انكار أنه نادرا ما حصل على نجاح عسكرى ، ولكننا اذا أضفنا الانجازات التى قام بها سنجدها وافرة تستحق الاعتبار •

---

(١) Low جـ ١ ص ٣٧٣ ، Badger ص ٣٤١ ، Rep. ٨٤/١٨٨٣ ص ٢٦ ، Grichton ص ٤٧٦ .

(٢) Badger ص ٣٢٥ .

عندما تسلم سعيد الحكم كانت البلاد تمــوج بعصيان مســلح وكان عمه قد احتفظ بصحار واحتفظ أبوه بمسقط ، أما المناطق الشمالية فقد تمتعت باستقلال عملى تحت إمرة زعماء محليين • وقد اتفق هؤلاء المشاغبين على أمر واحد فقط ، هو دفع مبالغ مالية للنجدين • وعندما توفى سعيد ترك مملكة متجانسة الأجزاء فى عمان ، غنية بتجارتها مع احساس بضرورة الوحدة • واذا كان كثير من الزعماء الناجحين من العسكريين قد استطاعوا تحقيق قدر أقل من ذلك فان أحدا لم يستطع القيام بما هو أكثر من ذلك •

ووجد سعيد عند توليه السلطة أن أسلافه يمارســون سلطة غامضة على الساحل الشرقى لافريقيا ، وكان أمرا يسهل التفاخر به أكثر مــن تحديده ، وان هؤلاء الأشخاص الذين أحســوا بالفخر به لدرجة كبيرة يحتمل أنهم كانوا أقل الناس تمتعا به • على أنه بامتداد فترة جيلين قبل عهد سعيد لم يزد الأمر عن مجرد وهم ، وقد تحقق هــذا الوهم فى عهد سعيد فان الفكرة الأصلية للسيطرة اتسعت بمهارة الى أن أصبح سعيد ، ما يمكن اعتباره نادرا بين العرب ، مؤسسا لامبراطورية بحرية • وهناك عــدد كبير من القادة العسكريين الذين قد يفضلون القيام بمثل هــذا العمل أكثر من أن يحاربوا فى موقعة •

وهناك ميل يتعذر استئصاله لنقد سعيد من وجهة نظر خاطئة ، وقد تبادل الحكم عليه كثيرون وبخاصــة الجنود والبحارة ، وكانوا فى ذلك الوقت الأشخاص الوحيدين القادرين على الاتصال به ، وقام نقد هؤلاء الأفراد على أســاس أنه لم يستطع فرض سلطانه على ممبســة الا بعد عدة محاولات فاشلة ، ولكنهم يجب أن يعترفوا بأنه حالمــا تسقط مدينــة بين يديه فانها لن تفلت من قبضته بتاتا بعد ذلك •

ويستطيع المرء التقدم باقتراح مؤداه ألا ينظر الى سعيد من وجهة

نظر تقليدية . ولا شك فى أنه اذا حدث تصميم على اخضاعه لمقاييس الشرف وعمل الخير ومبادىء الفضلية ، فاننا سنجـد قدرا ضخما من المـواد التى نستطيع من خلالها اعداد اجابة سديدة . ولا يوجـد شخص لديه قدر من المعرفة عن رد الفعل لدى البوير للقضاء على الرق يمكن أن يكون جاهلا بحنقهم ومعارضتهم المحسوبة ومحاولاتهم المستمرة لكى يستحوذوا على تعويض ليس من حقهم الأخلاقى المطالبة به بتاتا .

ومن أمثال هذه المقارنة فان سعيد يبرز بألوان زاهية ، بدون أن نضع فى اعتبارنا اختلاف السلالات والدين . ومرة أخرى ليس هناك شخص لديه قدر من التجربة عن الصعاب والمساومات التى تحيط بالمعاملات التجارية أو اتفاقات الامتيازات مع حكومات أوربية ، ويعجز هـذا الشخص عن تفادى اصابته بصدمة بسبب الكرم الخالص الذى ينظم به الحاكم العربى هذه الأمور ، وسـوف يكون الرد أن ذلك الاجـراء كان لفائدته شخصيا ، وكان هذا الأمر شيئا حقيقيا .

ومن خلال أعمال سعيد فاننا نجـد ما ينقص تاريخ الحياة البشرية فى أغلب الحالات وهى : استقامة الدوافع والخطة والتنفيذ ويمكننا القول بحق ان سعيد وجـد عند توليه مملكة عربية ضعيفة مفككة ، وترك خلفه امبراطورية مزدهرة موحـدة تعد نموذجا لكثير من البلاد خارج العالم الاسلامى ، وهذه هى تركيته والنصب التذكارى لعبقريته .

ان التاريخ وهـو أكثر صدقا من الخيال ، سمح لنا وأعطانا الفرصة بأن نكون على معرفة تامة بنمـوذج العاهل العربى الأوتوقراطى . وعندما نتأمل السؤال من أى نمط من الرجال كان سعيد ، فانه من المستحسن أن نتذكر أن اوتوقراطيته كانت محتملة الوقوع أو كامنـة أكثر منها أمرا واقعيا . وان القوة التى تمنحه الحرية المطلقة فى اصدار أحكامه والقسوة فى قراراته كانت نابعة منه ، اذا رأى استخدامها ، فانه فى هذا الاستخدام

قد شب عن الطرق وتعود عليه • ان كثيرا من التقارير المعاصرة قــد خدعت ربما باحساس أن أحــد الحكام العرب يجب وبالضرورة أن يمتلك مثل هذه الصفات • ولن يعمل شيئا ســوى أن يقرر أنه احتفظ بهــا جيدا تحت السطح ، ولن يعمل هؤلاء شيئا أكثر من اعطاء ايماءة مع الفشل فى اضافة أى أساس للحقيقة • وان الطبيب الايطالى فنزينزو Vincenzo الذى كان يعوده وهــو فى بداية حكمه ، وكانت سنوات مليئة بالحظالسىء يصفه بأنه « رجل وسيم متوسط القامة ذو بشرة زاهية ، وكان سلوكه فى التعامل مع الناس رشيقا مقبولا وكان يمتلك تفهما سليما » [١] •

وتعلق ابنته على اسلوبه الجذاب الذى يخلب اللب وتضيف الى ذلك أن مظهره يدعــو الى الاحترام [٢] • وكل من اتصل به انمــا يخرج بمثل هــذا الانطباع عنه • وطبيعى أن تختلف أساليبهم فى التعبير • وفى بعض الأحيان كان يوصف بأنه صاحب أخلاق رفيعة ونبيلة ، أو أنه شخص أنيق ، ذو مظهر نبيل ، مع ملامح تدل على حب الخير • ولعل أفضل وصف لــه ما رواه شبرد فيقول انه « صاحب وجه رجــولى متفتح ، وجبهة متسعة ، وعينين رماديتين واسعتين ، وفم مطبق باحكام يلتف حواليه شــارب أشيب كثيف ولحية فضية اللون تنتهى بعد ست بوصات نهاية حادة • ومع كل هذه الصفات كان صاحب حزم وعزم ، وأهداف شريفة ، وشعور شفوق وعزم أخلاقى ، ويرتبط بذلك كله ترحيب حقيقى وقبضة يد دافئة تستولى على احترامك فورا » [٣] •

ولدينا الآن تقارير هؤلاء الذين رافقوا البلاط الملكى فى زنجبار ومسقط ممن كانوا أعضاء فى بعثات عسكرية أو بعثات دبلوماسية أو تجارية [٤] ،

---

(١) Mansour ص ١٨ .
(٢) Ruete ص ٥ .
(٣) Shepherd ص ٥٢ .
(٤) انظر الملحق الأول « شهادات شخصية عن سعيد كتبها معاصرون لــه » شاهدة عيان .

ولم يكن الأمر مجرد استقبالهم بحفاوة فحسب ، بل انهم استقبلوا باحترام زائد وفيض من الكرم • وعلى سبيل المثال فان كابتن روبرتس ، الذى قدم أفراد البعثة لسعيد عـام ١٨٣٣ ، فقـد قدرا كبيرا من متاعه ومقتنيات سفينته عند دخول الميناء ، وما لبث سعيد ، عندما علم بذلك ، أن خصص له منزلا للاقامة فى المدينة ، وأرسل له كمية هائلة من أطايب المأكولات وأخبره أنه فى حالة عجز سفينته عن الابحار فانه سيأخذ سفينة من سفن سعيد الخاصـة ليعود الى بلاده •

وبعد سفر روبرتس استطاع سعيد انقاذ بعض المدافع من البحر وأرسلها خلفه الى بومباى كما سبق شرحه فى فصل سابق • وبعد فترة قصيرة ، عندما بعثت انجلترا الكابتن هارت لكى يقاوم أى تأثير سىء مما قد تجمع من المناقشات مع روبرتس فان هارت بدوره قدم قصـة حماسية مماثلة عن لطفه ، كذلك فان الفرنسيين الذين كان سعيد يخشى فى بعض الأوقات خططهم لم يكن أمامهم سـوى التصريح بأنهم استقبلوا بأدب ولطف • أما عن كرمه فسـوف يأتى ذكره فيما بعد •

واذا ما زعمت بعض الأوساط أن مجاملات سعيد ناتجـة عن حب شرقى مثالى للتفاخر ، فيمكن الرد بادعاء أن هـذا يشكل استثناء فريدا فى عاداته المألوفة لأنه لا يوجـد شىء أكثر بساطة من ذوقه الشخصى • وكان الأهالى ينظرون اليه بمثابة الأب أكثر منه حاكما • اذ عندما ينتهى العمل اليومى ، تفتح أبواب القصر حتى يستطيع أى شخص الدخول ، وفى الواقع فان كثيرين كانوا يهتبلون هذه الفرص من حسن الضيافة • وكانت جماهير شعبه يتلمسـون تواجده دائمـا عندما يتحدث معهم ببشاشته المعهوده كما تعود مع رصفائه [1] •

---

(1) Guillain جـ ٢ ص ٢٢٢ .

وكانت ملابســـه من أبسط الأنواع ، وكان من الصعوبة التمييز بينه وبين أهالى مسقط أو أهالى ساحل الخليج الفارسى ، وكان يرتدى ملابس قطنيه طويله عليها سترة (أشبه بالمعطف) من الصوف الناعم الأســـود ، أما عمامته فكانت من الطراز الشـــائع فى الشرق حتى افغانستان [١] . وتصفه ابنته بأنه « كان متواضعا جـــدا أمام الخالق ، ولم يداخله الغرور ولا الاعجاب بنفســـه مثل كثيرين ممن ولدوا من أسر ذات حسب » . وأضافت ابنته فيما يشبه النموذج « انه قد تعود القيام بزيارات شخصية لأقل فرد من الأرقاء شأنا لكى يقدم تهانيه فى حالات الزواج » [٢] .

وليس معنى ذلك أنه عاش دون أن يكون لـــه مثل مجردة . لقد كان ابن القرن الذى عاش فيه ، وكان ابن بلاده ، وكما هى العادة كان أحيانا عرضـــة الى حـــد ما لنفوذ الحريم . ومع ذلك فان من الحق القـــول بأنه « وهـــو قابض على أسلوب جديد قد نجح فى اجراء تقدير لجيرانه الشديدى البأس » ، وقد نوافق على الحـــكم السديد الذى صدر عن بيرثون اذ يقول « ان السيد سعيد ربما يكون أميرا ثاقب الفكر ، ليبرانيا ، ستتيرا الى حد أن بلاد العرب لم تنجب مثيلا له أبدا » [٣] .

وعلى أية حال فان من الممكن اضفاء أهمية لا تستحق الى المديح الذى ينهمر على الأمراء طوال فترة حكمهم ، وسرعان ما ينقلب الحـــال بعـــد موتهم . ولكن حينما تكون هذه الشهادة هى الشىء الوحيد المتاح عمليا فان من الممكن — عادة — اختبار قيمتها ليس فقط عن طريق مبـــادىء ذات

---

(١) Gobineau ص ٨٨ ، Ruschenberger جـ ١ ص ١٣٧ « يقول » ان المـــادة التى تصنع منها العمامة هى للتمييز بين القبائل ، ولا يستطيع أى فرد لبسها سوى هؤلاء الذين ينحدرون من السلالة الملكية .

(٢) Ruete ص ٥ .

(٣) Burton جـ ١ ص ٣٠٤ .

احتمال معقول ، بل كذلك بوساطة معيار متماسك من سمعة الأمير الشخصية بين أهالى دولته وعن الأمـــور المسجلة عنه •

وفى حالة سعيد فان معظم الشهادات الثابتة والمتاحة تقودنا الى أنه كان يمتلك العديد من الصفات التى قلما نجدها لا تقبل المساءلة فى أخلاق حاكم شرقى مطلق الحرية ، وكان أبرزها حبه للعدالة وسلوكه التهذيبى • ولعل النادرة التالية تصلح لأن تكون صورة عن هذه النقطة ؛ عندما كان سعيد يكافح دون نجاح ضد الغزو ، فقد استدار وهو فى حالة يأس الى طبيبه الايطالى فنزينزو ، الذى يقول « انى تجرأت لاقتراح بعض الخطوات على الرغم من عدم اتفاقها مع الفضائل السياسية الأوربية ، باستثناء ما علمه ميكيا فيلى ، وقد يرفضه قلةمن الحكام الشرقيين المستنيرين • وعلى الفور رفضها سعيد لأنها ضد تعاليم القرآن وحكم الله » [١] •

وان الأمر قليل الأهمية سواء أكانت الوشاية صفة مميزة لدى الحكام الشرقيين المستبدين أم لا ، فان أخلاقهم العامة لا علاقة لهـــا بالمسألة ، ولكن اذا كانت الوشاية غير صحيحة فان سعيد يقف شامخا كرجل شرف ، أما اذا كانت الوشاية صحيحة فان مركزه أرفع من ذلك بغير حدود •

وان ولعه بالعدالة يظهر فى توسعه أيضا فى الالتماسات العملية فى ذلك الوقت • وهناك تكرار دائم عن التقرير بأن معاملاته وأحكامه كانت دائما عادلة منصفة ، كذلك هناك تشابه حول صور هذا التقرير مما يعطيه ثقلا وأهمية • ويتحدث منصور عن حبه الدائم للعدالة ، ورحمته الشهيرة وأن تأثير ذلك لا يقف عند حد رعاياه فحسب ، بل ان الاحساس به يمتد الى

---

(١) Mansur ص ٧٣ •

خدمه من الأرقاء » [١] • وهنا نجد تشابها عجيبا مع كلمات ابنة سعيد عندما تقول انه « كان يقدر قيمة العدالة باعتبارها أرقى من جميع الأمور ، لذلك فانه فى هذا المجال لا يعرف التفرقة بين الأشخاص حتى لو وصل الأمر الى ما يحدث بين أبنائه وأقل الأرقاء شأنا » [٢] •

لذلك فليس هناك ما يدعو الى التعجب بأن أهالى مسقط يتطلعون اليه بكثير من الود ، لأن هذه الصفة وحدها كافية لموازنة جميع الخسائر المادية التى تسببها رحابة صدره فى مجالات أخرى •

وعلى أية حال ، فليس عجيبا هذا الاحترام وذلك الاعجاب اللذين أثارهما بين الأوربيين الذين يتعاملون معه • وان هذه التقديمات قامت على أساس ما كان يمتلكه من غنى العاطفة مع قوة الاحتمال • وكان سعيد مسلما شديد التحفظ ، ومع ذلك فانه لم يترك لوجهات نظره الدينية أن تمنع عنه رؤية صفات الآخرين الذين يعتنقون ديانات أخرى •

وكان سعيد يمتلك جميع صفات عدم الاختلاط والاقتصار الفطرى العربى ، وعلى الرغم من ذلك فان الأجانب كانوا يجدون استقبالا جاهزا لدى حاشيته ويستقبلون بحرارة تترك لديهم وقعا عميقا على عقولهم •

وكان هو شخصيا تاجرا كبيرا ، ولكنه لم يكن ضيق الأفق الى الحد الذى يجعله ينسى أو يسهو عن الحقيقة التى تشير الى أنه سيجنى أكثر مما يفقد بفتح الأبواب أمام الهندوس • وقد ترتب على هذه الصفة العقلية نتائج بالغة الروعة •

وكانت أول بعثة مسيحية تطأ بأقدامها ممتلكات سعيد فى شرق أفريقيا

---

(١) Mansur ص ١٨ •

(٢) Ruete ص ٥ •

هى بعثـــة Krapf كرابف الألمانى الذى أكد أنه بدون المعاونة العطوفة التى قدمها له سعيد فى كل المناطق ، فان البعثة كان مآلها الفشـــل • أما فىالتجارة فانه جنى كل محصول سياسته الليبرالية • وقد بدأ بطبيعـــة الحال بالمعدات التى تشتد الحاجة الى طلبها بناء على ذكائه وبراعته • ذلك أن رجلا بمثل هذه السرعة ، ويقبض على كل امكانيات زنجبار مع اصراره على التوسع فى زراعة القرنفل ، فانه يستحق مكافأة كما حدث له • وفى أثناء حماسته للتشجيع على زراعة القرنفل فانه لجأ أحيانا الى الطريقة القائمـــة على نزع ملكية أراضى أولئك المـــلاك الذين رفضوا الاذعـــان لرغباته [١] • وعلى أية حال فان أمثال هذه الأساليب كان يتبعها رجـــال الأعمال فى جميع البلدان وعلى مر العصور •

وان من الصعوبة بمكان قياس المدى الذى وصل اليه نجاحه • ذلك أن سعيد أكمل فى عمان عملية كانت موجودة منذ قرنين أو ثلاثة قرون ، ألا وهى فصل المدنيين نهائيا من المناصب الدينية فى الدولة • انه هو نفسه لم يتولى الامامة ، ولم يحاول ذلك بتاتا ، ولم يبحث عما يصله بمنصب الامامة فى الدولة • ومن المحتمل أنه رأى أن القيود التى تحيط بهذا المنصب تفوق المميزات لهذه الرياسة الدينية [٢] • ذلك لأنه منذ نعومة اظفاره كان قلبه شغوفا بالتجارة •

وكثيرا ما نظر البعض الى هذا الأمر باعتباره اعجوبة ، كيف أن شخصا فى مثل هذه المكانة والنفوذ ، مؤسس امبراطورية على هذا القـــدر من الاتساع والازدهار كان عليه أن يحصل على دخل ضئيل من ممتلكاته • وقد قدر كيرزون دخله فى سنواته الأولى بـــ ٨٠ ألف جنيها استرلينيا ، وقدرها آخرون فى أوقات بعد ذلك بنفس التقدير السابق • وعندما زاره

---

(١) Guillain جـ ٢ ص ٥٠ •
(٢) انظر الملحق الثانى عن امامة عمان •

كابتن هارت عام ١٨٣٤ فانه قدرها بربع مليون دولار ؛ من بينها ١٥٠٫٠٠٠ يحصل عليها من زنجبار ، ١٠٠ ألف من مسقط[1] • وفى تقرير آخر بعد ذلك قدر الدخل بـ ٦١٠٫٠٠٠ كراون ألمانى[2] •

ان هذا انما يعبر عن بيت مال فقير ، ويثير الدهشة أن امبراطورية بهذا الغنى فى التجارة تتضاءل فيها الضرائب • وعند امعان الفكر فى هذا التساؤل يجب ألا ننسى أن سعيد لم يكن حاكما على الشعب ، اذ كان هو قائد عدد من القبائل • وهى قبائل لا تهتم كثيرا بالأنساب بوجه عام أكثر من حقوقها القبلية • واننا فى الواقع نجد تشابها خفيا بينها وبين نظام المدن فى اليونان • وكان الربط بينها يبدو كفكرة بعيدة عن فكرهم • وبمثل هذه الروح المنتشرة كان وضع ضرائب عالية أمرا بعيدا عن التفكير بطبيعة الحال •

وكان سعيد فى الواقع قد نال المديح لفطنته فى معرفة الوقت المناسب لفرض ضريبة جديدة أو رفع ضريبة قديمة • وكانت الأمور فى شرق أفريقيا تحتاج مهارة أكثر عمليا ، حيث أنه لم يمارس الحكم على عدد من السلالات الغريبة فحسب ، بل ان رجاله وهم من سلالة واحدة كانوا ينتمون الى جيل مختلف ولا يتحملون أى تدخل لا يمنحهم الفرصة كاملة لممارسة التجارة بأقل قدر ممكن من الازعاج والضيق • ولم يكن سعيد يملك القوة لفرض رغبته عنوة • كذلك لم يمتلك سعيد القوة الحربية ولا البراعة فى الميدان ، فكان عليه اذن أن يحافظ على نفسه باقناع رعاياه وليس ضد رغبتهم •

وهناك صعوبة أخرى لفهم كيفية استطاعته المحافظة على دولته بمثل

---

(١) Bomb Sel. ص ٢٧٩ •

(٢) Bomb Sel. ص ٦٣٣ ، Mansur ص ٢٩ ، Buckingham جـ ٢ ٣٩٩ ، Guillain جـ ٢ ص ٢٥١ يقوم قائمة مفصلة عن دخله ويقول ان مجموله وصل بالتقريب الى مليونين ونصف مليون فرنك فرنسى •

هذا الدخل الضئيل • ان التفسير بطبيعة الحال يكمن فى أرباح تجارته الخاصة ، وقد تقدمت التجارة كثيرا بصفة عامة فى الدولة فى أثناء فترة حكمه • فمنذ وقت مبكر ، عام ١٨٢٧ ، دفع أحد أهالى بانيان Banian مائة ألف روبية هندية ، ٨٠ ألف كراون ألمانى لكى يحصل على امتياز التزام الجمارك على مسقط •

وفى الفترة ما بين ١٨٤٠ ، ١٨٥٦ فان جماعة التجار كانت تتسع باستمرار وتكدس الأرباح • وبالقرب من نهاية حكم سعيد فان تجار بانيان فى ممتلكات سعيد الخاصة وصل عددهم أكثر من ٢٠٠٠ فرد وأصبحوا أكثر الفئات نفوذا فى البلاد • وكان سعيد خال تماما من الكراهية العنصرية الضيقة الأفق ، اذ أنه أدرك أن مصالحهم تماثل مصلحته الشخصية وأنه حيثما يستطيع أحد التجار التغلغل فان عشرة تجار سوف يتبعونه ، لذلك فقد حرص على أن يقدم لهم كل أنواع المساعدة ، وكانت المكافأة التى حصل عليها هى اكتشاف أن رعاياه برزوا فى هدا المجال • ليس هذا فحسب ، بل انه كان يتاجر على نطاق واسع لحسابه الخاص •

وكان من الأمور العادية فى تلك الأثناء أن يجد المرء عشر سفن أو اثنى عشر سفينة شراعية ذات حمولة أكثر من ألف طن فى ميناء مسقط فى وقت واحد • وقد أحصى العدد الاجمالى للسفن التى تبحر سنويا من الميناء بحوالى مائتى سفينة • وقد ازدهرت التجارة فى أربعة أركان العالم ، ويصل الى عمان سنويا كميات ضخمة من الأرز من شواطىء منجالور ومالابار ، هذا الى جانب السلع الأخرى مثل الأخشاب والفلفل والحبهان ، وكان البلح السلعة الرئيسية للتصدير •

وقد ازداد العمل فى شحن السفن وحمل أنواع التجارة التى لم تقتصر على الخليج الفارسى المجاور بل امتدت الى الشرق ، الى البنغال ، ووصلت فى الغرب الى شواطىء البحر الأحمر • ولم يكن نصيب سعيد محصورا

فى تشجيع هذا الاستثمار بل انه تحمل قدرا لا بأس به شخصيا • وان الامام ذاته هو أحد التجار الرئيسيين فى هذا المكان ، وأن نسبة كبيرة من التجارة كانت فى يده وكذلك جزء للبوربون وجزيرة فرنسا [١] • ولا يمكن وضع تقدير حقيقى الا اذا تذكرنا أن تجارة شرق أفريقيا فاقت بقدر كبير تجارة عمان وأنها ازدهرت بمعدل أسرع •

وعلى أية حال لم يكن اهتمام سعيد بالبحر مقصورا على التجارة ، لقد عانى سعيد كثيرا جدا فى بداية حكمه من أعمال القرصنة التى يقوم بها القراصنة الى حد أنه لم يستطع التأمل بحرية فى ذلك الخطر المحدق بالسفن التجارية التى لا تتمتع بأى حماية • ومنذ وقت مبكر فى عام ١٨٢٠ لاحظ فريزر أن سعيد يمتلك خمس سفن فاخرة • وفى عام ١٨٣١ قدر ستوكويلر العدد باثنتى عشر سفينة [٢] • وقدم كابتن هارت عام ١٨٣٤ قائمة مسهبة عن السفن وحالة كل منها ، فالى جانب عشرين سفينة شحن تجارية وهى من ممتلكاته الخاصة ، كانت لديه سفينة حربية وثلاث فرقاطات وحراقتان وسفينة شراعية ، بالاضافة الى بعض سفن « البوغلوس » الحربية وقطع أخرى تحمل كل منها ما بين ٤ الى ١٠ مدافع [٣] •

وربما يصعب تصور وجود هذا الأسطول بشكل جاد ، فليس هناك شخص واحد شاهد جميع هذه السفن فى مهمة واحدة وفى وقت واحـــد • وهناك رأى بأنه لم يحتفظ بالبحارة الا على سفينة واحدة ولكنه كان يرسل الى عمان استدعاء يطلب عددا اضافيا من الملاحين عندما تشتد الحـــاجة

---

(١) Bomb Sel. ص ٣٦٢ •

(٢) Gurzon جـ ٢ ص ٤٣٧ •

(٣) Bomb. Sel ص ٢٧٩ ، Guillain جـ ٢ ص ٢٤١ ، Burton جـ ١ ص ٢٦٧ ، Roberts ص ٣٦٣ ، والقائمة كاملة موجوده فى Bomb. Sel ص ٢٨٢ •

اليهم [١] . والأكثر من ذلك فان السفن ذاتها كانت تجرد عادة من قلاعها ، وكانت فى حاجة الى اعداد هائل قبل أن تصبح فى حالة تسمح لها بالابحار . وبالرغم من ذلك فان مراقبا بحريا انجليزيا معاصرا يقرر بقلق أنه اذا بدا لسعيد أن ينازع على السيطرة البحرية فى المحيط الهندى ، فان الانجليز سيجدون فى مواجهتهم عدوا صعب المراس للتعامل معه .

وان عدم التأثير النسبى لهذا التفاخر ، على أية حال ، يمكن تصوره تماما بحالة السفينة ليفربول . فهذه السفينة الحربية التى تحمل ٧٤ مدفعا قد صنعت له خصيصا فى بومباى حوالى ١٨٢٦ [٢] ، وقد اكتشف بسرعة أن الحماس سبق التدبير ، اذ تبين أن السفينة أضخم من أن تبحر فى مياه زنجبار الضيقة ، ولا يستطيع أحد قيادتها مهما بلغت براعته . ولهذا فانها بعد عشر سنوات قدمت هدية الى الملك وليم الرابع (كما سبقت الاشـــارة) .

وتسلم سعيد فى مقابل ذلك اليخت برنس ريجنت الذى كان الى حد ما أفضل قطعة فى أحد فصائل الأسطول البحرى الانجليزى [٣] . ولكنه لم يعبر تعبيرا تاما عن الأوضاع العامة لتلك الفصيلة التى كان ينتسب لها . ويصف بيرتون اليخت (حـ ١ ص ٢٦٨) بأنه « مزخرف دون ذوق » وبعد سنوات قليلة قدم كهدية للحاكم العام للهند . وفى الهند استخدم وسيلة

---

(١) Bomb. Sel. ص ٢٨٣ .

(٢) Rep. ١٨٨٣/٨٤ ص ٢٣٧ ، Bomb. Sel. ص ٢٨٢ ، Guillain جـ ٢ ص ٢٤٢ .

(٣) Rep. جـ ٢ ص ١٥ ؛ Low ١٨٨٣/٨٤ ص ٣٧ .

للانتقال ، وبذلك أصبح بما يحمله من صفات لا يصلح للعمل فى البحار ، لذا أطلق عليه « رعب الجندى الشرقى » [١] ٠

وكان سعيد بطبيعته ليبراليا على المستويين العام والخاص بالاضافة الى كرمه ٠ وعندما يثار سؤال سياسى فانه كان يتنازل عن حقه عمـدا لكى يضع الطرف الآخر فى موضع الاحساس بأنه مدين له ٠ وفى هذا الصدد توجد نماذج كثيرة تبين اصراره على أن يحمل نفسه نفقات المحافظة على بحارة أمريكيين تحطمت سفينتهم ثم العمل على اعادتهم لوطنهم ٠ وكذلك هديته السخية بتقديم جزر كوريا موريا للانجليز وبها بقايا الطيور المتراكمة على الجزر فى يوليو عام ١٨٥٤ ٠

وكانت هداياه للبلاط الملكى لأى دولة أجنبية تدل بالأكثر على طبيعته بدلا من مركزه ٠ ولكن الهدايا التى كانت تقدم له فى المقابل لم تكن فى أغلبها على نفس المستوى ٠ وكان من بينها المحاولة التى قامت بها الملكة فيكتوريا لتقديم شىء لائق ومناسب فأرسلت له سريرا من البرونز ، وقد احتفظ به بعناية فى حريم مسقط كتحفة نادرة ٠ وبعد فترة نظرت اليه بذعر أول سيدة انجليزية سمح لها أن تزور مساكن الحريم [٢] ٠

والمثل الثانى يقوم على أساس تقديم شىء غير مناسب اذ قدمت له مركبة ضخمة الحجم ، وبعد تدبير النفقات الوفيرة لجلب نجار هندوسى من الهند ، فقد تحقق سعيد أنه لكى يستعمل المركبة فلابد من انشاء طرق

---

(١) Burton جـ ١ ص ٢٦٨ . ان الانصاف يدعونا الى أن نقول ان زوجة سعيد عندما استقبلت فراو هيلفر عام ١٨٣٦ فتحدثت عن هذه الهدية الملكية . كأنها سفينة حربية جميلة انظر الملحق الأول ، Nostiz جـ ٢ ص ٨ . وطبقا لمـا يقولـه Gobineau (ص ٩٠) ان السفينة تحطمت عند البحرين .

(٢) انظر الملحق الأول ، Mignan جـ ١ ص ٦٧ ، Nostiz جـ ٢ ص ١١

فى ممتلكاته وأن ذلك الأمر يحتاج الى أموال طائلة ، لذلك تنازل بسرور عن حلمه لكثرة النفقات ، وبدوره قدم سعيد المركبة الى امام حيدر أباد . كذلك ليس هناك شىء أقل نفعا من طاقم للشاى مموه بالفضة ، ولم يلبث سعيد أن رده فى سكون الليل البهيم الى القنصلية الانجليزية لتحافظ عليه [1] .

وان علاقات سعيد مع الانجليز على أية حال حصل منها على شرف كان يتباهى به بحق . ففى يوم ٦ مايو ١٨٣٧ منح العضوية الشرفية للجمعية الملكية الآسيوية . وهناك مقتطفات من الكلمة التى وصف بها رئيس الجمعية تلك المناسبة فيقول « عند وصول كابتن كوجان من البحرية الهندية ، بقيادته للسفينة الحربية ليفربول وهى هدية من امام مسقط الى ملك انجلترا ، فان القنصل انتهز الفرصة لكى يوصى الجمعية لاختيار صاحب السعادة عضوا شرفيا كدليل واشارة استحسان للتشجيع الذى يبديه صاحب السعادة بالنسبة للفنون والعلوم بين أفراد شعبه وبخاصة المشتركين فى بناء السفن والذين يعملون فى البحر . كذلك كأنها تقدير لاحساسه العميق ورغبته فى بدء معاملة مباشرة بين بلاده وبريطانيا العظمى ، كذلك شعوره الودى فى جميع المناسبات التى تحدث لرعيته سواء فى ذلك الآسيويين والأوربيين من رعايا الامبراطورية الانجليزية » [2] .

وقد زعم البعض أن سعيد كان راغبا فى الحصول على عضوية أى

---

(١) Pearce ص ١٢٤ .

(٢) انظر اجراءات اللقاء السنوى للجمعية الملكية الآسيوية المعقود فى ٦ مايو ١٨٣٧ (ص ٣ ، ١٢) ، Low (جـ ٢ ص ١٥) يقول مخطئا ان سعيد اصبح عضو شرف فى الجمعية الملكية الجغرافية ، وكان ابنه برغش هو الذى نال هذا اللقب فى ١٠ مايو ١٨٧٢ . Burton (ص ٤) يقرر أن سعيد كان يرحب دائما بفكرة تقديم طلبات الى حكومات الدول الملكية ليطلب ضباطا مختارين لوضع طرق على الخريطة للقوافل فى شرق أفريقيا ، وأنه ادعى انه سيقوم بمساعدتها ماليا وبمركزه ونفوذه الذى اتسع وامتد . ويقول بيرتون ان وفاة سعيد كانت ضربة قاسية لموضوع الكشوف حيث يثير اسمه الاحترام .

جمعية تساعده على الظهور بسمو أمام أعين أوربا وأنه لهذا السبب أصبح عضوا فى الجمعية العامة للملاحة .

حقا ان سعيد يحمل خصائص الرجل الطموح ، ولكن يجب أن نعرف أنه لم يسمح لهذه الخصائص بأن تبتذل أمانته وذوقه العام بتاتا . وفى حالة الجمعية المشار اليها سابقا فانه فى الواقع كان يستحق هذه العضوية اذا ما تبصرنا عطاءه الكريم بخصوص شروط المعاهدة التى عقدت مع الولايات المتحدة الأمريكية ، كذلك المساعدة التى قدمها عندما ارتطمت بالأرض السفينة الحربية بيكوك من أسطول الولايات المتحدة [١] .

وهناك مثال يدعو الى الغرابة عندما اختير عضوا فى الجمعية الملكية لآثار الشمال ، اذ أنه رفض العضوية مشيرا الى أنه لا يرغب فى الانتماء الى هيئة أو جماعة من سارقى المقابر وخطافى الجثث » [٢] .

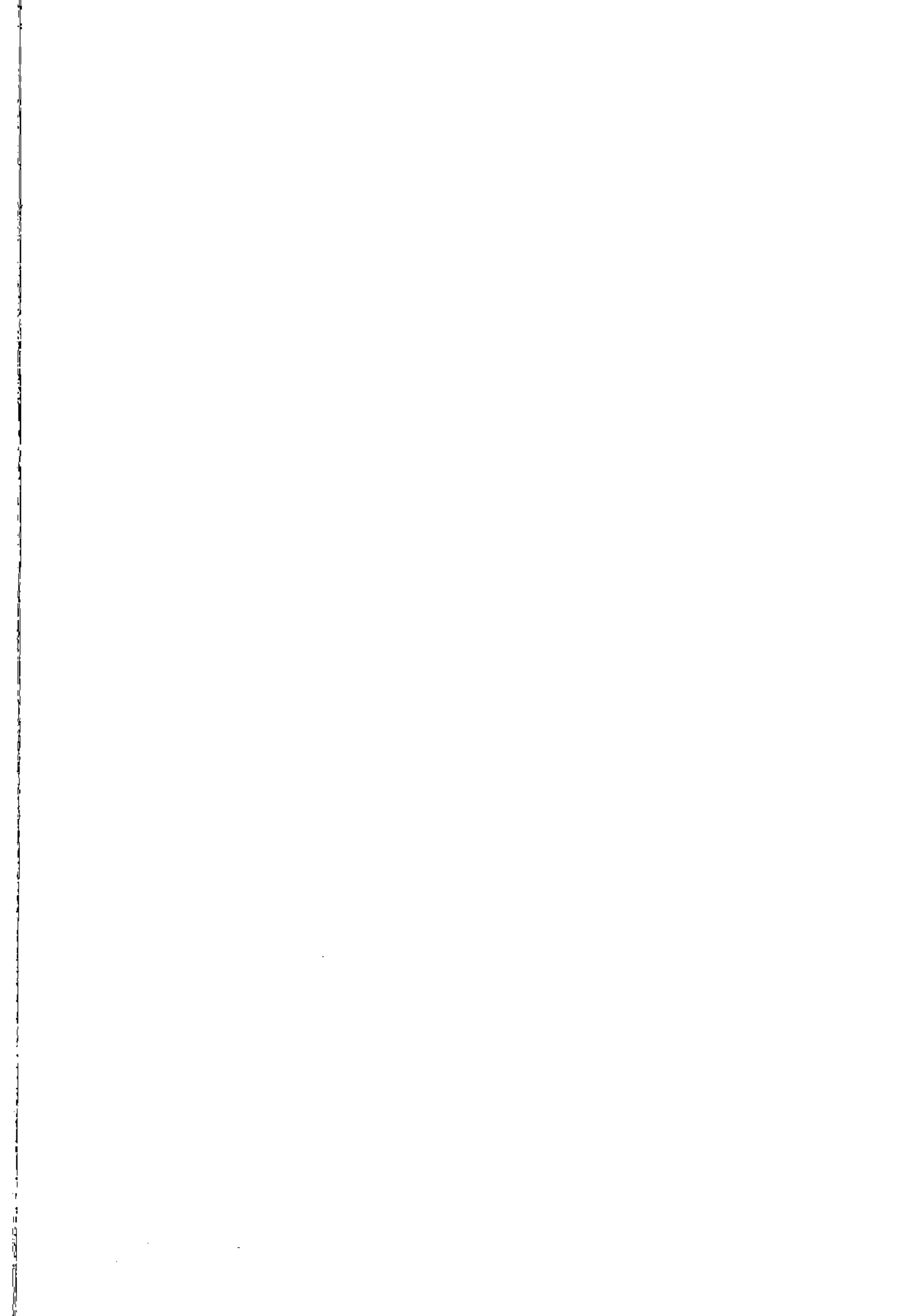
وهنا ، وكما هو الحال فى كل مكان ، لا توجد أى فائدة من محاولة تفسير صفاته باعتبارها عيوبا ، وكان سعيد يعرف حدوده ، تلك التى كانت متعلقة بفترة حكمه ومنزلته ، وهى لا تقل عمـا يتعلق بشخصيته ذاتها . ولكنه كان عادلا ، شريفا ، كثير الشكوك ، دبلوماسيا وتاجرا وحاكما ناجحا ، وأبا مستنيرا يكرس ذاته محبا للخير . وقد أطلقت عليه بعض النعوت : عمر الثانى ، أو هارون الرشيد زمانه ، ومحمد على بلاد العرب » [١] .

---

(١) Ruschenberger جـ ١ ص ٩٨ .

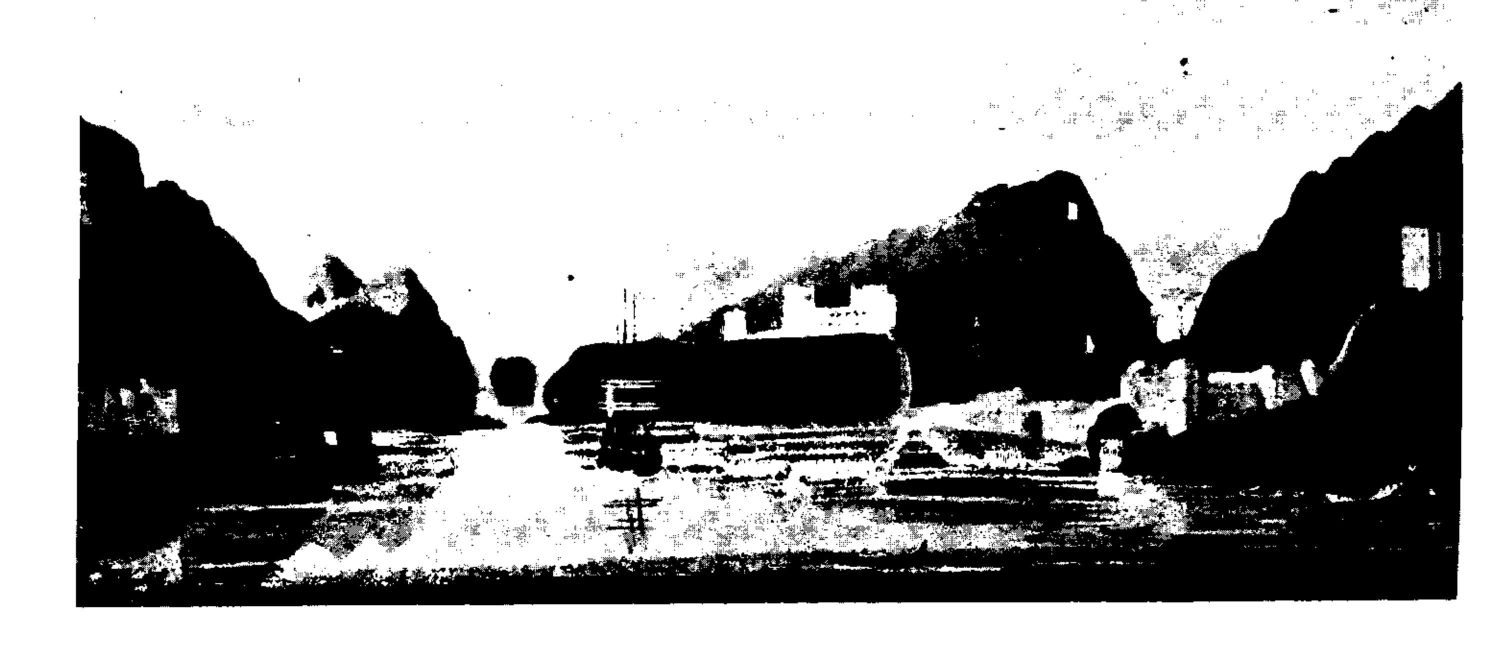
(٢) Burton جـ ١ ص ٣٠٦ .

(٣) Welisted جـ ١ ص ٨ ، ٣٨ ، Ruschenbergr جـ ١ ص ١٣٩ Burton جـ ١ ص ٣٠٧ . ويصفه Guillain جـ ٣ ص ١٠٧ « بأنه جـوبيتر الاوليمب الافريقى . ويطلق عليه Migran (جـ ٢ ص ٢٣٦) . لقب « أعظم اسـود الشرق » .

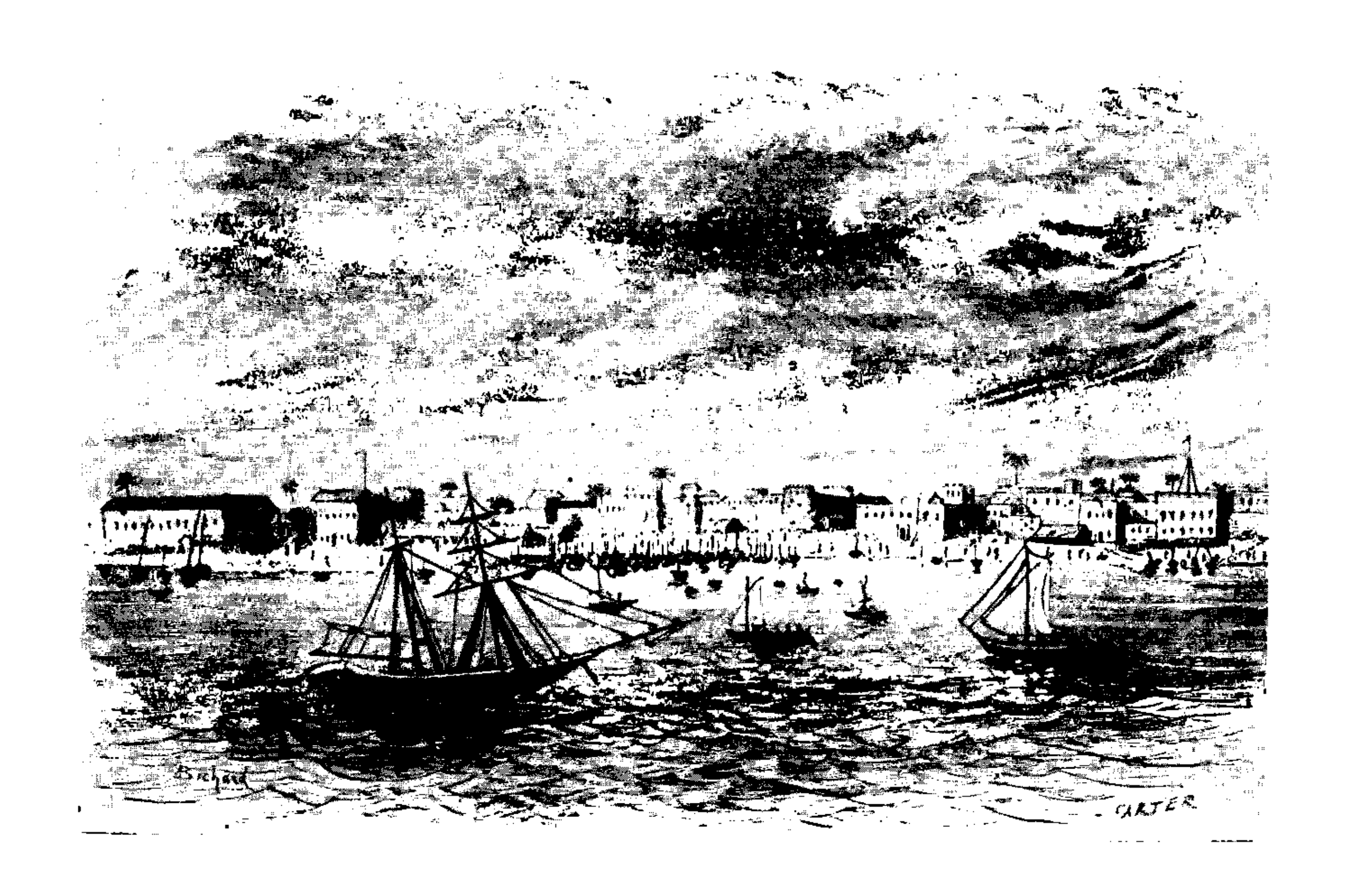




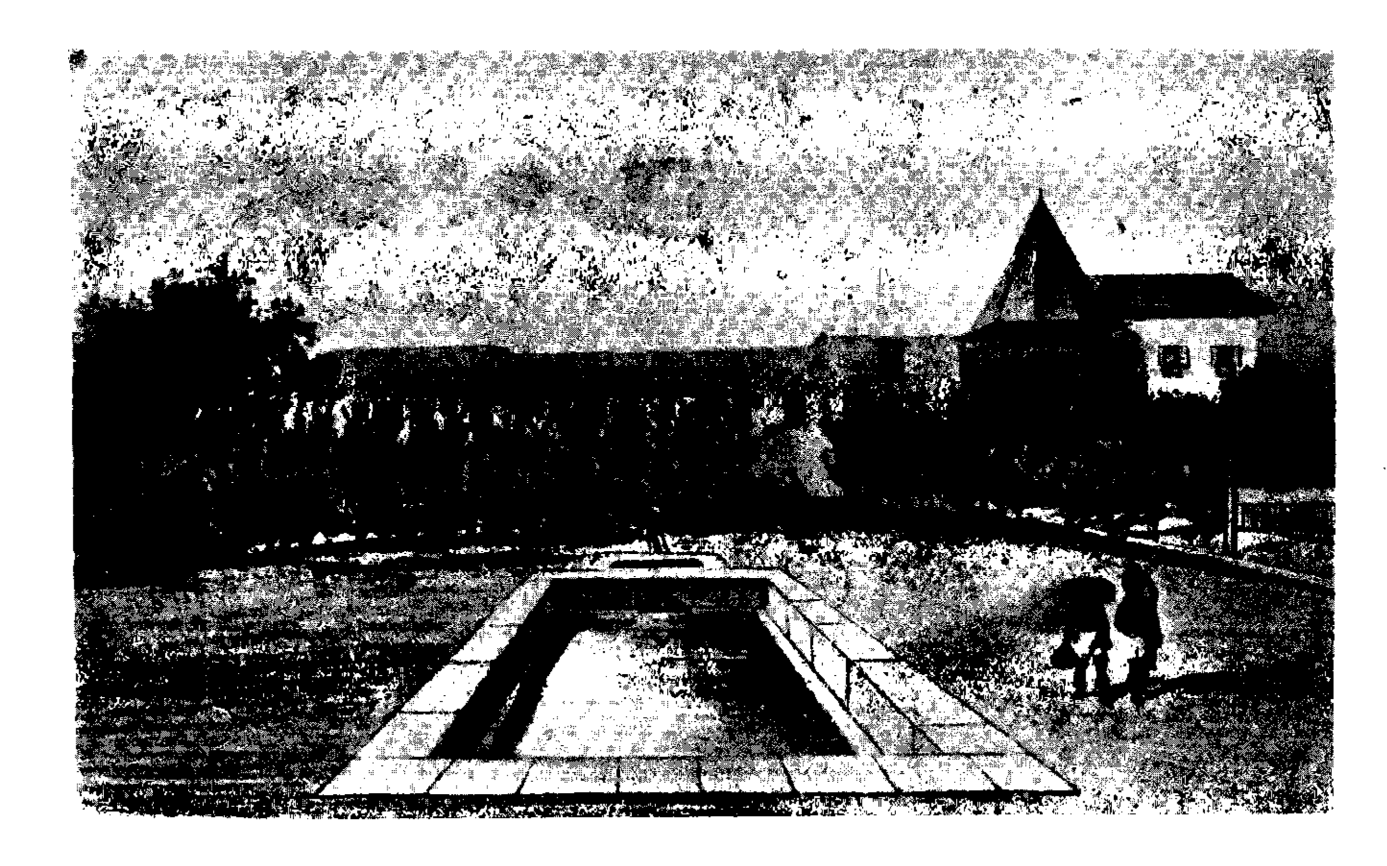
السيد سعيد بن سلطان



مسقط من الميناء (١٨٠٩)



زنجبار من البحر (١٨٥٧)



بيت المتونى



منظر آخر لبيت المتونى

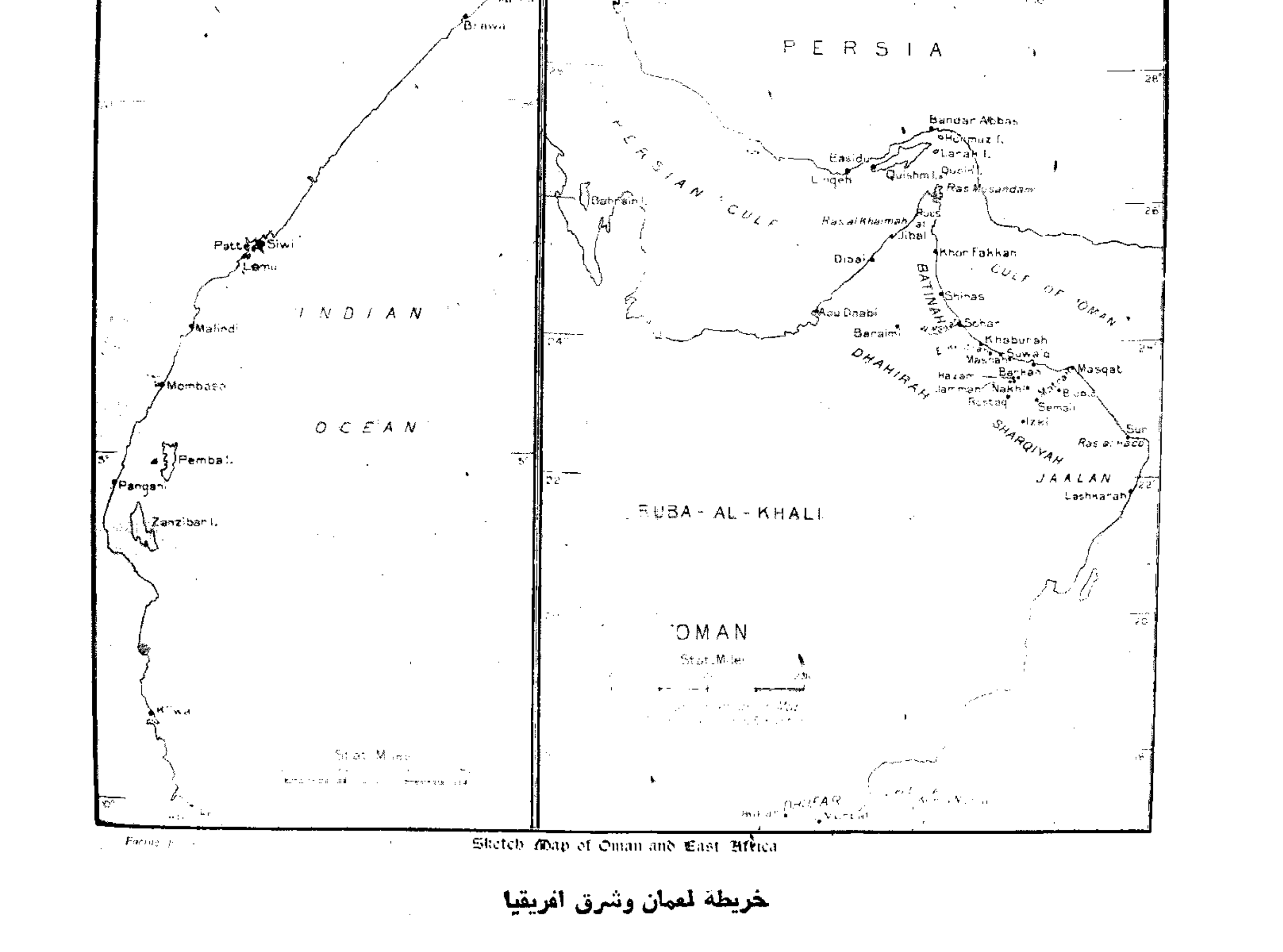
Reproduction of Letter in Said bin Sultan's handwriting

Facing p. 128]

صورة من خطاب بخط السيد سعيد بن سلطان



قبر السيد سعيد بن سلطان ــ لوحة تذكارية عام ١٩٢٥



Sketch Map of Oman and East Africa

خريطة لعمان وشرق افريقيا

ملحـــق « ١ »

شهادات شخصية عن سعيد بن سلطان
من معاصرين تقابلوا معه

١ ـــ **منصـــور** Mansour : طبيب من أبناء روما • اسمه الأصلى **فنزينزو** Vinenzo Maurizi • أصبح قائدا لقوات سعيد بن سلطان تحت اسم الشيخ منصور ، عاش فى مسقط من ١٨٠٩ الى ١٨١٤ •

يقـــول : ان السيد سعيد شاب يافع ذو مظهر مهيب طيب وقامـــة متوسطة صاحب بشرة متوردة ، وسلوك مقبول ، ذو فهم سليم ، مما يجعله دائمـــا راغبا فى الحصول على معلومات من الأوربيين الذين وصلوا الى مسقط فيما يختص بالفنون التى لا يستطيع أهالى بلاده تعليمها له • وان حبه الدائم للعدالة ورأفته الشهيرة كان تأثيرهما لا يدركه رعاياه وحـــدهم فحسب ، بل كذلك الأرقاء التابعين لـــه •

وفى آخر الأماكن المسماه بركاء ، تقابلت مع هـــذا الأمير السىء الحظ ، والذى كان فى مركز محزن حقيقة ، فقد طلب منى النصيحة عن الاجراءات التى يحسن حسابها لتخلصـــه من الدمار • وقد انتهزت فرصة الحرية لكى أقترح بعض الخطوات التى لا تتفق الى حد مـــا مع أخلاقيات السياســـة الأوربية ، فيما عدا ما علمه ميكيا فيلى ، وقد يرفضها قلة من حـــكام الشرق المستبدين • وقد أدرك السيد سعيد فورا أنها تتناقض مع القرآن وقانون الله •

ولكى نحاول معرفة الى أى حـــد يقوده احساســـه الشديد بالالتزامات الأخلاقية ، فقد أجبت أنه عندما تصبح الاهتمامات الفورية للملوك والأوطان لها دخل فى الأمر ، فانه فى بعض الأحيان تصبح الحاجـــة ماسة لوضـــع

الأوامر الالهية فى جانب الضرورة المطلقة للحالة فى جانب آخر • ولم أكد انتهى من كلامى ، واذا به وقد أصابه الرعب من الآراء البغيضـــة ، فصاح بقوة بأنه قد يفقد مملكته وحياته فورا أفضل من أن يكسر أوامر الله وما يمليه عليـــه ضميره •

٢ — **هيود** Heude : ضابط — زار مسقط عام ١٨١٦ •

يقول : انه فى منتصف العمر ، ذو حضور ذاتى وأخلاقيات واضحة غير مصطنعة •

٣ — **سادلير** Sadlier : كابتن فى الجيش البريطانى ، وصل الى مسقط فى ٧ مايو ١٨١٩ •

— **يقول** : عند وصولنا استقبلنا الوزير الذى يرافقنا الى قصر الامام حيث كان جلالته جالسا مع أخيه فى شرفة واسعة • وكانت الحجرة مفروشة بالسجاد الثمين وبها بعض المقاعد • وقد استقبلنا جلالته وديا ، وبعد أن استفسر جلالته عن صحة كل فرد بلطف وبشاشـــة قدم لنا أخاه السيد سالم والوزير الشيخ على بن فضل •وعبر جلالته عن احساسه العميق الذى يخالجه عن التحالف الودى والفهم السليم القائم بين حكومة الشركة المحترمة وبين أسرته والتى حصل منها على مساندة دائمـــة •

— **يقــول : فى أصيل يوم ١٤ اشار جلالته الى رغبته فى أن يشرفنى** بزيارة للاحتفال بنا • وبالرغم من أن محل اقامتى كان قاتما ولا يصلح لاستقبال جلالته ، فقد اضطررت الى استلام هذه الاشـــارة فى أفضـــل شقة معتمة متداعية • ان سلوك الامام واضح جلى وأسلوبه لطيف ويبدو أنه يتمتع بهدوء الطباع واعتدال المزاج ، وقلما كان يتفاخر بالعناد أو التكدير ، فيما عــدا الاثارة التى تحدث فى عالم التجارة التى لا يتعرض

لها كثيرا باعتباره ينجز الاعمال عامة حتى أقلها شأنا • وفى خلال هــذه الزيارة ظهر تماما على راحته وحرصت على عدم التطفل بتناول الشئون التجارية أو حتى بالتعبير عن قلقى للتأخير الذى اضطررت الى تحمله • وقد اعتذر جلالته عند انتهاء الزيارة عن الحالة السيئة التى تحيط بوسائل الراحة التى تستطيع مسقط تقديمها •

٤ — **فريزر** Fraser : زار مسقط عام ١٨٢١ •

يقــول : ان ملابس الامام هى ملابس العربى البسيط : ثوب من القطن مفتوح حتى الصــدر ولكنه بأزرار حتى الرقبة يصل الى الكاحل ، وبأكمام عربيــة واسعة ، ووشاح من القطن حــول وسطه حيث استقر خنجر ذو مقبض فضى من الطراز العربى الخاص ، عريض أعوج • وفوق رأســه منديل قطنى زركشت حوافه بألوان متعددة : الأحمر • والأخضر • والأصفر ، ملفوف دون شد وكأنه عمامة • واستقر سيفه الفارسى الطراز بالقرب منه فى أحــد أركان الحجرة فى غمــد أســود •

وكان الامام يتمتع بملامح لطيفة ، وكان بعيدا عن خشونة الطباع • ويميل لون بشرته الى الاصفرار كمعظم العرب • وكانت عيناه سوداوين معبرتين ، وقد يظن المرء أنه نائم أحيانا بسبب جفونه الثقيلة ورموش عينيه الطويلة السوداء • على عكس العيون العربية التى غالبا ما تسترعى الاهتمام بسرعة حركتها السريعة • وكانت لحيته ثقيلة سوداء بدون صبغة • وكان جزء من شاربه الطويل وأجزاء أخرى حول الفم بدون شعر حتى يظهر جزء من الخدود كما هى العادة • وقد نما الى علمى أن تلك خاصية لبعض القبائل • واعتقد أن عمره لم يتجاوز الخامســة والثلاثين •

وقد حمل المبعوث (دكتور أندرو جوكس المبعوث الى فارس) على عاتقه أن يقوم بتقديم هدية للامام ، من لدن الحاكم العام للشركة ، وهى

سيف مرصع برشاقة ، لما قدمه بازاء موضوع كابتن طومسون واستعداداته التى ساند بها قواتنا فى الحملة تحت قيادة جنرال سميث •

وبعد بضعة أيام رد الامام الزيارة للبعثة وكانت لفتة غير متوقعة • وحضر بدون مواكب ، فى زورق ذى عشرة مجاديف تابع لفرقاطة من أسطوله • وكان فى صحبته الوزير وصبى هو ابن أخيه • وقد قدمنا كل الأعذار لعدم قدرتنا على استقباله فى حالة أفضل تتناسب مع علو مكانته ، فأجاب بأنه لم يقصد المجىء لمشاهدة سفينة عظيمة أو وسائل ومعدات للراحة أو تلقى المديح اللطيف ، ولكن لرؤية بعثة من الأصدقاء ، وأن الأمر سيان سواء أكان فى قصر أو فى أى ركن (مشيرا الى أحد الأركان وهو يتحدث) •

٥ — **أوين** Owen : كابتن فى البحرية الملكية زار مسقط عام ١٨٢٢ •

يقول : فى أثناء زيارتنا لمسقط ، كان السلطان قد قارب الأربعين من عمره ، وقد تحلى بأخلاق لطيفة ومعتدلة صريح لا يمالىء • وقد منح الكابتن بعض الهدايا البسيطة ولم يستطع الكابتن رفضها والا اعتبر ذلك اهانة • ومقابل ذلك أهداه الكابتن أوين نسخة عربية من الكتاب المقدس ، وقد سر السلطان لا من أجل أى أنكار للخروج على الدين ، ولكن لأنها معلنة فى القرآن ككتب مقدسة تحتوى على كلمة الله • وبدوره منح السلطان للكابتن هدية تتفق مع عقيدته ، سيفا نفيسا ، نصله من حديد دمشق وقبضته موشاة بالذهب الخالص •

وقبل رحيلنا حضر السلطان واستقبلناه بعدد وفير من رجالنا • وكانت السفينة ليفن Leven التابعة لجلالة الملك رافعة الأعلام ، ولكنها لم تحيى لعدم وجود كرونوميتر لضبط الوقت •

٦ — كيبل Keppel : كابتن ، زار مسقط عام ١٨٢٤ •

يقــول : بيته وسفنه وكل ما يمتلكه انما هــو ملك لانجلترا ••• قد أصابتنا الدهشــة لشخصية الامام الوسيم ، كذلك زاد سرورنا بخطبته المهذبة غير المصطنعة ، وان رعاياه يحبونه جــدا وهم يشيدون بعدالته واعتداله أما عن حقيقة اغتيال أحــد أقربائه انمــا ينظر الى هذا الأمر على أساس أنه خلاف عائلى ولا يشكل حاجزا على مركزه القوى • وانه فى تقديره كأمير صاحب سيرة لطيفة تسعى الى السلام • وان جميع الانجليز الذين زاروا مسقط قد جهزوا بالخيل من خلال كرم الامام ومن الاصطبل الخاص به (١) •

٧ — مينان Mignan : كابتن بجيش بومباى • زار مســـقط عــام ١٨٢٥ •

يقــول : فى عام ١٨٢٥ بينما كنت فى طريقى الى بلاد العرب الخاضعة لتركيا ، زرنا مسقطعلى ظهر سفينــة جلالته الحربيــة وتدعى Psyche بسيشى وقد دعيت زوجــة مينان لزيارة حريمه ، وحتى ذلك الوقت لم يكن لديه ســوى زوجة واحــدة بالرغم من السماح بأربع ، وكان قد اتفق رسميا على الزواج من أميرة من شيراز • وقد ذهبنا الى القصر بصحبة زوجة مينان ووصيفتها وأنا • وعند وصولنا الى القصر كان جلالته جالســا فى انتظارنا لاستقبالنا •

---

(١) بيرثون Burton جـ ١ ص ٣٤٧ .

ان الحصان العزيز (من دماء عمانية فى زنجبار) للراحل السيد سعيد بن سلطان كان صغيرا جدا ، منقطا باللون الأسود على الظهر . وكانت المفاصل المستقيمة فوق حوافره تتناسب تاما مع الأرض الصلبة . وكان له لبده او معرفة بالقرب من كاحل الحصان ، وكانت كتفاه مطوحتان الى الخلف جيدا تاركــة مكانا بالكاد يكفى للسرج . أما الربع الخلفى وهو أضعف جزء فى الحصان العربى كانت قوية وثابتة .

وبعد الانتهاء من التحيات العادية واحتساء القهوة وشرب الشربات ، اصطحب جلالته زوجـة مينان بأدب شـديد (ومعهما الخادمة الوطنية) ، وقادها خلال عدد كبير من أجزاء القصر حتى وصلا الى باب عليه قفل ضخم لا يقل طوله عن قدم ، ودخلوا ثم صعدوا سلما حيث واجههم باب قلاب عليه اثنان من هذه الاقفال الضخمة حيث وقف فى انتظارنا اثنان من الطواشى صغيرى السن ، وهؤلاء وحدهم كانوا الأفراد الذين يرتدون ملابس الرجال وهم الوحيدون الذين حصلوا على شفرة السر : « افتح ياسمسم » ، ويسمح لهم بالدخول فى مناطق الحرم المقدس المخصص للحريم • وهنا يبدأ ظهور السجاد من أفخر الأنواع الرائعة فى صناعتها وتتناثر على السجاد أجزاء من نفس مادة السجاد بطريقة بارزة تمثل الازهار الناتئة مع الزخارف الملونة على أفخر أنواع الكاشان • وكانت هناك منضدة مغطاة بكل ما فى الذوق العربى من رقة ، بالقرب من نافذة شبكية تطل على بحر عمان وقد أحاط بالمنضدة ثلاثة مقاعد على النمط الانجليزى • وقد طلب من مسز مينان أن تجلس على أحدها وجلس الامام على المقعد الثانى بينما دلفت دون أى احتفال « ملكة عمان » التى جلست على المقعد الثالث الخالى ، وجلست والدته الى جوارها • وجلست على الأرض خادمتنا الهندوكية ، عند قدمى سيدتها •

وتقول مسز مينان اننى لم أكد أتحدث بكلمة عربيـة واحـدة ، لذا كانت الهندوكية وسيلة نقل المحادثة ، وكانت جميع النساء الأخريات مع عدد هائل من الأطفال من كلا الجنسين يحملقون فى بدهشـة من مسافة قريبة باعتبارى أول سيدة أوربية تزور حريمهم • وكانوا يلبسون حللا غالية الثمن ، وتنوعت ملابسهم وظهر كثير منهن بدينات وكن جميلات الى حـد ما وكانت صاحبة الجلالة أكثر الحاضرات وضوحا • ولكن من هـو هذا الذى يستطيع فى مثل هذه المناسبة أن يعمل أكثر من القاء نظرة خاطفة باحثا عن الجمال الشخصى ، بينما امتدت أمامه كل هذه الوليمـة للعيون فى زينة فاخرة ؟

ليس فى استطاعة مئات الآلاف من الروبيات أن تشترى نصف ما كانت تتقلده ، وكانت زمردة أكبر من بيضة الحمام تتوسط قلادة من الزمرد والماس والياقوت . وقد اختفت قدماها ورسغاها تماما بكمية ضخمة من الحلى المطعم بالجواهر ، كذلك كانت يداها الى ما فوق قد غطاها قفاز مذهب الأطراف بينما كان ذيل الرداء من الساتان القرمزى طويلا جدا وموشى بالذهب ، وملقى على الأرض . وكانت ترتدى تنورة من الساتان القرمزى على نفس الطراز الذهبى الأطراف ، وحتى تستكمل الملابس تناسقها فقد استقر شال كشميرى ثمين على كتفيها ثم استقر فى حجرها . وقد وضعت على عينيها (وكل السيدات الحاضرات كن يضعنه كذلك) شيئا أقرب الى أن يكون نظارات وهو ما يسمى البرقع مصنوعا من نسيج مقوى بمهارة ومزين بالذهب ، وترتدى السيدات هذا البرقع غير العادى فى حضرة الامام ، ويخلعنه اذا ما بعد السلطان . ويخفى هذا الحجاب جزءا من الأنف ويربط خلف الرأس فتبدو كأنها قناع .

وقد أصبت بدهشة كبرى عندما أدخلونى حجرة ذات مظهر غنى بدرجة تفوق الخيال ، ويتدلى من السقف عدد من النجف ، ونوافذ زجاجية بطول الجدار وتصل من السقف حتى الأرضية ، ولم يظهر التبطين بالخشب الا فى أحد أركان المسكن حيث يوجد سرير ، وكان الديوان الذى يحيط بالحجرة مرتفعا حوالى ثلاث بوصات ومغطى بأفخر أنواع السجاد الفارسى يتشابه الى حد بعيد مع الشال الكشميرى فى النسيج والرسوم . ووضع صفان من الوسائد الصغيرة ، وكان صف الوسائد المرتكز على الحائط مصنوعا من نسيج هندى بينما كان الصف الأول مصنوعا من قماش الساتان موشى بالذهب بهدب وشراشف موشاة بالذهب كذلك .

وبالرغم من أن طبيعة صاحب الجلالة الهدوء الا أنه فى الوقت نفسه لا ينقصه العزم عندما تحتم الظروف ذلك .

وكان سعيد يمتلك القدرة بدرجة عالية جـــدا على معاملة الناس برفق • وكان مراقبا صارما لقوانين الدين الاسلامى • ويتناول مشايعوه وتابعوه سيرته بمحبة الأطفال لوالديهم ، وكان يعلى من شأن العدالة ، ويصرف من عنايته لتدبير القوانين المنصفة الخالية من المحاباة • وعندما يسقط أحـــد الرعايا المستحقين فى ظروف سيئة كان السلطان يقدم له قدرا من المـــال دون أى نوع من أنواع الفائدة • وباختصار فانه يقدم فى كل مجال تباينا حادا مع جميع الحكام العرب • وانه حقا أعظم الأسود ، فى الشرق •

وبالرغم من أن السيد سعيد الحاكم الحالى قد بذل كل ما فى قدرته للقضاء على الرق ، الا أن هذه التجارة المحرمة استمرت نشطة بين ساحل أفريقيا الشرقى وبين عمان • وحرصت كل أسرة على الاحتفاظ باثنين أو ثلاثة من الرقيق من الجنسين • وان امعان الفكر فى كيفية معاملة هؤلاء الأرقاء فى المكانين عمان والساحل الشرقى يثبت أنها كانت معاملة مميزة •

ويتحدث الرقيق كثيرا مشيدين بأخلاق العرب وأنهم أكثر الســـادة رقة وانصافا • حقا ان الأرقاء غالبا ما يصلون الى مناصب تحتاج الى ثقة تامة ومسئولية وان بعض السفن الثمينة التى تتاجر بين الساحل والهند يتولى قيادتها أرقاء يقدمون دائما لسادتهم حسابا دقيقا بدرجة أكبر من كثير من القادة الانجليز الذين أعرفهم بالاسم والذين يعملون على سفن أصحابها من العرب • وان اقامتى فى بلاد العرب أقنعتنى أن الرقيق يشعر حقا بالسعادة ، كذلك فاننى أشعر بأن حالته عندما يقارن بأحوال معظم زراع أوربا ، فان الرقيق فى كافة الحالات هو الأكثر حظا •

٨ ــ **ستوكيلر** Stocqueler : زار مسقط عام ١٨٣١ •

كان (السلطان) قد استمع الى حدوث ثورة فى فرنســـا عام ١٨٣٠ ، وكان متشوقا للتعرف على موقف الملك الانجليزى من قبوله الاعتراف بلويس فيليب وعما اذا كانت الثورة نشرت عن نفسها فى البلاد المجاورة •

انه رجل لطيف ، نبيل المظهر فى نحـــو الأربعين من عمره ، وهـــو حاكم عادل ومحب شريف • وأهالى مسقط ينظرون الى الامام نظرة توقير ، وهم يؤكدون أنه رجل عادل فى معاملاته وقراراته ليبرالى النزعة ، يتطلع بحماس الى التطوير ، متسامح فى أديان البلاد الأخرى •

ان حكومـــة الامام تتصف بالرقة والحساسية ، وان الأهالى الذين يعرفون حكمه يظهرون سعداء الى حـــد كبير •

٩ — روبرتس Roberts : مسئول بعثة أرسلتها حكومـــة الولايات المتحدة الأمريكية الى مسقط ، زار مسقط فى سبتمبر ١٨٣٣ •

يقـــول : ان جميع أصحاب الأديان فى نطاق دولة السلطان لا يتمتعون بالسماح فحسب ، بل ان صاحب الجلالة يضعهم تحت حمايته ، وليس هناك أى عقبة تمنع المسيحيين واليهود والوثنيين من ممارســـة شعائر ديانتهم أو انشـــاء معابد لهم •

كان الهدف الأوحـــد لزيارتنا مسقط هـــو محاولة عقد معاهدة تجارية مع جلالة الملك السيد سعيد بن سلطان ، والحصول على تخفيض فى الجمارك ورســـوم الموانى التى تدفع على تجارتنا ، لكى نضعها على أساس متين مع أكثر الدول خطورة • وقد حدد السلطان موعـــد الاجتماع بعد ظهر اليوم التالى لوصولنا • وقد هبطت الى الأرض بصحبة كابتن جيزنجر Geisinger ، والضابط شيلدرز من السفينة بوكسر •

وقد وجدنا السلطان ومعه ابنه الأكبر حاكم بركاء وعشرة من الرجال الذين يكونون ديوانه جالسين فى الشرفة التى تواجه الميـــاء • وجلس الحاكم والمستشارون على مقاعد تواجه بعضها البعض ، بينما جلس السلطان

فى زاوية على بعد حوالى عشرة أقدام •• ونهض السلطان بسرعة عند دخولنا وســار بين حاشيته حتى الأرضية المرتفعة للحجرة ، واستقبلنا ببشاشة وصافحنا بيده • ولم يكن هناك أى مظهر من مظاهر التحقير مثل الزحف أو تنكيس الرأس أو الضرب على الرأس ، بل كان الجميع تبدو عليهم الشهامة وهم وقوف على أقدامهم • وبعد تبادل كلمات التحية والمديح والاستفسار العادى قدمت لنا القهوة والشربات •

وجلست على كرسى بالقرب من جلالته على الناحية اليمنى ، وبدأنا حديثا خاصا عن طريق المترجم الكابتن خلفان ، وهــو على معرفة بالهــدف من البعثة (بعد أن قدمت أوراق اعتمادى) • ووافق السلطان فورا على رغباتى بالسماح بدخول تجارتنا الى موانيه • وعلى نفس مستوى الشروط الخاصــة بأصدق أصدقائه الانجليز ، أى بدفع ضريبة وقدرها ٥ ٪ خمسة بالمــائة عند وصول الشحنة ، والاعفاء التام من أى ضرائب أو مكوس سواء فى حالة الاستيراد أو فى حالة التصدير بل وكذلك قيمــة عملية الارشاد • وعند قراءة البند الخامس من مشروع المعاهدة الذى يدور حول بحارة أى سفينة غارقة ، فان السلطان اعترض فورا على الجزء الخاص بالتعويض للنفقات والتى ستكــون بالضرورة مكلفــة لدعمها وتقديمها الى الولايات المتحدة • وقال ان البند يجب تغييره لكى يكون هــو الملقى على عاتقه حماية البحارة والحفاظ عليهم واعادتهم الى بلادهم الأصلية دون دفع أى نفقات • وقد أبدى ملاحظة بأن ذلك يتعارض مع عرف العرب وحقوق الضيافة التى خبروها فيما بينهم ، وقد ضمت هــذه الفقرة بناء على طلبه • والسلطان لطيف يتمتع بسلوك اسلامى لا يتطلب مجرد شجاعة فوق أى تســاؤل كما اتضح فى أثناء الحروب حيث أصيب اصابة خطرة بينما هــو يحــاول انقاذ جندى انجليزى من جنود المدفعية • وهــو محب صارم للعدالــة ويمتلك النزعة الانسانية ، وتحبه الرعية حبا جارفا • كذلك كان يتمتع بوجهة نظر ليبرالية عادلة فيما يخص التجارة ، ليس فقط بعدم اقامة أى عراقيل فى طريقها ، ولكن كذلك بتشجيع الأجانب مثلهم مثل رعيته •

١٠ ــ **هــارت** Hart : كابتن فى السلاح البحرى الملكى • وصل الى زنجبار فى ٣٠ يناير ١٨٣٤ •

يقــول : استقبلنى جلالته مصحوبا بضباطه على درجات الشرفة بشكل لطيف مجامل وهــو يتهيأ لمصافحتنا باليد • وأشار الى الطريق الــذى كان علينا أن نتبعه ، وقادنى الى حجرة مستطيلة وجلس وجلست بجانبه ، وبعد العديد من الاستفسارات عن صحتى وأمله فى ألا تكون الرحلة شاقة ، بدأ بالتعبير عن مــدى سروره لرؤية سفينة انجليزية ، وعند سماع طلقاتها أحس بفرح طاغ اذا أنه كان واثقا من أنها سفينة حربية ، وهــو دائما يعتبر الانجليز من أصــدقائه وأنه سعيد برؤيتهم فى كل وقت ، وأنه لن يألو جهدا فى سبيل اثبات عنايته بقدر الامكان •

وكانت السفينة ايموجين Imogene قد تهيأت لاستقبال جلالته وكأنها ترتدى حلة زاهية منذ الساعة الثامنة صباحا • وفى الوقت المحدد اصطحبته جميع القوارب لحماية جلالته عند وصوله على ظهر سفينته الخاصة التى ترفع علمــه الأحمر ، بينما اتخذت القوارب الأخرى شكل صفين •

وقــد استقبل جلالته بالتحية الملكية ، وكان بصحبته ضباط بكامل ملابسهم الرسمية ، وكذلك رافقه اثنان من أبنائه والحاكم (عم سعيد) • ووصلنا الى القمرة حيث جلس الجميع فترة ، وقدمت المرطبات ، ولكن اذ كان ذلك فى شهر رمضان حيث يصوم الجميع فقد رفضنا تناول أى شىء • وبدأ جلالته حديثه معى بتوجيه الشكر لى على هذا الاهتمام الى درجــة أنه لم يكن فى استطاعته التعبير عن شعوره ووصفه بأنه من الداخل ومن أعماق قلبه •

وقد علمنا ــ من خلال المترجم ــ أن السلطان يبلغ الرابعة والاربعين من عمره (فبراير ١٨٣٤) ، ولكن مظهره كان يوحى بأنه أكبر من ذلك • وكان

طويل القامة ، قوى البنية ، ذا مظهر رفيع ، مع تقاطيع الوجه التى توحى بحب الخير ، وكان واضحا ، ذكيا ، ذا عين فاحصة • وكانت مناقشاته سارة ومقبوله الى أقصى حـــد • وقد أعجب بالانجليز وبكل ما هــو انجليزى وقد أصيب بجرح منذ عدة سنوات أثناء حملة مشتركة مع الانجليز •

١١ — **روشنبرجر** Ruschenberger : جراح بعثة الولايات المتحــدة حول العالم • زار مسقط فى عام ١٨٣٥ •

يقــول : فى نفس ظهيرة اليوم كانت هناك جلســة مع السلطان • وقد استقبله جلالته فى الديوان المواجه للميناء بكل الاخلاص والود • وأظهر بوضوح مدى عمق مشاركته فيما صادفناه من ســوء حظ ومتاعب • وقد قدمت لنا جميع أنواع المساعدة مع الاصرار عليها • ولم يكن ذلك صادراً من جلالته فقط بل وكذلك من ابنيه والحاكم والى مسقط ، ومن جميع أعضــاء الديوان أو المجلس ، وقد سبق لهم معرفة مستر روبرتس شخصيا فى أثناء زيارته السابقة • وقد أشــار السلطان ، وهو جالس على كرسيه ، باعطاء سفينة حربية صغيرة فى حالة ضياع السفينة بيكوك تماما ، على أن تحمــل السفينة الحربية الضباط والبحارة الى بلادهم الولايات المتحدة •

ولكى لا تتأخر أعمال السفارة ، فان سفينة صغيرة أو فرقاطة أخرى حربية عرضت علينا لحمل المبعوث حيثما يرغب •• وبعد انتهاء مهمته تقله السفينة الى الولايات المتحدة •وقد جهز بيت لاقامة المستر روبرتس به جميع الأجهزة الضرورية أو أن يختار قمرة فى فرقاطة بالميناء • ونتيجة لاشتداد حرارة الجــو فى المدينة بشكل لا يحتمل فقد تأجل استخدام أى منهما الى أن تتأكد الأنباء عن مصير بيكوك •

وفى يــوم ٢٨ زار جلالته المستر روبرتس فى منزل كابتن خلفان Calfaun ، مما يعتبره العرب أسمى درجات الشرف وأن يتبادل السلطان

الآراء مع أى شخص • وهناك اشارة أخرى تدل على كرم صاحب الجلالة ، فان جميع الاطعمة التى تقدم لمستر روبرتس ترسل لــه من القصر ومن أجــود الأصناف فى المدينة •

وســـوف أتناول اشارة أخرى الآن بالرغم من أن ذلك لا يتماشى مع السياق الزمنى ، الا أنها تثبت كرم الأمير العربى • ذلك أنه عندما ألقيت بعض المدافع فى البحر ثم ألقينا مراسينا وجدنا أنفسنا فى موقع يبعد عن مكان المدافع الغارقة بحوالى عشرة كيلو مترات ولم تكن زوارقنا معــدة لتحمل ثقل هــذه المدافع • وبخاصــة أنه كان هناك تهديدات من جانب القراصنة ، فتركنا فكرة انقاذ المدافع • ولكن السلطان صمم على ضرورة انقاذها ، وفعلا تم ذلك وأرسلها الينا فى بومباى حيث تسلمناها ومعهــا الخطاب التالى وقد حمله أحــد قباطنة البحرية بعد أن تسلمنا مدافع غيرها من مخازن شركة الهند الشرقية •

مسقط ٦ نوفمبر ١٨٣٥

من السيد سعيد بن سلطان

الى القائد أ • ب كيندى

صديقى العزيز ــ أرجو من الله القادر أن يحفظك وأن يمتعك بالصحة الطيبة والرفاهية • اننى أبعث اليكم هــذا الخطاب للسؤال عن صحتكم ورفاهيتكم •

ان السفينة التى أرسلناها الى المكان الــذى ارتطمت فيــه سفينة الولايات المتحدة بيكوك Peacock قد عادت اليوم وأحضرت معها واحدا وعشرين مدفعا ، وعشر صوارى محطمة ، وســوف نرسل ما نعثر عليــه مثل الهلب والسلاسل بمجرد حصولنا عليها • وقد أرسلنا بالمركب الشراعى

لورد كاسلرو Lord Castlereagh سبعة مدافع • وقد قمت بدفع قيمة الشحنة ، وأرجو أن تتقبلها • وقد رأينا أنه ليست هناك حاجة أو ضرورة لارسال الصوارى فقد فقدت قيمتها • وقد كتبته أنا أكثر أفراد رعية صاحب الجلالة الكريم اخلاصا •

سعيد بن خلفان

بأمر صاحب الجلالة

السيد سعيد بن سلطان •

١٢ — نوستز Nostiz : كان اسمها سابقا فراود • هليفر وكانت فى صحبة زوجها الى الشرق • زارت مسقط عام ١٨٣٦ •

تقول : كثر الحديث عن امام مسقط باعتباره واحدا من حكام الشرق المشهورين ، فهو نموذج للأمير الشرقى ، تجمعت فيه صفات العدالة والشجاعة والبسالة مع بساطة أبدية • كذلك تردد القول بأنه ليبرالى النزعة وكريم مع الأوربيين •

وطوال مدة حكمه واتساع أملاكه ، فلم يعدم أى شخص بسبب الدين ، وكان شديد التسامح للعقائد الأخرى • وبالرغم من أنه يعتبر الرئيس الروحى لطائفته ، كان يرمى الى تثبيت نموذج للشعب عن طريق الملاحظة الدقيقة الفاحصة والمعاملات الدينية • وتبعا لبساطة سلوكه فقد سمح لكل فرد بحرية الاقتراب منه بل كان فى مقدور أى متسول أن يقترب منه ويجلس فى حضرته •

وبعد رحلة قصيرة وصلنا الى القصر حيث أعلن أنه مكان الزيارة •

وقادتنا درجات خشبية مظلمة ليست على درجــة عالية من النظافة الى الطابق الأعلى لهذا المبنى العتيق • وكانت حجرات الطابق الأسفل مفتوحة على مصراعيها • وقد مررنا بعدد كبير من الحجرات الخالية الى أن وصلنا الى صالة متسعة حيث تجمهر عدد من النســـاء كانت الفروق كبيرة بين أعمارهن ومظهرهن وملابسهن ، كما كان معهن عدد من الأطفال • وقد قدرت عدد الحاضرين بما لا يقل عن مائة فرد • وأولئك هن أتباع زوجته الشرعية الى جانب الاميرات •

وفور دخولنا نهض الجميع ووقفن على شكل طابور لافساح الطريق لنا • وان سرعة عبورنا الحجرة لم تتح لى فرصـــة مراقبتهن • وفى أقصى طرف من الحجرة فتحت احدى السيدات بابا ضخما قادنا الى داخل مساكن الحريم أى جناح زوجته الشرعية • وقد وجدنا أربع سيدات هن أمه وزوجته وابنته واحدى أخواته • كانت الأولى مرتدية ثوبا معتم اللون عار عن الزينة ، يليق بأرملة ، وقد أبعدت الحجاب جانبا وجلست بشكل معتدل على مجموعة من الوسائد الصغيرة على مقربة من السيدات الأخريات اللواتى تحكمهن الأم على ما يبدو •

أما زوجــة الامام فقد كانت على العكس تماما ، كانت متألقة بكل ما تحمله من البهاء الشرقى المألوف • كانت ملابسها من أثمن أنواع الحرير المزركش بالذهب والفضة • أما حليها فكانت من الزمرد واللآلى والياقوت • وقد جلست على مجموعة من الوسائد ذات الألوان اللامعة واستعمل فى نسيجها خيط فضى ، وقد تناثرت الوسائد على السجاد الجميل •

أما ابنتها وكان عمرها يتراوح بين ١٢ سنة ، ١٥ سنة ، فقد استلقت بجــوار والدتها ، وغطت أطرافها بثوب شفاف يشبه نسيج الكريب بلون الأرجوان الأحمر ، وقد غطت وجهها مثل باقى السيدات بنقاب من السلك

أشبه ما يكون بالنظارة ، وبه فتحة بيضاوية للعينين ، وزادت حوافها السوداء من تأثير عينيها السوداويتين • وهذه الأقنعة المحلاة بالجواهر من كل صنف ، ليس الغرض منها اخفاء الملامح فحسب ، بل هى أداة من أدوات الزينة يقصد منها زيادة الجمال لمن يستخدمها اذ أن الاحجار الكريمة اللامعة فوق الرأس تكون نقشا ممتازا لشعرهن الأسود وملامحهن القاتمة •

وكان بالحجرة سرير برونزى ذو أربعة أعمدة بتعاليق من القطيفة الحمراء اللون ، أما الأعمدة فكانت نماذج من العمل الفنى • وأشارت زوجة الامام الى السرير وقالت فى كبرياء واضحة « انه هدية من الملكة فيكتوريا حاكمة انجلترا يا سيدتى العزيزة » • وهكذا يبدو أن الزمالة الملكية بين الحكام قد اتسعت الى حد وصولها الى هذا الركن بعيدا عن العالم : وتحدثت كثيرا عن علاقات الصداقة بينزوجها وصاحبة الجلالة ملكة انجلترا التى أرسلت له هدية سفينة حربية جميلة •

أما الملكة الأم فكانت منهمكة فى تطريز منديل للجيب ، وعندما شاهدتنى أنظر نحوها أظهرته لى وطلبت منى معرفة ما تعمله بدقة ، وقالت انها تعلمت التطريز من سيدات أوربيات وأنها مغرمة به جدا • وهذه هى المرة الأولى والوحيدة التى رأينا فيها سيدة اسيوية تشغل نفسها بأشغال الابرة •

وحضر شخص ووضع تحت قدميها خطابا سرعان ما فتحته ووجدته من الامام الذى كان غائبا لاشتراكه فى الحرب ، وكتب لها ليقدم بيانا عما حققه • ويبدو أن الأمر كان يبعث على سرورها اذ سنحت لها الفرصة للتفاخر بذكائها ورفعة منزلتها • وفى هذه الأثناء قدم لنا أفخر أنواع الفاكهة والمأكولات المحفوظة ، على أطباق من الكريستال • ثم انسحبت باقى السيدات الى حجرة أخرى ملحقة ، وقد اعتقدت أن ذلك أمر مثير للدهشة ، ولكنهم أخبرونى أن هذه هى العادة حتى يستطيع الزائر أن ينعم بكمية الطعام الذى يروق له • وهذه بدون شك ميزة رقيقة من الكرم فى بلاد قد

يسافر الأجنبى طوال اليوم مخترقا الصحراء المحرقة وهو فى حالة جوع أو عطش ويتطلع الى غذاء مناسب •

وقد لا حظت أن السيدات ينظرن الى بخجل ، وبعد ذلك يخفضن عيونهن وعندما تساءلت عن ذلك علمت أن وجهى غير المغطى بأى شىء بدا لهن أمرا شنيعا كما يحدث لنا عندما نشاهد شخصا عاريا • وقد حاولن وضع أحد الأقنعة على وجهى • ثم تولت ذلك احدى الخادمات وعندما انتهت من ذلك فانهن صحن Tahil , Tahil (أى جميل ، جميل) •

وبعد العديد من الأسئلة واتصالات متبادلة ، أظهرت الأميرات ذكاء وتهذيبا أكثر من أى سيدة مسلمة قابلتها فى حياتى ، بل وكذلك المسيحيات من قارة آسيا ، ثم استأذنت للرحيل وقد أعدت القناع الجميل مع الأسف اذ كنت راغبة فى الاحتفاظ به كتذكار لهذه الزيارة •

١٣ — **ويلستيد** Wellested : ضابط بسلاح الهند البحرى وصل الى مسقط فى ٢٤ نوفمبر ١٨٣٥ •

يقـول : نظرا لأننى كنت على معرفة سابقة بخاصية الكرم للسيد سعيد ، فقد أصبت بالدهشة لتشوقه الجارف الذى أبداه نحو تنفيذ مشاريعى فيقول « ان مثل هذه المناسبات هى التى تمنحنى السعادة الحقيقية طالمـا أنها تمكننى من خلال مقابلة أغراض حكومتكم لاثبات مدى قوة الرباط الذى يربطنى بهم » • وأضاف فى نبرة واضح فيها الاخلاص « ان هذه الكلمات ليست من الفم ولكنها من القلب » •

وفى صبيحة اليوم تسلمت حصانا نجديا لطيفا من جلالته استعدادا لرحيلى ، وطوقا لكلب سلوقى ، وسيفا ذا مقبض ذهبى ، كل ذلك مع ايعاز بأننى طالمـا بقيت فى عمان فانه سيقوم بسداد أى نفقات خاصة بالجمال

والمرشدين ... الخ ، وأن الخطابات قد تم اعدادها تحت رعايته وموجهة لرؤساء المناطق والتى سأمر فيها طالبا منهم حسن استقبالى بكل العناية الممكنة . وفى هذه المناسبة كانت هناك روح فى الأسلوب أو الوسيلة تعمل بكل وفاق مع صاحب الخلق النبيل الذى يحمله .

وقد بلغ السيد سعيد اثنين وخمسين عاما وحكم ٢٧ عاما وهو طويل القامة ذو مظهر آمـر وملامح معتدلة تلفت الانتباه ، وهو حاذق ويمتلك أسلوبا لطيفا ، أنيسـا ، مبجـلا . وكان من عادات السلطان الشخصية الاحتفاظ ببساطة أصله البدوى ، وهو معتدل لدرجة تقترب من الزهد ، ولم يتحلى بأية مجوهرات بتاتا ، أما ملابسه فهى بغض النظر عن نوعية النسيج ورقته ، فانها لا تفضل ملابس أى مواطن مسئول .

وفى جميع المناسبات لم يكن مرافقوه يشكلون موكبا فخما أو أى مظهر من المباهاة . ويلاحظ العرب أن من بين الدلائل على دفء العواطف ، أن سعيدا كان يزور والدته صباح كل يوم ، وهى لاتزال على قيد الحياة ، ويبدى فى كل الأمور طاعته الثابتة لرغباتها ، وفى خلال تعامله مع الأوربيين كان دائما يعرض أقصى درجات الرعاية واللطف الدافئة . ولو كان هناك بين الأمراء جميعا من يحق له أن يحمل بصدق لقب صديق الانجليز فانما هو امام مسقط ، ومن جهتنا فان الارتباط السياسى معه يبدو كأنه يشمل من الاخلاص قدرا أكبر مما هو مفروض وجوده عامة .

وتتميز حكومة هذا الأمير بميزة أساسية هى اختفاء جميع الضرائب وكل أنواع العقاب الجائر وابداء الاهتمام للتجار منأى دولة وهؤلاء الذين يأتون للاقامة فى مسقط ، وكذلك بقوة الاحتمال العامة التى امتدت مع كل الاغراءات ، بينما على الجانب الآخر فان نزاهته وعدم تحيزه وتساهله فى العقاب .. كل هذا مع الاهتمام الدقيق الذى يوجهه للصـالح العـام لرعاياه مما زاده احتراما واعجابا لدى العـرب اذ أن سـخاءه وشجاعته

الشخصية عززت مكانته لدى البدو • وهذه الصفات المميزة قد جلبت له فى كل أجزاء الشرق لقب عمر الثانى •

وفى فترة اقامتى هنا فى صــور تسلمت الرسالة التالية من صاحب الجلالة الامام •

باسم الله الرحمن الرحيم • من سعيد السلطان الى فخامة الكابتن ويلستيد الموقر المحترم المحبوب ، من حكومة الشرق ، السلام لك من الله العلى ، فان خطابكم وصلنا وهو تأكيد على حبكم فى تذكرنا ، وقد ابتهجنا كثيرا لوصولكم الى صور ثم انتقالكم الى جعلان التى بقيت على حالها منذ ادارتنا لها ، ثم منها الى سمد التى تقدم لك الشكر ولذلك فنحن مسرورون ، وأكثر من ذلك فان أى شىء ترغبون فيه مهما كان صغيرا أو كبيرا ، فان كل ما تفعله أن تعلمنا ونحن من جانبنا سنتقدم ما يلزم • والسلام لكم ووداعــا •

المخلص

سعيد سلطان

ان أوربا حتى الوقت الحاضر لا تعرف سوى النذر اليسير عن هذا الأمير المستنير • وان هديته الملائمة الى ملكنا البحار ، وهى سفينة حربية ضخمة تامة التجهيز ، ورغبته فى تكوين تحالف أكثر اخلاصا مع بريطانيا العظمى •• كل هذه الأمور زجت به فى بعض الشــئون السياسية ، وان تشجيعه السخى للعلوم والفنون قد اجتذب انتباه مجمع علمى ذى نفوذ ، فأعلن هذا المجمع منحه العضوية الشرفية •

ان هذه الأحداث انما هى أمور طفيفة وسوف أطلب شيئا من التسامح لادماجها • وفى الواقع فاننى اذا كنت أسجل كل عمل يستحق الاعتبار

والكرم منذ وصولنا من جانب الأمير وطوال فترة اقامتنا فى عمان فلن يكون هناك سوى بضع صفحات فى هذا السجل كان من المحتمل ألا تظهر . ولكى نقول انها قوبلت بالموافقة مع اختلاف وسمو المشاعر أكثر مما تتعرض له عادة لكى ترى أفضال الكبير ، ويعبر بصوت خافت عن احساسى وذاكرتى ، ولكن اذا كان من واجبها أن توقظ شعورا يعبر عن هذه الطبيعة فقد يحمل معه فكرة للآخرين من الطراز والروح التى منها ينالون المنح .

تعد مسقط أكبر سوق لتجارة الرقيق يجـد فيها كل شخص مبتغاه ليرسله الى الخليج الفارسى أو بغداد أو البصرة ، وقـد مارس الأئمـة السابقون هذه التجارة المحرمة ، وحققوا دخلا سنويا يبلغ ٦٠ ألف دولار أو ما يقرب من ١٣ ألف جنيه استرلينى ، ولكن السيد سعيد ، بحرية لم تحدث من قبل ، ترك هذه التجارة دون أى مقابل سوى ارضـاء حكومتنا التى تحمست فى سبيل القضاء على هذه التجارة . هل هذا يعد كرما ؟ هل هى عدالة ؟ وفى أسبانيا حيث الحكومة مسيحية ، فقد منحناها مائتى ألف جنيه الى جانب التجاوز عن ديون بلغت عد قملايين من الجنيهات لاتخاذ قرار مثل هذا القرار ، ومع ذلك فان أميرا مسلما يعتنق دينا لا يحرم الرق فى صراحة (ولو أن ذلك لم يحدث عادة) فنحن نقدم له الشكر ، وأرجو أن نكون قد فعلنا ذلك على الأقل بالرغم من أننى لم أسمع أى نبأ عنه ، لندع انجلترا التى تقف حتى الآن بجرأة فى قضية قد يقال عنها انها تعلو فوق الآخرين جميعا فى العصر الذى نعيش فيه ، وأننا طبعناه مع قالب موشى بالكتابة أو بالنقش من أنقى مضمون واقعى للمسيحية ، فانا نجـد حاكما لمنطقة قصية من بلاد العرب يتفوق عليها بالكرم .

١٤ — **كرابف** Krapf : من الارسالية الألمانية — زار زنجبار فى ٧ يناير ١٨٤٤ .

عندما سمح لنا السلطان بالجلوس أخذت أصف له باللغة العربية وهى لغته الوطنية ، وحدثته عن مغامراتى فى بلاد الحبشة وخططى التى

أضعها لهداية قبائل الطالاس • وكان ينصت الى كلامى بانتباه ووعدنى بتقديم كافة أنواع المساعدة ، وفى نفس الوقت شرح لى ما سوف أتعرض له من متاعب ، وبالرغم من كبر سنه الا أنه كان فى صحة جيدة وصديقا محبا للعشرة •

وقد أخذت معى خطاب توصية من السلطان السيد سعيد موجها الى حكام منطقة الشاطىء ، كان يحمل الكلمات الآتية : « هذا (الخطاب) من السيد سعيد سلطان ، تحياتنا للجميع رعيتنا وأصدقائنا والى حكام منطقة الشاطىء مكتوب بالنيابة عن الدكتور كرابف الألمانى ، وهو شخص طيب يرغب فى تحويل العالم بأجمعه الى عبادة الله • عامله بالحسنى ، وكن رهن اشارته فى أى مكان •

وكم كان الأمر بعيدا عن خاطرى عندما بدأت رحلتى وأنه بمنطقة من جنوب أفريقيا يوجد أمير عربى يمهد لى طريق الوصول الى الوثنيين ، فاذا كان الأمر كذلك فانه بدون الاستيلاء على ممبسة على يد أمير عربى يميل نحو الأوربيين وبخاصة الانجليز مثلما هو حال امام مسقط فان تأسيس مركز تبشيرى فى أراضى وانيكا Wanika لم يكن يقــدر له الانشاء بتاتا •

١٤ — جيــان Guillain كابتن فى البحرية الفرنسية — زار زنجبار عام ١٨٤٦ •

يقــول : ما ان هبطنا من السفينة حتى ظهر السلطان على مدخل القصر (متونى) يتبعه العديد من أبنائه وضباطه العظام • وعند اقترابنا نزل بضع الدرجات التى تفصل الباب عن الأرض واستقبلنا استقبالا وديا ولائقا فى وقت معا ، وانه من النادر أن يجمع انسان الى هذا المستوى العالى بين جلالة القوام ونبالة المحيا ، وكمال لطف الايماءة •

كنت أتأمل هذا الشيخ ذا الوجه الوسيم بكل اهتمام حيث تظهر نبالة العرق والأضرار التى سببتها أهوال أو اضطرابات الحياة السياسية ، انه ممشوق القوام مهيبه ، ويستطيع المرء أن يكتشف بسهولة أن بنيته كانت قوية ، وان ملامحه تبدو جميلة ، وان هيئته الزكية تتنفس الهدوء ، ولا تكشف الا نادرا الانفعالات التى يريد اخفاءها ، ولاشك أنه كان فى شبابه يقظا ومندفعا ولكنه تعلم مبكرا فن اخفاء انطباعاته وأفكاره ، الا فى حالة المساس به أو معارضته بشدة ، فان حمرة عابرة تكسو وجهه الهادىء دون أن تفسد انسجام القسمات وجمود العضلات ، لقد قلت انه يمتلك الى حد كبير نبالة الحركة ووقارها ، ويتعامل مع الأجانب بكل لطف ، ويظهر أمامهم شيئا من الرقة فى تصرفاته ، ويلاحظ أنه يقدر موافقتهم واعتبارهم له ،

١٦ — شبرد Shepherd : زار مسقط عام ١٨٥٦ ،

ان الامام الحالى انما هو استثناء فى نظام الحكم العام للمستبدين ، وقد أصبح رجلا وقورا يتمتع بحب جارف من رعيته ،

انك تتقابل مع سيد صاحب نظرة رقيقة ولحية بلون الفضة البيضاء ، ويحييك بقبضة يد قوية (مثل جون بول) ، اقتدى أثرها ثلاثة من الوجهاء متوسطى الأعمار ثم أولاده واثنين من أحفاده ،

ان وجهه رجولى حاد القسمات ذو حواجب عريضة ، وعينين رماديتين وفم مغلق تماما يحيط به شارب فضى اللون ولحية ينتهى شعرها المدبب أسفل دقنه بحوالى ست بوصات ، ويتمتع سعيد بالحزم والهدف الشريف ،

والشعور الرقيق ، والتصميم •• كل ذلك مرتبط بحسن اللقاء الحقيقى وقبضة يد دافئة تشعرك بالاحترام فورا • وكان طوله ستة أقدام مع تناسق أجزاء الجسم ، خطواته ثابتة مرنة ، يتحرك بسرعة كالسهم • واذا نحن تغاضينا عن وجهه الناضج ولحيته الرمادية فانه يمكن اعتباره رجلا فى مقتبل العمر •

انه واحد من الأشخاص ذوى الطلعة النبيلة الذين قابلتهم فى الشرق • ولا توجد لمحة واحدة على وجهه تشير الى أنه مذنب فى دفع العشور (أشبه بالزكاة) • ولكن هناك الكثير فهو معتدل ، كريم ، رقيق ، محب لدرجة أنك تحاول تبريره وحمايته تحت ذريعة بأنه ما أقدم على ما أقدم عليه الا بدافع الضرورة القصوى •

١٧ — **جوبينو** Gobineau : دبلوماسى وكاتب فرنسى — زار مسقط عام ١٨٥٦ ، العام الذى توفى فيه السيد سعيد •

يقول : كان السيد سعيد أو مولانا سعيد بسيطا فى ملبسه مثل سائر سكان مسقط وسواحل الخليج الفارسى تماما • كان يرتدى جلبابا من القطن وعباءة سوداء من الصوف الرقيق جدا ، ويضع على رأسه عمامة من نسيج حريرى موشى بخيط ذى خطوط صغيرة بيضاء وزرقاء وحمراء • وهذه العمامة واسعة الانتشار فى كل آسيا الوسطى ويفضلها الأفغانيون بصفة خاصة • ويمسك السيد سعيد عصا طويلة يتكىء عليها ، وهو يسير بنبل ووقار • انه يبدو عجوزا ولحيته ناصعة البياض ، وعيونه سوداء وديعة ، ووجهه يعبر عن هدوء كامل ، وابتسامته ناعمة وروحية بنوع خاص • ويضوع منه هذا النوع من التوازن بين مختلف الأحاسيس ، وهو فى كل

البلاد ، طابع يميز الانسان لطيف المعشر • ان وجود السيد سعيد يدل لا على انسان عظيم فحسب ، ولكن على انسان ذى خصال طيبة نادرة •

ولمـــا كان الامام قد أبلغ الوزير أنه سيرورنا فقد لزمنا بيتنا وما لبثنا أن رأينا عن بعد السيد سعيد خارجا من منزله ، سائرا على قدميه ، متكئا على عصاه ، يتبعه أولاده السبعة ووزيره وكأنهم حرس له • لقد كان حقا شبيها بملكى صادق ملك بيت المقدس • وقد التقينا وكأننا أصدقاء قدامى •• انه أمير رائع فريد ، من نوع الملوك الذين حكمت عليهم مواردهم الضعيفة بأن يكونوا فى الغالب حكاما غير مرموقين • ولكنه بسلوكه طريقا جديدا كل الجدة ، نجح فى أن يجعل جيرانه الأقوياء يقدرونه وعندما تركنا الامام كان الوداع رقيقا •

١٨ — رويت Ruete : ابنة سعيد بن سلطان •

حيث أننى كنت واحدة من أبنائه وبناته الصغار ، فاننى لا أتذكر من والدى الا أنه كان شيخا بلحية بيضاء كالثلج ، متوسط الطول ، وقد تمتع بملامح جذابة سارة • وكان مظهره يبعث على الاحترام • وعلى الرغم من ميوله العسكرية وسروره بالانتصار ، فقد كان أبا وحاكما نموذجيا يضع العدالة أعلى من أى شىء آخر • و فىهذا الصدد لم يفرق بين الأهالى حتى ولا بين أحد أبنائه وأقل الرقيق شأنا • وكان متواضعا جدا أمام الله • ولم يكن مغرورا بنفسه أو متكبرا كما هو حال الكثير ممن ولدوا فى طبقة رفيعة • وكم كنا نراه يمتطى حصانه وحيدا ودون أى مرافق لحضور حفل زواج أحد الأرقاء الذى لفت انتباهه بخدمته المخلصة سنين عديدة وذلك لكى يقدم التهانى شخصيا للعروسين •

ولم يكن الرأس المدبر والمحب المكرس نفسه لصالح عائلته فحسب بل كان أيضا ملكا ذا ضمير وأبا حقيقيا لعشيرته . وقد أثبت الحداد العام عند وفاته كم كان مخلصا الى حد أن الجميع كانوا يحبونه . وقد رفعت رايات الحداد السوداء على كل منزل بل حتى فى الأكواخ الصغيرة ثبتت قطع من قماش أسود اللون عند وفاته .



ملحق « ٢ »

إمامـــــــة عمـــــــان

كان يشار لسعيد بن سلطان عادة بثلاثة ألقاب هى : سلطان [١] ، امـــام ، السيد . وكان اللقب الأخير من بينها هـــو الأكثر استخداما [٢] . بينما كان السؤال عن لقب الامام ليس أمرا سهلا .

ومند تأسيس الملكية ولعدة قرون بعد ذلك ، فان أجـــداده السابقين كانوا يحملون لقب الامام [٣] واستخدموه وكانوا على حق فى ذلك . أمـــا سعيد فلم يحمل لقب الامام ولم يدعى ذلك بتاتا . وعلى أية حال . فقد اعتاد مندوبو الدول الأجنبية الذين اتصل بهم على تسميته بالامام على اعتبار أن حكام عمان أئمة فعلا [٤] . واستمروا يعاملونه باعتباره اماما ، لذلك فغالبا ما يشار اليه باعتباره اماما لمسقط أو اماما لعمان . وهكذا نجد من المناسب أن نطرح للمناقشة ثلاثة أمـــور :

ماذا يتضمن اسم امام ، والى أى فترة كان حكام عمـــان يحملون لقب امام ، ولمـــاذا توقفوا عن ذلك ؟

---

(١) Mansur (ص ٢) يقول اننى تعودت على اطلاق كلمة سلطان على حاكم مسقط كما كان أتباعه ينادونه . انظر Palgrare جـ ٢ ص ٢٨٥ .

(٢) Badger ص ٣٧٧ ، ٣٧٩ ، Handbook ص ٣٧ ، Ingrams ص ٧٣ ، Massignon ص ٥٩ ، Mansur ص ٤٩ .

(٣) بيان بالقائمة الكاملة للائمة منذ عام ٧٥١ حتى عام ١٨٠٨ فى Badger

(٤) Buschenberger جـ ١ ص ١٣٧ يقول أنه فور تولى سعيد الحكم فان الشعب اصبح يطلق عليه لفظ امام ولكنه كان من الحنكة بحيث لم يستجب لرعيته اذ أن ذلك كان سيرغمه طبقا لمـــا كان سائدا فى الدولة لاتباع سياسة تقوم على الزهد والفقر دون التمتع بما يملك من زوه .

بالعودة الى الأصل العربى [١] نجــد أن الكلمة تدل على حاسة أو شعور بالهدف أو بالكفاح • وبذلك فان امام انما تعنى نموذجا أو نمطا وضع لتقليد الآخرين ، وانه ليس بالضرورة لقبا شخصيا ، ولذلك ، على سبيل المثال ــ استخدمت الكلمة فى القرآن للاشارة الى الكتاب المقدس ، ولكن فى الحقيقة تستخدم عامة للدلالة على أن شخصا باعتباره معلما للدين [٢] •

وفى الواقع فانه فى الأزمنة السالفة كانت الكلمة تشير الى الشخص المناط به امامة المصلين فى المسجد • ولم يعرف هل النبى محمد اتخــذ لنفســه هــذا اللقب أم لا ، وكان يشــار اليه ببساطة لأنه أنجز كل هذه المهام والوظائف • ولاشك أن خلفاءه فى الخلافة قد اتخذوا هــذا اللقب • ومن الواضح على أية حال فان الكلمة فى أصولها ذات مضمون دينى [٣] •

ولم تكن هذه هى المسألة فى عمان بأسرها ، وان أسباب استخدامها خاصة أمر يستدعى قدرا بسيطا من المعالجة التاريخية ، فبعد وفاة النبى محمد انقسم العالم الاسلامى كمــا أصبح شائعا ، انقسم الى قسمين أساسيين هما : السنيين والشيعيين • واستطاع السنيون تولى الخلافة فوصل أربعة من خلفاء النبى محمد هم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى • وفى عام ٦٥٧ م استطاع نفر من أتباع على القيام بثورة ضده وانفصلوا عنه وأطلق عليهم الخوارج أو الهراطقة [٤] •

ومن هذه الحقيقة أصبح لهم اسم مميز هــو الخوارج • وفى خلال

---

(١) Badger ص ٨ ، ٣٧٣ ، Huarf ج ١ ص ١٨٩ .

(٢) Badger ص ٣٧٣ .

(٣) Badger ص ٣٧٤ ، Palzraue فى كلمة القيت فى الجمعيــة الملكية الجغرافية فى ٢٧ فبراير ١٨٦٤ أعلن فى تصريح غير صحيح أن اسم الامام قــد أطلقه البرتغاليون فى فترة البوكيرك .

(٤) Badger ص ٣٧٥ ، Rep. ١٨٨٠/٨١ ص ٣٥ .

عام واحـــد تضاعف عددهم ووصلوا الى ٤٠٠ فرد ، ويروى أن عليا اذ شعر بالخوف من زيادة أعدادهم ، فقد شن عليهم حملة عنيفة وقضى عليهم عمليا • وقيل ان تسعة منهم فقط تمكنوا من الهرب من بينهم اثنان ذهبا الى عمان حيث أسسا مذهبهم الشيعى • ولم يمض وقت طويل على سمة هذا المذهب الخاص أن تغيرت معالمه أخيرا على يد عبد الله بن الأباضى ، ويحتمل أنه أتى من بغداد ، وهكـــذا تأسس المذهب الأباضى الذى أصبح هـــو المذهب الســـائد [1] •

ويختلف الأباضية عن السنيين والشيعيين فى أنهم يعترفون باثنين هما أبو بكر وعمر • وكذلك يختلفون فى الحقيقة القائمـــة على اعتبار تولى منصب الامامة بالترشيح • وهذا المذهب الأخير يعرض سمتين خاصتين أصبحتا على درجـــة من الأهمية فى التاريخ • فمن جهة أنه طالمـــا لا يوجـــد تساؤل عن تفويض لاهوتى مقدس بخصوص تعيين الامام ، فلن يكون هناك أى اعتراض ضـــد هؤلاء الذين ينتخبونه ، وهم أنفسهم الذين يتخلصون منه • وبطبيعة الحال ، فى عمان فان الصفة الأولى لمنصب الامامية هى الطاعة ، فاذا تعذر وجودها وحدث تجاوز فان الأئمـــة يمكن عزلهم ، وقد حدث ذلك • ومن جهة أخرى فلم تكن الحاجـــة ماســـة جدا لوجود امام مطلقا ، ولن يفشل الدين بدون وجـــود امام ، وفى الواقع كان عدم وجود الامام سيصبح غير ملائم بتاتا ، فالصفة المميزة الكبرى للجميع فى عمان كانت تعنى أن الأئمـــة انما يمثلون ليس فقط الناحية الروحية فحسب بل كذلك القوة الدنيوية •

ويبدو أن هذا الوضع انما كان نتيجة للوضع السياسى • وكان أول

---

(1) Rep. ١٨٨٠/٨١ ص ٣٥ ، Ross ص ٨٠ •

امام أباضى فى عمان هــو الجلندى بن مسعود عام ٧٥١ م [١] • وكان عليه أن يكافح ضد المحاولات المستمرة من جانب ما يخص الأرثوذكس أو الجانب المستقيم من الدين للقضاء على انشقاق الشريك والدخول فى المعركة • أما مريدوه وأتباعه فقد أصروا على الاحتفاظ باستقلالهم واستمروا فى تعيين الأئمة الذين لم يشغلوا أنفسهم ضد تيار الغزو الدينى فقط ، ولكنهم على نفس القدر لم يتوانوا عن اتمام عمل ما يتطلبه دينهم [٢] • وربما بسبب هــذا الادراك فقد نبع فى عمان عادة ترك القوة الروحية والدنيوية فى يد شخص واحــد •

وليس من المحتم أن يقود ذلك الأمر الى تأسيس سلالة ملكية تحكم دينيا ودنيويا ، وقد تبين بعد ذلك أى بعد وفاة الامام فان خليفته يختار ليس بالضرورة من بين المشهورين بل عن طريق مجلس يطلق عليه مجلس الرؤساء ، وكل منهم يتعامل مع زملائه باعتباره ممثلا لقبيلته • ويجتمع هــذا المجلس تحت رئاســة أحــد الرؤساء رفيع الشــأن أخلاقيا وصاحب سطوة • ويتم الاجتماع عادة فى المدينة الكبرى فى الدولة • ولم تكن هناك أى تحفظات أو قيود فيما يخص من من القبائل لها الحق أن يكون لها مندوب ، وربما ترك الأمر للقبائل ذاتها لكى تفصل فيه • وحدث ذات مرة أنه بعد الانتخاب أعلن رئيس المجلس تعيين المرشح الناجح أمام الشعب بأجمعه والذى كان هو ذاته ينال الرضا والاستحسان [٣] •

وعلى أية حال ، فان هــذا كان على الأرجح الجانب النظرى فى هذه

---

(١) كان ثالث الأئمة هو الوارث بن كعب (٨٠٣ — ٨٠٧) . وان قصــة وصوله الى الامامية يسردها Reinhardt ص ٣٨٢ ، Miles ص ٧٧ ويقول انه فى ٩٩٦ كان هناك ١٦ اماما مختلفين . والقائمة الكاملة بأسمائهم منذ ٧٥١ حتى ١٧٧٩ فى Badger ، Huart ، ص ٢٨١ .

(٢) Badger ص ١٣ ، ٣٧٦ ، Miles ص ٦١ .

(٣) Badger ص ٣١ ، ٣٨٢ .

الشئون أكثر من أن يكون ممارســة عملية ، لأننا نجــد أن هناك ، كمــا كنا نتوقع ميلا دائما لا يتغير للحصول على هــذا المنصب وأن يستمر فى داخل الأسرة . كانت عمان فى الأصل تغص بالذين جاءوا من اليمن ، وأن ميلهم الأساسى كان احتكار الامامية فى داخل القبيلة اليمنية الأزد [١] .

وبمضى الأيام يبدو أنه قد تمت تسوية عامة بين القبائل والأسر حتى تولى اليعاربة . وكان هــذا بدون شك هــو المزاولة الوحيدة العامة لانتخاب أصلح المرشحين لتولى هــذا المنصب بغض النظر عن الأسرة . وكانت فرصة للقضاء على هذه القاعدة وطرد البرتغاليين .

وكان الاحساس بأنه لكى تستمر عمان محافظة على استقلالها فان من الضرورى واللازم ايجاد ملكية راسخة قوية . وكما يتحقق عن طريق من هم على دراية بالتاريخ البشرى والدساتير بأن التغيير الأولى ليس تغييرا عنيفا فان نظام الانتخاب لم يلغ ، ولكن فى أثناء الانتخابات نفسها كانت هناك أفضلية واضحة فى جانب عضو من الأسرة الحاكمة ، وأفضلية أقل قوة تجاه بعض الأبناء ، ولم يكن الأكبر بالضرورة من ذرية الامام السابق . ويبدو أن هذا النظام قد تحطم فى مواجهة الغزوات النجدية . فان الأسرة الحاكمة القديمة لم يكن فى استطاعتها الاحتفاظ والمحافظة على سلامتها . وكان تولى أحمــد بن سعيد من أسرة البوسعيد يمثل علامة على العودة الى النظام السابق ، وهــو الانتخاب الحــر من أى تدخــل مهما كان مصدره [٢] . ويمثل للأمة أيضا الضربة القاضية الناتجــة عن انتخاب لا قيود عليه ، اذ أنه بعد امامة أحمــد عادت الامامة مرة أخرى لتصبح مقصورة على الأسرة . كذلك كان هناك أثر مستورد أو دخيل بالرغم من

---

(١) Beut ص ٤٩ ، Lilienstern ص ٢٠٩ ، Ross ص ٣ .
(٢) Badger ص ١٤٧ ، Ingrams ص ٥٤ .

الشك الضئيل للغاية من مبدأ البكورة [١] ، ومن هذه الفكرة الجديدة انبثقت نتيجـــة غريبة للغاية ذات أهمية •

واذا كان قد تأسس بالتدريج ازدياد التأكيد بأن الابن الأكبر هـــو الذى يتولى الامامة ، ففى نفس الوقت اتفق على مراعاة الحيطة أو الاعداد للأخوة الآخرين ، فبناء على ذلك أصبح الأمر عادة لا خروج عليها ، وكانت فى بادىء الأمر تبدو اختيارية ثم صارت عادة محددة تتبادل فيها الآراء حـــول المدن كأنها اقطاعية من ملك أو أمير وهكـــذا يحصلون على لقب السيد [٢] • ومرة أخرى فان عقد مقارنة مع دول ذات دساتير نامية سوف يظهر ما كان يدور فى عمان ، ففى البداية كان الامام يستطيع القيام بذلك الشرط ، وانتهى الأمر بأن أصبح لزاما عليه أن يقوم بذلك • وكان مـــن المفروض أن يتولى السادة « أو الأسياد » نقل ولاء مدنهم وطاعتها حتى تصبح تحت سيطرة الامام •

والواقع أن هـــذا الأمر كان أقرب الى الناحية النظرية منه الى الناحية الواقعية ، يحدث ويتحقق فى حالة وصول امام قوى الى المنصب ، ولا يحدث فى حالة وصـــول امام ضعيف اذ يحتمل أن يطالب الســـادة باستقلالهم الذى يســـوى بينهم •

وكان سعيد بن أحمد آخر حلقة فى السلسلة القديمة من الأئمة [٣] ، ومن المحتمل أنه هـــو بتكوينه الشخصى قد جهز الدافع الرئيسى لوضع

---

(١) Lune ص ١٤٢ . يرجع ذلك الى عام ١٦٢٤ ولكن لم يتأيد ذلك .

(٢) Badger ص ١٠١ .

(٣) كان شعب عمان وزعماؤهم يرغبون فى أن يتولى منصب الامامة اكبر أبناء أحمد واكثرهم ذكاء وهو هلال (بدلا من سعيد) ولكنهم فشلوا فى تحقيق ذلك اذ أنه كان صغيرا .

Badger ص ١٨٨ ، Huart ج ٢ ص ٢٧٢ .

حـــد لهذا المنصب • ويمكن بسهولة تتبع الشعور المتفاقم فى الدولة بأن الجمع بين القوة الروحية والسيطرة الدنيوية فى يد شخص بمفرده انمـــا هـــو أمر لا ميزة من ورائه ، وان ذلك يقوم على عدد وفير من الأسباب • فلم تكن عمان فى الأيام الخوالى تمثل شعبا معينا ، ولكنها كانت مجموعات متعددة من القبائل الرحل ينتجعون من مكان الى آخر ولا يخضعون لأى سلطة محلية ، كل ما هناك انمـــا سيادة يحيط بها الغموض مع قوى متعددة غير واضحة المعالم قد تكون ذات فائدة معينة ، واستطاعت هذه السيادة الغامضة أن تجمع مزايا لتكوين أساس يلم الشمل والتجمع فى أثناء فترات الحاجة ، بينما يقل تدخل هذه القوى فى الفترات الأخرى • ولم تكن القوى الروحية موضع نزاع ، ذلك لأنه ــ كما سبق القول ــ فان الدين لم يعتمد على الامـــام •

وبالقرب من نهاية القرن ١٨ ، تغيرت كفة الميزان كلية على أية حال • ذلك أن القبائل استطاعت تحقيق ترابط مشترك باعتبار أن الغالبية العظمى منها تمتهن الأعمال التجارية ، وقد تبين بالخبرة أن الامام الذى يكرس حياته حتى الموت فى سبيل دينه بالحرب ضـــد أعداء الدين ، وهـــو بالتأكيد محدد داخل حدود اختصاصات منصبه التى تمنعه من ممارســـة العمل فى نصيب وافر فى تطوير وتنمية التجارة فى المناطق التى يسيطر هـــو عليها ، فان مثل هـــذا الطراز ليس هـــو أنسب الحكام [١] • انه اما أن يكـــون دنيويا بشكل كبير بازاء أصحاب العقول الدينية ، واما أن يكون روحانيا بدرجة هائلة بازاء أصحاب العقول الدنيوية •

وقد ازداد هـــذا التأثير تبعا لضعف شخصية سعيد بن أحمـــد وكذلك نائبه الوصى على ابنه حمـــد • وليس هناك أية أهمية باعتبار حمد

---

(١) Bent. ص ٥٣ •

شخصا انتهازيا يقبض على مثل هذه القوة بكل ما فى وسعه كما يقول بعض الكتاب ، أو أنه كان شخصا قويا فعلا دعم عجز أبيه بالتضحية بنفســه كما يقول كتاب آخرون ، والأمر الهام أنه ظهر للعيان ، ولأول مرة أنه من الجائز حدوث انشقاق بين القوتين الروحية والدنيوية ، وأن هــذا الانشقاق مع أنه يعد خســارة على الدولة ، الا أنه من ناحية أخرى كان كسبا حقيقيا . ومن المحتمل أن يكون الأهالى قد فكروا فى هــذا الأمر من قبل ، والآن أصبحوا يعرفونه تماما . وان هؤلاء الذين أدركوا حقيقة الأمر كانوا هم الذين سيرثون سعيد ، ابنه سلطان بن أحمــد وابن أخيه سعيد بن سلطان .

وقد توفى سعيد بن أحمــد حوالى عام ١٨٠٣ [١] ، ولكن لم يحدث فى أثناء حياته ولا بعد وفاته أن حاول سلطان أو ابنه الحصول على الامامة . ويقول جيان ان سلطان كان يمتلك كل قوى تؤهله لتولى منصب الامامــة دون أن يضع على جسده مسوح التبجيل . وحتى بعد وفاة الامام يبدو أنه أبى أن يتولاها اما لأن انتخاب الامام كان يستلزم بعض الاجراءات والقيود خاصــة بسلوك الرئيس الدينى وهو ما كان يرفض التسليم به ، أو لأنه كان قد عرف قيمــة الخيلاء المرتبطة بمنصب لم يكن فى حاجة ماســة اليه فيما قبل ، لأن ممارسة السلطة الملكية كانت أكثر من كافية [٢] .

ويمكننا أن نضيف الى كل ما سبق أن هــذه الفترة شاهدت أيضا احيــاء بعيد المدى للعقيدتين السنية والنجدية فى عمان [٣] . وكما رأينا من قبل فان هاتين العقيدتين لم تنظرا الى الامام باعتباره لا يملك أى سلطة دنيوية ، بل انها منشقة عن الفكرة بأن الامام لا ينتخب .

---

(١) Badger ص ٣٨٠ ، Guillain جـ ١ ص ٥٦٠ يحدد التــاريخ ١٨٠٢/١٨٠٣ . Rep ١٨٨٧/٨٨ تحدده بعام ١٨٠٣ .

(٢) Guillain جـ ١ ص ٥٦٠ ، Badger ص ٥٦ .

(٣) Rep. ١٨٨٠/٨١ ص ٣٥ .

وتبعا لذلك فان من لهم الحق فى الامامية فقط هم أولئك المنحدرون من أصول الخلفاء الراشدين الأربعة ، هؤلاء الذين تتابعوا بعد وفاة النبى محمد • ويمكننا أن نفترض أنه بالرغم من أن سعيد مثله مثل أبيه من قبل لم يكن لديه اهتمام أو ميل للقب ، فان من الجائز أنه كان سيواجه بعض المصاعب الجسيمة فى سبيل الحصول على اللقب اذا كانت لديه رغبة فى ذلك •

ومهما كان الأمر فانه من المؤكد أننا أنى وجهنا نظرنا نحو الحقائق نجد أن سعيدا لم يكن يملك مؤهلات الامامية • فهو من ناحية القوى الروحية لم يكن لديه أى ادعاء بذلك ، ولم ينتخب بتاتا ، ولكن لقب الامام كان من المحتمل أن يحمله أو ينطبق عليه باعتباره صاحب سلطة • واذا كان المظهر يستدعى ذلك فانه كان سيحمل اللقب من تلقاء نفسه ، باعتباره رأس الدولة سواء من الناحية الروحية أو المدنية أو صاحب كليهما • وهذا الافتراض الأخير — على أية حال — لا يمكن الدفاع عنه كما يبدو الأمر اذا ألقينا نظرة الطير السريعة على التاريخ اللاحق •

كان الموقف فى أثناء تولى سعيد بن أحمد الحكم قد وفق الشعب الى قائد دنيوى (عالمى) نقى • وكان حمد قد توفى قبل أبيه ، ولكن ذلك لم يكن له أثر يذكر ، اذ كان سلطان قد اغتصب المنصب عمليا • وليس هناك شك فى أن هذا الأخير كان فى استطاعته أن يصبح اماما اذا ما رغب فى ذلك • ولم تكن هناك حاجة الى التأكد من وجهة النظر بأنه يمكن عزل الامام وقد حدث •

وفى الواقع فان الأحداث تدل على وقوع محاولة عام ١٧٨٥ لعزل سعيد وتنصيب أخيه قيس بدلا منه ، ولكن تلك الحركة اتخذت شكلا سياسيا ، وإذ لم تجد مساندة دينية أو عسكرية فان قيس وجد نفسه عاجزا

عن الاحتفاظ بموقعه [١] • بينما لم تكن لدى سلطان اى رغبة فى المنصب • وكان سعيد فعلا يمتلك ميزة كبرى بمنصبه فى الرستاق ولم يفقد منصبه الا بوفاته •

لم يكن هناك خليفة مباشر • ففى منتصف القرن ١٩ كان حمود ابن عزان رئيسا واسع النفوذ فى المناطق المجاورة لصحار ، وأصبح خاضعا لسعيد بن خلفان حاكم الرستاق وعرف باسم الخليلى ، وتحت وصايته أصبح ناسكا متقشفا تماما • واذ تنازل عن كل أمـوره الدنيوية فمنح ابنه سيف بن حمود حكم صحار • وكان ذلك الأمر محاولة لتولى حمود الامامة • وليس هناك شك فى أن ورعه وتدينه كانا أهم صفات تميزه لتولى هـذا المنصب ، ولكن هناك قدر من الشك فى أن محاولة قد بذلت لوضع شخص من عمان كزعيم روحى وفى نفس الوقت يتولى المنصب الدنيوى •

ولكن مثل هذه المحاولات حكم عليها بالفشل ، اذ أنه بعد أن تحول الأمر الى لعبة الموت فان حمود رفض أخيرا الكرم المعروض عليه [٢] •

وحدثت محاولة أخرى لاحياء المنصب فى شهر أكتوبر عام ١٨٦٨ وفى ذلك الوقت كان النجديون قـد أصبحوا مرة أخرى مصـدرا للمتاعب والاضطرابات العملية ، وقد وجدوا خصما يقارعهم فى خاليلى واستطاع عزان بن قيس أن يطردهم من عمان ويؤسس لنفسـه حكما فى مسقط •

---

(١) Miles ص ٢٨٢ .

(٢) Badger ص ٣٦٢ ، .Rep ٨٤/١٨٨٣ ص ٣٣ .

واذا كانت العزة أو الكرامة التى قدمت عن ذلك العمل لم تكن أقل من اختفاء النجديين فقد دفعت رجال الجماعة الدينية للمناداة به اماما .

وعلى أية حال ، فان هناك أمرين يعملان على الاقلال من شأن هـذا الحدث . فمن ناحية من المعروف أن المنطقة منعزلة ، ولم يكن لعزان بن قيس خلفاء مباشرون . ومن ناحية أخرى فانه لم ينتخب اماما من قبل ، وان المناداة بالامامة انمـا هى اشـارة الى مناورة موالية له [1] ، أو مشابعة أكبر منها مسألة وطنية .

وفى الواقع ، فانه حتى وقت قريب فقط ، حدث احياء لهذا المنصب وأخيرا ارتاب أصحاب مذهب الأباضية فى أن لحاكم مسقط صلة وثيقـة بالانجليز وأنه انتخب شخصا يدعى سالم بن راشـد وهو من بنى غافر من عقيدة الخليلى [2] .

وان امعان الفكر فى هذه الحقائق لا يترك فرصة للشك فان كلمة امام فى أثناء القرن ١٩ احتفظت برائحة الكلمة الدينية التى كانت تتمتع بها من قبل ، ولم يكن سعيد بأى حال شبيها بصاحب هذا المنصب فى العصور الوسطى أى (الأمير المطران) فى غرب أوربا ، لذا لم يكن لـه أى مطمع فى الامامية واقتصر فى دعواه على اللقب المدنى ، السيد [3] .

---

(1) Rep. ١٨٨٢/٨٣ ص ٢٤ ، ٢٨ ، Oppenheim ج ٢ ص ٢٤٢ ، ٣٦٠ .

(2) Massiznon ص ٥٩ ، Eclles ص ٢٣ ، Handbook ص ٣٧ ، ٢٤٦

(3) Guillain (جـ ٢ ص ١٠٧) يقول ان سعيد بينما هو فى زنجبار استخدم اللقب ، الامام ، بعد تلقيه هدية من امام المسجد هناك و Hardinge (ص ٨٦) يبدو انه أخطأ حينما تحدث عن برغش بن سعيد وانه تلقب بلقب الامام فى زنجبار وان هذا اللقب توقف استخدامـه له بعـد زيارته لانجلترا عـام ١٨٣٣ .

ولكن الأمر الذى يستدعى الاهتمام أنه بالرغم من عدم ادعائه تولى منصب الامامية [١] ، أو حتى أنه قد ادعى ذلك ، فانه فى جميع وثائق المعاهدات والوثائق الرسمية والتقارير الدبلوماسية قد أضيف اليه فقط التسمية التى تظهر على قبره فى زنجبار والذى بنى عام ١٩٢٥ على يد حفيده سلطان بن خليفة بن حارب ، وتقول التسمية على النقش : لذكرى صاحب السعادة السـيد سـعيد بن سـلطان امام عمان وسـلطان مسـقط وزنجبـار .

---

(1) Treaties ص ١٨٨ .

جدول لنسب
اعضاء الأسرة المالكة البوسعيد
((ورد ذكرهم فى الكتاب))

احمد بن سعيد

- هلال
- سعيد
  - احمد
    - سلطان
    - حامد
  - حامد
- قيس
  - عزان
    - حمود
      - سيف
    - قيس
- سيف
  - بدر
  - على
    - سعود
  - عزه
- سلطان
  - سالم
    - محمد
  - سعيد
    - هلال
      - محمد
    - خالد
    - ثوينى
      - سالم
      - حارب
        - خليفة
    - تركى
      - فيصل
        - تيمور
    - برغش
    - سالمه
      - رويت سعيد روث
  - حامد
- محمد
  - هلال
  - جوخه
- موزه

قائمـــة المصـــادر والمراجـــع

BIBLIOGRAPHY

ALLEMANN. «Mascate.» Par M. Emile ALLEMANN, Lieutenant de Vaisseau. Dans Le Tour du Monde, 16 Février, 1901.

ASIE FRANCAISE. «Les Droits de la France à Mascate.» L'ASIE FRAN CAISE. Paris, Octobre, 1913.

BADGER. «History of the Imams and Seyyids of Oman.» By Salil Ibn Razik (from 661-1856 A.D.); translated from the original Arabic and edited, with notes, appendices, and an introduction, continuing the history down to 1870, by George Percy BADGER. London, 1871.

BAUMANN. «Die Insel Sansibar.» Von Oscar BAUMANN. Leipzig, 1897.

BENT. «Southern Arabia, Soudan and Socotra.» By Theodore BENT and Mrs. Theodore BENT. London, 1900.

BENT, Th. «Muscat.» By J. Theodore BENT. **The Contemporary Review,** December, 1895.

BOMB. SEL. Selections from the Records of the Bombay Governbent, No. XXIV. New Series. Bombay, 1856.

BRODE. «Der Mord Sejid Thueni's und seine Sühne.» «Eine Erzählung im Omandialekt.» Von Dr. Heinrich BRODE **Mittheilungen des Seminars fur Orientalische Sprachen zu Berlin.** Berlin, 1902.

BRUNEI - MILLON. «Les Boutriers de la Mer des Indes.» Par Ch. BRUNET - MILLON. Affaires de Zanzibar et de Mascate. Paris 1910.

BRYDGES. «An account of the Transactions of His Majesty's Mission to Persia (1807-11).» By Sir Harford Jones BRYDGES. To which is appended «A Brief History of the Wahauby.» London, 1834.

BUCKINGHAM. «Travels in Assyria, Media and Persia.» By J. S. BUCKINGHAM. London, 1830.

BURCKHARDT. «Notes on the Bedouins and Wahabys.» By John Lewis BURCKHARDT. London, 1830.

BURTON. «Zanzibar : City, Island and Coast.» By Richard F. BURTON. London, 1872.

BURTON **(J.R.G.S.).** «The Lake Regions of Central Equatorial Africa.» Paper read before the Royal Geographical Society by Richard F. BURTON, F.R.G.S. **In The Journal of the Royal Geographical Society,** 1859.

CORANCEZ. «Histoire des Wahabis, depuis leur origine jusqu'à la fin de 1809.» Par L.A. Paris, 1810.

CURZON. «Persia and the Persian Question.» By the Hon. George N. CURZON.

DIDIER. «Séjour chez Le Grand-Chtrif de la Mekke.» Par Charles DIDIER. Paris, 1857.

ECCLES. «The Sultanate of Muscat and Oman.» By Captain G. J. ECCLES. In **Journal of the Central Asian Society, January,** 1927.

FIROUZ. «Le Sultanat d'Oman. Etude d'Histoire Diplomatique et de Droit International. La Question de Mascate.» Par Prince FIROUZ KAJARE. Paris, 1914.

FRASER. «Narrative of a Journey into Khorasan.» By James B. FRASER. London, 1857.

GEO. GES. HAMB. **Mitteilungen der Geographischen Gesellschaft in Hamburg.** Band XXXI. Hamburg, 1918.

GEOGR. JOUR. **The Geographical Journal.** Royal Geogaphical Society. London.

GERMAIN. «Quelques mots sur l'Oman et le sultan de Maskate.» Par Adrien GERMAIN. **Bulletin de la Société de Géographie, Octobre,** 1868. Paris, 1868.

GOBINEAU. «Trois ans en Asie (de 1855 à 1858).» Par le Comte A. DE GOBINEAU. Paris, 1905.

GRANDIDIER. «Notice sur l'Ile de Zanzibar.» Par Alfred GRANDIDIER. Saint-Denis (Réunion), 1868.

GUILLAIN. «Documents sur l'Histoire, la Géographie et le Commerce de l'Afrique Orientale.» Par M. GUILLAIN. Paris, 1856.

HANDBOOK. «A Handbook of Arabia.» Vol. I. Compiled by the Geographical Section of the Naval Intelligence Division, Naval Staff, Admiralty. London, 1920.

HARDINGE. «A Diplomatist in the East.» By the Right Hon. Sir Arthur H. HARDINGE. London, 1928.

HEUDE. «A Voyage up the Persian Gulf and a Journey Overland from India to England.» By William HEUDE London, 1819.

HOGARTH. «The Penetration of Arabia.» By David George HOGARTH. London, 1904.

HUART. «Histoire des Arabes.» Par Cl. HUART. Paris, 1913.

INGRAMS. «A School History of Zanzibar.» By W. H. INGRAMS and L. W. HOLLINGSWORTH. London, 1925.

INGRAMS' APPR. «Said bin Sultan.» An Appreciation by W. H. INGRAMS. Zanzibar, 1926.

INGRAMS' CHRO. «Chronology and Genealogies of Zanzibar Rulers.» By W. H. INGRAMS. Zanzibar, 1926.

IRVING. «The Life of Mahomet.» By Washington IRVING. Leipzig, 1850.

JOURNAL A.O.S. Journal of the American Oriental Society, Vol. IV., No. 2. New York, 1854.

KEPPEL. «Personal Narrative of a Journey from India to England.» By the Hon. George KEPPEL. London. 1827.

KRAPF. «Travels, Researches and Missionary Labours during an Eighteen Years' Residence in Eastern Africa.» By the Rev. Dr. J. Lewis KRAPF. London, 1860.

LILIENSTERN. «Zur Geschichte der Araber vor Muhamed.» Von R. V. L. (Rühle von Lilienstern). Berlin, 1836.

LOW. «History of the Indian Navy (1616 - 1863).» By Charles Rethbone LOW. London, 1877.

LYNE. «Zanzibar in Contemporary Times.» By Robert Nunez LYNE. London, 1905.

MANSUR. «History of Seyd Said, Sultan of Muscat; Together with an account of the countries and people on the shores of the Persian Gulf, particularly of the Wahabees.» By Shaik MANSUR. London, 1819.

MASSIGNON. «Annuaire du Monde Musulman.» Par L. MASSIGNON. Paris, 1926.

MIGNAN. «A Winter Journey through Russia, the Caucasian Alps and Georgia, thence into Koordistan.» By Captain R. MIGNAN. London, 1839.

MILES. «The Countries and Tribes of the Persian Gulf.» By Colonel S. B. MILES. London, 1919.

MILES-SOHAR. «On the Route between Sohar and el-Bereymi in Oman.» By Lieut.-Colonel S. B. MILES. **In The Journal Asiatic Society of Bengal,** Vol. XI,VI. Part I., 1877.

NEWMAN. «Banani : The Transition from Slavery to Freedom in Zanzibar and Pemba.» By Henry Stanley NEWMAN. London, 1898.

NIEBUHR. «Beschreibung von Arabien.» Von Carsten NIEBUHR. Kopenhagen, 1772.

NOSTIZ. «Travels of Doctor and Madame Helfer in Syria, Mesopotamia, Burmah and Other Lands.» Narrated by Pauline, Countess NOSTIZ (formerly Madame Helfer). London, 1878.

OMAR. «Il Sultanato di Oman.» Di Umberto OMAR. Roma, 1912.

OPPENHEIM. «Vom Mittelmeer zum Persischen Golf durch den Hauran, die Syrische Wüste und Mesopotamien.» Von Dr. Max FREIHERR VON OPPENHEIM. Berlin, 1900.

OWEN. «Narrative of Voyages to Explore the Shores of Africa, Arabia and Madagascar.» By Captain W. F. W. OWEN, R.N. London, 1833.

PALGRAVE. «Narrative of a Year's Journey through Central and Eastern Arabia (1862 - 63).» By William Gifford PALGRAVE. London, 1866.

PEARCE. «Zanzibar the Island Metropolis of Eastern Africa.» By Major F. B. PEARCE. London, 1919.

PELLY. «A Visit to the Wahabee Capital, Central Arabia.» By Lieut.-Colonel Lewis **PELLY. Journal Royal Geographical Society, 1865.**

PERRON. «Femmes Arabes.» Par M. le Dr. PERRON. Paris, 1858.

PHILBY. «Arabia of the Wahhabis.» By H. St. J. B. PHILBY. London, 1928.

PRICE. «Essay towards the History of Arabia antecedent to the Birth of Mahommed.» By Major David PRICE. London, 1824.

QUEEN VICTORIA. «The Letters of QUEEN VICTORIA.» London, 1908.

RAYMOND. «Mémoire sur l'origine des Wahabys sur la naissance de leur puissance de leur puissance et sur l'influence dont ils jouissent comme nation.» Rapport de Jean RAYMOND, daté de 1806, document inédit

extrait des archives du ministere des affaires étrangères de France. Publié par la Société Royale de Géographie d'Egypte, Le Caire, 1925.

REINHARDT. «Ein Arabischer Dialekt gesprochen in Oman and Zanzibar.» Von Dr. Carl REINHARDT. Stuttgart, 1894.

REP. «Report on the Administration of the Persian Gulf Political Residency and Muscat Political Agency.» Calcutta.

RIHANI. «Ibn Saoud of Arabia, His People and His Land.» By Ameen RIHANI. London, 1928.

RITTER. «Vergleichende Erdkunde von Arabien.» Von Carl RITTER. Berlin, 1846.

ROBERTS. «Embassy to the Eastern Courts of Cochin - China, Siam and Muscat; in the U. S. Sloop-of-war **Peacock,** David Geisinger, Commander, during the years 1832-3-4. By Edmund ROBERTS. New York, 1837.

ROESSLER. «Nachal und Wad il Maawil.» Eine Erzahlung im Omandialekt von Walter ROESSLER. **Mittheilungen des Seminars fur Orentalische Sprachen zu Berilin.** Heft II., 1898.

ROSS. «Annals of Oman.» By Sirhan bin Said bin Sirhan of the Benu Ali Tribe of Oman. Translated and annotated by E. C. ROSS. Calcutta, 1874.

RUETE. «Memoirs of an Arabian Princess.» By Emily RUETE. London and New York, 1888; Berlin, 1886; Paris, 1905; New York, 1907.

RUSCNEBERGER. «Narrative of a Voyage round the World, during the Years 1835-36 37; including a Narrative of an Embassy to the Sultan of Muscat and the King of Siam.» By W. S. RUSCHENBERGER. London, 1838.

SACY. «Crestomathie Arabe.» Par M. le Baron Silvestre de SACY. Tome III. Paris, 1827.

SADLIER. «Diary of a Journey across Arabia.» By Captain G. Forster SADLIER. Bombay, 1866.

SCHMIDT. «Sansibar.» Ein ostafrikanisches Culturbid. Von Dr. Karl Wilhelm SCHMIDT. Leipzig, 1888.

SHEPHERD. «From Bombay to Bushire and Bussora.» By William Ashton SHEPHERD. London, 1857.

SPENGLER. «Der Untergang des Abendlandes.» Von Oswald SPENGLER. München, 1922.

STOCQuELER. «Fifteen Months' Pilgrimage througn Khurzistan and Persia.» By J. H. STOCQUELER. London, 1832.

STRANDES. «Die Portugiesenzeit von Deutsch - und Englisch - Ostafrika.» Von Justus STRANDES. Berlin, 1899.

TREATIES. «Treaties, Engagements and Sanads relating to India and Neighbouring Countries,» Vol. XII., containing the Treaties, etc., relating to Persia, the Arab Principalities in the Persian Gulf, and Oman. Revised and continued up to the ist June, 1906, by the Authority of the Foreign Department. Calcutta, 1909.

WATSON. «A History of Persia.» By Robert Grant WATSON. London, 1866.

WELLSTED. «Travels in Arabia.» By Lieut. J. R. WELLSTED. London. 1838.

WILSON. «The Persian Gulf.» By Sir Arnold J. WILSON. Oxford, 1928.

ZANZIBAR. «Zanzibar : An Account of its People, Industries and History.» Zanzibar, the Local Committee of the British Empire Exhibition (1924).

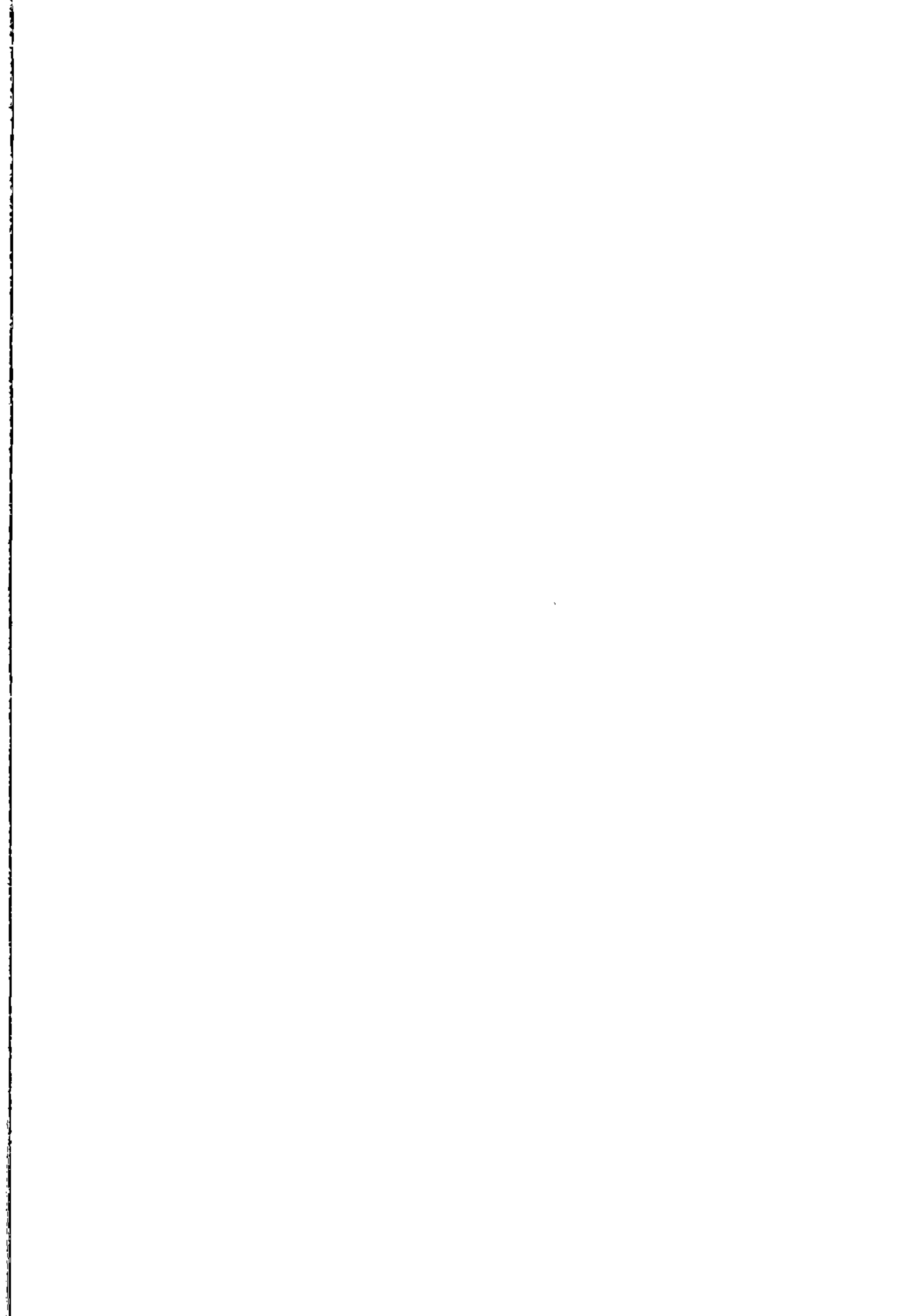
ZEHME. «Arabien und die Araber.» Von Albrecht ZEHME. Halle, 1842.

محتويات الكتاب

جدول الخطأ والصواب في كتاب (سعيد بن سلطان)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١	٢	آل سعيد بن فيصل	تيمور بن فيصل بن تركي
١٩	٦	١٧٤١	١٧٣٧-١٧٣٨
٢٧	٨	١٧٥٦	١٧٧٥
٢٨	١٥	باتنة	الباطنة
٣٣	هامش ١	ثويني	ثويني
٣٣	هامش ٢	المرزوي	المزروعي
٣٣	هامش ٢	ثواني	ثويني
٣٤	٣	تبة	تلة
٤١	٩	بوشير	بوشهر
٤٣	٧	شفاص	شناص
٤٣	٨	المطاري	المطيري
٤٤	١	شفاص	شناص
٤٧	١٨	سنن	سفن
٥٠	١٣	بوشير	بوشهر
٥٧	١٤	أبيد	أبعد
٥٨	٩	بوشير	بوشهر
٦٣	١٨	أسرة مازيرعي	أسرة المزاريع
٦٣	٢٢	أحسن	أحس
٦٧	١٠	ديمسبر	ديسمبر
٦٨	٣	الأخبار الطيبة	الأخبار الطيبة
٧١	٧	الباطنا	الباطنة
٧٦	٢١	بوشير	بوشهر
٧٧	٩	بوشير	بوشهر

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١٣	٨	الخليج الفارسي	الخليج العربي
١١٣	١٤	بوشير	بوشهر
١١٩	١٥	الخليج الفارسي	الخليج العربي
١٢١	١٧	سيو	مسيو
١٣٠	٨	النجدين	النجديين
١٣١	١٧	بالفرض	بالغرض
١٣٢	١٣	بوشير	بوشهر
١٣٨	١٢	الضرئب	الضرائب
١٤٣	١٣،١٢	الحيثان	الحيتان
١٥٧	٢	الخليج الفارسي	الخليج العربي
١٥٧	١٤	ليبران يا	ليبراليا
١٦٢	٢٣	الخليج الفارسي	الخليج العربي
١٨٨	٨	الخليج الفارسي	الخليج العربي
١٩١	١٤	الخليج الفارسي	الخليج العربي
٢٠٠	١٠	بعتمد	يعتمد
٨٠	١٨	بوشير	بوشهر
٨٠	٢١	السواق	السويق
٨١	١٥	للخليج الفارسي	للخليج العربي
٩٤	٩	الخليج الفارسي	الخليج العربي
٩٨	١٩	بوشير	بوشهر
٩٩	١٧	غلواء	غلو
١٠٤	٢٠	جرف هاو	جرف هار
١٠٥	١٩	غاني	فانه



رقم الايداع ٥٦٢١ لسنة ١٩٨٣

مطابع سجل العرب

